الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية : الآداب والعلوم الإنسانية

قسم: التاريخ

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

دعوات الإصلاح السياسي والإداري والإقتصادي في العصر العباسي الأول خلال الفترة 132 – 193 هـ/750 – 811 م

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:

جواد موسى

إشراف الدكتور:

يوسف عابد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة
أ.د.بوبة مجاني	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري- قسنطينة
د . يوسف عابد	مقررا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.محمد فرقاني	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.رشيد باقة	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر- باتنة

السنة الجامعية: 1430-1431هـ/2009-2010م

بسم الله الرحمن الرحيم :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ

صدق الله العظيم الأنبياء 105

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى أمي وأبي

اللذين ربياني فأحسنا تربيتي.ودفعاني خير دفع إلى العمل الجاد الدؤوب.والصبر على صعوباته.وأنفقا كل غال ورخيص في سبيل تعليمي.وكانا خير محفز في الدراسة والبحث.فبارك الله فيهما وأمدهما بوافر الصحة والهناء،وأحسن عاقبتهما في الأمور كلها.

وإلى علماء الصلاح والإصلاح ـ في كل مكان وزمان ـ لما يتحملونه من تعب ونصب،في تبليغ الحق إلى أهله،دون كتمان أو **تولن.**

وإلى شهداء الحق والحرية،الذين لم يرضوا بالذلة والمسكنة ،وتجرعوا كأس الموت في سبيل الحياة الكريمة للأجيال.... **أهدي هذا البحث.**

موسى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و عرفان

لله الحمد من قبل ومن بعد على إتمام هذا العمل المتواضع.حمدا يليق بجلال فضله وعظيم إحسانه. إنه هو أهل الحمد والثناء.

وعملا بقوله تعالى:"**وأما بنعمة ربك فحدث**" و أخذا بالقول المأثور :" **من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"

فإنني في هذا البحث المتواضع أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف: **الدكتور يوسف عابد** ، وأسأل الله أن يجعله ذخرا لهذه الجامعة المباركة. وذلك لما خصني به من متابعة وتوجيه،ولما بذل معي من وقت وجهد وحضور في كل مراحل إنجاز هذا البحث. بحسن خلق وطيب نفس.ولم يبخل علي بنصائحه القيمة، وتوجيهاته السديدة.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى **الدكتور محمد فرقاني**. لأنه هو الذي أنقذني حين اختلط علي الأمر في الموضوع وقد أدركني الوقت ، فأشار علي بهذا الموضوع – جزاه الله كل خير – وكنت أستشيره من وقت لآخر.

وبالغ الشكر والاحترام موصول إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث وتقييمه وتقويمه.

وأعترف بالجميل لكل من علمني حرفا، وكل من أعانني في إنجاز هذا العمل العلمي من قريب أو من بعيد. وأخص بالشكر زملائي في دفعة المشرق الإسلامي ، دون أنسى فضل السادة: **سعدي محمد الطاهر،بوساحة خالد ، عثماني علاء الدين،جدي عمر وجلال توفيق**. لما بذلوه معي من جهد محمود في هذا العمل.

وأخيرا ، أتوجه بتشكراتي إلى مكتبة الأمير عبد القادر إدارة وعمالا .وأخص بالذكر منهم:السيدة حليمة ، هيكل ،عادل وإبراهيم. لما خصوني به من اهتمام وحسن معاملة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان .

أما بعد:

فلما كان العلماء ورثة الأنبياء.فقد أوجب الله عليهم بيان الحق للناس،وحرم عليهم كتمانه. فقال جل جلاله:"وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه،فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون" (1) قال تعالى:"إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" (2)

والمعنى في هاتين الآيتين كل من كتم علما من دين الله يعلمه.سواء العلم الذي هو ضد الجهل ، أو العلم بالبديل عما هو مرفوض في الواقع من فساد مختلف ألوانه.لأن العلماء هم وحدهم القادرون على حسم هذه الفوضى العارمة.وتحديد المسار الصحيح الذي ينبغي للناس وحكاما محكومين. مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:"اثنان من الناس إذا صلحا صلح الناس،وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء." (3)

ومن حكمة الله تعالى في الكون أن العلماء الصالحين المصلحين لا يخلو منهم عصر من الأعصار، ولا مصر من الأمصار . ولن يجد الناس صعوبة في الاهتداء إليهم.لأن الله تعالى قد خصهم بكثير من الصفات التي تجعلهم بين الناس بمثابة المنارات التي تنير الدروب في الليالي الحالكات .

وإن قيمة هؤلاء العلماء بهذا المستوى فإن مسؤوليتهم كبيرة وكبيرة جدا. والأمل فيهم بعد الله تعالى يتضاعف. لأن المطلوب منهم هو إصلاح الناس والأمراء.ومطلوب منهم عدم تأخير البيان عن وقت الحاجة . لذا فمن الطبيعي أن يتقدم الصفوف زعماء للإصلاح . يشعرون بآلام شعوبهم أكثر مما تشعر به. ويدركون التفكير العميق في أسباب الداء وصف الدواء.وكل مصلح ينظر إلى المرض من زاويته ، يدعو إلى مداواته حسب خطته.على حسب بيئتهم وثقافتهم ومزاجهم. وقد أبلى كل منهم بلاء حسنا. ولاقى من العناء ما لا يتحمله إلا أولوا العزم.فمنهم من نادى بالسير بالعدل بين الرعية.

---

(1) **سورة آل عمران 187**.

(2) **سورة البقرة159**.

(3) **الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق:فضيلة العادلين من الولاة ومن أمعن النظر في حال العمال والسعاة،تح مشهور بن حسن آل سليمان،دار الوطن،الرياض،ط1،1418هـ،149/1**.

ومنهم من طالب بتغيير بطانة الخليفة،ومعاقبة المسؤولين المسيئين.ومنهم من نادى بإصلاح الجند والقضاء وفق قوانين موضوعة،يتعارف عليها الناس ولا يتجاوزونها.ومنهم من اقترح برنامجا اقتصاديا ينظم الأمور المالية من فيء وخراج وينهض بالزراعة كمورد اقتصادي أساسي.على أن من المتفق عليه في هذا الجانب أن عملية الإصلاح تتناول جانبين في الأساس:

أما الجانب الأول فهو فهم الواقع وإدراك مناحي الخلل.والوقوف على أسبابه وعلله.ثم بيان مظاهر الفساد والزيغ في ذلك الواقع.بالمعالجة والتحليل حتى تقوم من ذلك شواهد موضوعية من شأنها أن تقنع الناس.وأن تحدث في نفوسهم ما يدفع إلى رفض الواقع الفاسد رفضا واعيا. ثم إلى العزم على مقاومة الفساد وتغيير المنكر.والتوق إلى برنامج التجديد والإصلاح وهو الجانب الثاني.

وما دام الإصلاح مرتبطا بحتمية وجود الفساد.أو على الأقل عدم الرضا على ما هو موجود.فإنه في نهاية العصر الأموي قد وقع تذمر واستياء كبيران، من جراء سياسة الأمويين المتعسفة. والتي تسببت في قلب الموازين ، والتعجيل بالنهاية الطبيعية للحكم الأموي.ومن مظاهر سلبية هذه السياسة على الصعيد لاجتماعي والاقتصادي : اعتماد الأمويين سياسة التجمير و هي إبقاء المقاتلين في الثغور ومنع عودتهم إلى أهليهم في الشتاء. إلى جانب التغاضي في بعض الأحيان عن حصتهم في الغنائم ، والتمييز العرقي بين العرب وغيرهم.

مما ولد سأما وشعورا بالغبن لدى كثير من العرب المقيمين بخراسان ، خاصة و أنهم بعد استقرارهم هناك اشتغلوا بالزراعة والتجارة. ولم يكن لهم عطاء.فكانوا ينظرون بعين الحسد إلى إخوانهم المقاتلين أصحاب الامتيازات والمناصب السياسة، والوظائف العسكرية المهمة. وبقوا هم تحت رحمة الأمير الأموي ، وجشع الدهقان الفارسي.(1)

وما دامت الحال هذه ، والواقع مليء بالضغط الاجتماعي والحنق السياسي ، والركود الاقتصادي، فقد ظهرت الدعوة العباسية تحمل تباشير النهضة والتغيير. تبشر أصحابها أتباعهم بإقامة العدل بين الناس، وتحسين الأوضاع العامة الموروثة عن العصر الأموي. فتوافد المناصرون للثورة العباسية

---

(1) فاروق عمر فوزي : بحوث في التاريخ العباسي ، دار القلم، بيروت،ط1 ،1977م، ص40. طبيعة الدعوة العباسية للمؤلف نفسه ،دار الإرشاد ، بيروت ، ط1، 1970، ص140.

مستجيبين نداءها ومشروعها التغييري. وإن كان منهم من لم يقبل على الثورة وعيا لمبادئها،وإنما قد وجد فيها ضالته وتنفيسا لحاله.وهكذا خاض العباسيون غمار الحرب،وأقاموا دولة جديدة. بروح جديدة،وعنصر جديد هو العنصر الفارسي.

ولكن من سنة الله في خلقه ، أن الإنسان عندما يكون بعيدا عن أرض الميدان ، تراه يحسن الانتقاد ، ويجيد إبانة المعايب ، حتى ما إذا دخلها –ربما– وقع في أسوأ مما كان ينتقده هو ذاته. قال تعالى:"... عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون."[1]

فالعباسيون عندما جاؤوا إلى الحكم على إثر ثورة تغييرية إصلاحية.وقطعوا في سبيل ذلك لأتباعهم وعودا جليلة،ولكنهم بعد وصولهم إلى سدة الحكم لم يخلفوا ولكنهم تخلفوا عن الايفاء بكل الوعود،فنسوا أو تناسوا العمل في سبيل انجاز المشاريع التي تبنوها إبان فترة الدعوة العباسية.فظهرت إثر ذلك مساوئ في مجالات شتى .فأصبح هؤلاء الخلفاء العباسيون الأوائل محل نقد وتوجيه.فتقدم الكثير من العلماء والمفكرين الذين تمحصوا الواقع ،وشخصوا مناحي الخلل.وطالبوا أولياء الأمور من الخلفاء وغيرهم بإصلاح ذلك.وهو الأمر الذي أثار رغبتي في البحث في هذا الموضوع بالذات.

ورأيت أن أجعل عنوانه:

دعوات الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي في العصر العباسي الأول خلال الفترة (132–193هـ/750–808م)

ويتناول البحث مواطن الخلل في الحياة السياسية والإدارية و اقتصادية التي حددتها هذه الدعوات المختلفة في مصادرها ، المتفقة في مضامينها في بعض الأحيان.

2/ أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع في كون فترة الدراسة ية بهذه الدعوات الإصلاحية التي كانت توجه أحيانا في شكل رسائل مكتوبة أو شفاهية،أو كانت نصائح مباشرة في مجالس الخلفاء التي كثيرا ما حفلت بالعلماء والمفكرين وأصحاب الرأي.

وسبب الانتهاء بعهد هارون الرشيد(ت 193هـ/808م) هو أن خلافة الرشيد تعتبر نقطة تحول في تاريخ العصر العباسي الأول.فبه انتهت فترة وبدأت أخرى من العصر نفسه.لذا رأيت التوقف عند عهد الرشيد باعتبار هذه الفترة واضحة المعالم السياسية والإدارة والاقتصاد.

—

(1) سورة الأعراف 129.

كما أن الرشيد يعد المسؤول عن التفكك السياسي حين قرر تقسيم الدولة بين أبنائه:الأمين والمأمون والمؤتمن. الذي أدى إلى الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون. فتعطلت وتعرقلت مسيرة الإصلاح. وضاعت حسابات الدولة واحترقت الدفاتر والدواوين بسبب الحروب المشتعلة إبان هذه الفتنة بين الأخوين.لذا صعب حتى تقدير ميزانية الدولة خلال هذه الفترة.فكان أن توقفت الإدارة المالية وأصيبت بالشلل التام،ولم تعاود عملها إلا حين أتى المأمون بغداد سنة 204هـ وبدأ تنظيم الخراج من جديد.[1] هذا إلى جانب أنه لم أستطع العثور- حسب إطلاعي- على دعوات شاملة بعد فترة الدراسة.إلا ما كان من رسالة طاهر بن الحسين إلى الخليفة المأمون.وذكر المأمون يذكرنا حتما بسيادة مذهب المعتزلة بحكم تبني المأمون له. مما أثر على المذهب السني السائد رسميا منذ سنوات.وخير مثال على ذلك محنة الإمام أحمد و فتنة خلق القرآن.

3 /الدراسات السابقة للموضوع:

أما ما يتعلق بالدراسات السابقة للموضوع، فلم أستطع العثور – حسب اطلاعي – على دراسات جادة شاملة.تتناول الموضوع في الفترة المحددة من جنبات مختلفة.إلا ما كان من دراسة لعبد الحميد العابد بعنوان "علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول[1] (232هـ-232هـ/750م-847م) ،

ذكر فيها الباحث تراجم للعلماء في عصر الدراسة مع بعض الإشارات إلى علاقتهم بالسلطة العباسية دون التطرق إلى المشاريع الإصلاحية التي اقترحها هؤلاء العلماء . وأنا في موضوعي هذا ركزت على هذه ات التي تحمل في طياتها مشاريع إصلاح اقترحها العلماء بعد رصد نواحي الفساد السياسي والاقتصادي في الواقع. وإرسال تقرير بشأنه إلى أولي الأمر ، بعرض القضية والحل المقترح لها.

ودراسة أخرى لعلي بن أحمد مشاغل بعنوان الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول:(132-232هـ/750م-847م) غير أنها كانت في شكل دراسة لمواعظ متفرقة ،كثيرا ما كانت مباشرة في مجالس الخلفاء.ولم يتطرق إلى دعوات الإصلاح كبرامج مقترحة.

---

(1) الطبري:تاريخ الأمم والملوك،طبعة دار المعارف، 576/8،محمد أمين صالح:**النظام المالي والاقتصادي في الإسلام**،مكتبة نهضة الشرق، ط1 ، 1404هـ/1984م،ص 82-83.

(2) وهي رسالة ماجستير نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الحاج لخضر بباتنة سنة 2008-2009

وكذلك دراسة لبشار قويدر بعنوان :الإصلاح السياسي والاجتماعي من خلال رسالة الصحابة لابن المقفع.وعرض فيها للجوانب السياسية والاجتماعية التي طالها الفساد،واقترح لها ابن المقفع حلولا.تناولها المؤلف بعرض جيد،وشرح واف.إلا أنه أهمل الحديث عن الجانب الاقتصادي المقترح في برنامج ابن المقفع.

كما أذكر دراسة للدكتور محمد فرقاني بعنوان :رسالة العنبري– عرض وتحليل– [1] وهي الرسالة التي بعث بها إلى الخليفة المهدي ابن المنصور.وهي دراسة جادة ، دقيقة وواضحة. تطرق فيها لأهم المسائل التي نبه عبيد الله بن الحسن العنبري الخليفة المهدي إلى أخذها بعين الإعتبار. غير أننا لا نفهم منها إن دي قد عمل بها أو على الأقل إلى أي مدى يمكن أن نعتبر إصلاحات المهدي الواسعة استجابة لدعوة العنبري ؟

وربما تكون هذه الدراسة جمعا بين مجموعة دعوات إصلاحية تتقاسمها قواسم مشتركة في برامجها وأهدافها.

4/دواعي اختيار الموضوع:

يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

– لمؤلفات التاريخية على سرد الأحداث بما لا يليق والموروث الحضاري للأمة على أنها فتن ودسائس وحروب.وتغييب لدور العلماء في تغيير الواقع.والقيام بمهمة الإصلاح.وتحمل صعوبات شتى في سبيل نقد الأوضاع ،واقتراح البدائل.

بصلاحه وإصلاحه.وعندما يكون فيه الراعي يستجيب لنداءات إصلاح الرعية.وفي هذا على الأقل – كما يبدو لي – نظرة مغربية على واقع المشرق في مرحلة تاريخية معينة.

– قلة البحوث والدراسات التاريخية التي تتناول الجوانب الحضارية عامة،ومظاهر الإصلاح وجهود المصلحين خاصة.فيأتي هذا البحث كمحاولة لإبانة مصير المجتمع عندما يوجد فيه مصلحون يهتمون

– الإهمال شبه الكلي عن قصد أو عن غير قصد للتطور الذي شهدته العقلية العربية،بعد أسلمتها ، وما صاحبها من نضج سياسي رفيع.كان له الأثر في الأعمال الحضارية،وقصر دورهم على الانشغال بالعلوم الدينية .وكان لهم علم بواقعهم السياسي والاقتصادي.

---

(1) فرقاني محمد: **السياسة المالية لخليفة عمر بن عبد العزيز**،رسالة ماجستير،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،1995م.

– الرغبة في التعرف على الدور المنوط بالعلماء في الإصلاح إذا وجدوا حرية إبداء الرأي ،وإدراك مواطن الخلل ،واقتراح العلاج المناسب. ووجدوا مع ذلك رغبة سياسية في تقبل هذه المقترحات وتنفيذها.

– بيان أن العالم الحصيف يرصد الواقع بعين الثاقب المتمعن.وهو إن لم يكن قادرا على تغيير ذلك الخطأ ، وإحلال الصواب. فهو لن يعدم القصد بالتوجه إلى أولي الأمر بتطبيق المقترحات والبرامج.

– يهدف الموضوع إلى تقرير حقيقة هي أن الحكم يسير أحسن سيره في ظل العلم والحكمة والخبرة.

– كما يهدف إلى إبراز أثر المصلحين في توجيه القرار السياسي إلى بر الأمان في حال استجابة الساسة لرأي هؤلاء المصلحين.

– ويحدوني أيضا من اختيار الموضوع ،إثراء المكتبة بعنوان جديد،في مجال الإصلاحات المطلوبة والموجهة من العلماء إلى صناع القرار،وأثرها الطيب على ترابط المجتمع وتماسكه ، حكاما ومحكومين

5 / الإشكـالية:

تتركز إشكالية الموضوع الأساسية في السؤال الآتي:

ما هو المطلوب في هذه الدعوات الإصلاحية من الخلفاء العباسيين الأوائل ؟وإلى أي مدى عمل هؤلاء الخلفاء استجابة لهذه الدعوات ؟

ويمكن تقصي الإشكالية الرئيسية إلى الإشكالات الجزئية الآتية ،وذلك لتيسير فهم جنبات الموضوع بالإجابة عنها في ثنايا البحث:

- ما مدى اهتمام العلماء بصلاح الواقع وتغييره في فترة الدراسة؟
- ما هو أثر هده الدعوات الإصلاحية في توجيه القرار السياسي لدى الخلفاء العباسيين؟
- إلى أي مدى عمل الخلفاء العباسيون الأوائل على تطبيق البرامج والمقترحات الواردة في الدعوات؟
- كيف عني المصلحون بإصلاح الراعي كمسؤول عن الرعية؟
- كيف عالج المفكرون المصلحون قضية فساد الجند باعتباره أداة لحماية للدولة من الغزو الخارجي والتمرد الداخلي؟
- بماذا نفسر تطرق برامج الإصلاح لجهاز القضاء كهيئة حقوقية ترعى الحقوق وتصرفها إلى أصحابها ؟
- ما هي الإجراءات العملية المقترحة لإصلاح اقتصاد الخلافة وتجنيبه الأزمات؟

- ما هي أبرز قضايا الفساد الاقتصادي التي عالجها المصلحون؟ وكيف تم تعامل الخلفاء العباسيين مع المقترحات المقدمة ؟
- هل اقتصر صدور دعوات الإصلاح على العلماء والمفكرين أم أن هناك دعوات إصلاحية أخرى دعا بها الخلفاء والوزراء وصناع القرار السياسي أنفسهم؟

6/ المنهـج:

اعتمدت على المنهج التاريخي في جمع وترتيب المادة.لا سيما وأن الموضوع يتطلب بحثا في المصادر عن الدعوات ومقارنتها بالواقع الذي ظهرت فيه.وبيان الآثار المترتبة عن هذه الدعوات . وإسقاط كل ذلك على واقع ما بعد الدعوة.واستعنت بالمنهج الوصفي في بعض الأحيان خاصة في وصف بعض مناحي الفساد.وكيف تعامل معها الخلفاء انطلاقا من هذه الدعوات.وفي أحايين أخرى استعنت بالمنهج الاستنباطي التحليلي،لأن جل هذه الدعوات جاءت تحمل في طياتها آلاما من واقع معيش. وآمالا في الطموح إلى تحسين هذا الواقع.ومن جانب آخر لما يتطلبه الموضوع من تحليل للمواعظ والنصائح.

7/ الخطة:

قسمت البحث إلى مقدمة تناولت فيها التعريف بالموضوع وأهميته،مع ذكر أهم الدوافع التي دفعتني لاختيار الموضوع. مبينا إشكاليته الرئيسة إلى جانبها إشكالات فرعية أجيب عنها في ثنايا البحث. وذكرت المناهج التي استعملتها .وعرضت خطة الدراسة أدبيا.ولم أغفل الحديث عن بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء عملية البحث.وصولا إلى الذكر الحسن والثناء الجميل –بعد الله تعالى– على الدكتور المشرف.

أما فصول البحث فهي ثلاثة إضافة إلى فصل تمهيدي للموضوع يتناول مسيرة العباسيين في الوصول إلى سدة الحكم.رافعين شعارات التغيير والإصلاح لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الجماهير العريضة الناقمة ، التي ركبت موجة الثورة ، معبرين عن نقمتهم على النظام الأموي.

أما الفصل الثاني فيتناول الدعوات الإصلاحية التي تعرضت لمناحي الفساد السياسي. حيث أوردت الخلل الحاصل على مستوى الخلفاء أنفسهم . وركزت على الدعوة إلى إصلاح بطانة الخلفاء. أما في الفصل الثاني فتناولت فيه دعوات الإصلاح الإداري ، حيث حصرت أهم القضايا المطلوب إصلاحها في نظام القضاء.وحددت عناصر الخلل الموجودة نظام الجند ، والتي دعا المصلحون إلى إصلاحها. مع إبانة نواحي الخلل التي بينتها كل دعوة،وما نتج عنها من استجابة من طرف الخلفاء المدعويين .

أما الفصل الثالث،فقد قسمته إلى ثلاثة جوانب.تناولت في الجانب الأول الإصلاح الزراعي بما تضمنه من تطبيق نظام المقاسمة وتخفيف الضرائب على الفلاحين ، واستصلاح الأراضي.وتناول الجانب الثاني السياسية المالية للخلفاء العباسيين الأوائل، من حيث قيمة المال في الحضارة الإسلامية ونظرة الخلفاء العباسيين الأوائل إلى المال.إلى جانب وضع تقييم السياسة المالية لهؤلاء الخلفاء. وفي الجانب الثالث ذكرت مظاهر الإصلاح المالي. من حيث الاهتمام بموارد الأموال وصرفها. وأخذ الفيء من مواضعه بعدل،وأخذ الصدقات وتوزيعها.مع تبيان واقع عمال الخراج. وترشيد النفقات.

وضمنت الخاتمة مجموعة خلاصات واستنتاجات .شكلت محصلة ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة.والتي يمكن أن تكون موضوع دراسة أخرى أعمق وأشمل. وهذا في سبيل الارتقاء بالموضوع إلى حد معقول من الطرح العلمي. وليكون ميدانا مفتوحا أمام باحثين آخرين.

8/ **الصعوبات** :

يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- كثرة الدعوات التي تحمل نصائح أخلاقية عامة.وقلة الدعوات التي تمثل برنامج عمل،وخطة تنموية شاملة،إلا ما كان من رسالة الصحابة لابن المقفع للمنصور ،ورسالة العنبري للمهدي.
- صعوبات ذاتية نابعة من داخل الإنسان وهو يحاول أن يخرج بأول عمل أكاديمي يكون فاتحة لمسيرته العلمية.
- خلو الرسائل والدعوات الإصلاحية من الإطار الزماني والمكاني ،واختلاف مضامينها يجعل من الصعب تحديد ما إن كان الخليفة قد عمل إجراءات معينة قبل أو بعد صدور الرسالة أو الدعوة .وتوضيح فيما إن كانت أعمال هؤلاء الخلفاء كانت عن رغبات شخصية فردية،أو استجابة لدعوات هؤلاء المصلحين.
- قلة الخبرة والتجربة بالبحث والتي جعلتني أضيع وقتا لا يستهان به في بعض الأمور الهامشية على حساب ما هو من صلب الموضوع . ولولا توجيهات الدكتور المشرف لما وصل العمل إلى ما هو عليه.
- صعوبة التعامل مع بعض كتب التراجم ذاتها.والتي يتبع فيها أصحابها ترتيب الأسماء وفق الحروف،دون مراعاة للفترة التاريخية التي عاشها العالم المترجم له،وخاصة إذا كان اسم العالم مختلفا فيه . فيلتبس في هذه الحالة ويصعب العثور عليه إلا بعد مشقة.

9/عرض لأهم المصادر والمراجع:

أ/ أهم المصادر:

تأتي على رأس المصادر كتب التاريخ بالحوليات،سواء ما كان منها عاما منذ بدء الخليقة،أو خاصا بفترة زمنية محدودة.وقد أخذت منها رغم أن معظم المادة العلمية التي كانت قريبة من البحث أو تمس أحد جوانبه كانت متناثرة في كم هائل من المصادر.

ومن أهم هذه المصادر:تاريخ الطبري المعروف **بتاريخ الأمم والملوك للطبري**(310هـ)، طبعة دار المعارف،وقد استفدت منه كثيرا لما اشتمل عليه من معلومات قيمة حول حياة الخلفاء المختلفة.بحكم قربه زمنيا من فترة الدراسة.

كما اعتمدت على **الكامل لابن الأثير** (630هـ)من تحقيق محمد يوسف الدقاق الذي هو صنو تاريخ الطبري ويختلف عنه في ايراد الروايات مقطوعة عن أسانيدها.ولا أنكر الفائدة التي استقيتها من كتاب **أخبار القضاة لوكيع** (ت306هـ)الذي زودني برسالة العنبري للخليفة المهدي والتي لم تذكر في مصدر سواه.ومما أعانني كثيرا في الفصل التمهيدي عن مسار الدعوة العباسية ونجاحها كتاب لمؤلف مجهول من القرن الثالث هو :**أخبار الدولة العباسية** من تحقيق عبد العزيز الدوري.

ويعد مصدر **فتوح البلدان للبلاذري**(ت279هـ)ذا قيمة كبيرة .لما احتوى عليه من معلومات تتعلق بأمور الإدارة والوظائف المالية المتعلقة بحقوق بيت المال. زيادة إلى ما أشار إليه من منجزات حضارية خاصة ما يتعلق بالعمران واستصلاح الأراضي،وبناء المدن العسكرية وتسويرها وتحصينها،وشق الأنهار ومد القنوات.

ورغم ما يتهم به **المسعودي** (ت346هـ) من ميوله العلوية إلا أنه أفادني كثيرا في واقع الخلفاء ومحيطهم ومن يحيط بهم من العلماء والأدباء والوعاظ .وهو يورد كل ذلك بدقة واختصار غير مخل.خاصة في كتابيه :**مروج الذهب ومعادن الجوهر ،والتنبيه والإشراف**.

أما بعض المصادر القيمة والتي أخذت منها الشيء الكثير في التراجم والسير المتعلقة بالعلماء والمصلحين والأعلام الواردة في البحث.ومنها: **الطبقات لابن سعد**(ت230هـ) ،وكتاب **سير أعلام النبلاء للذهبي** وأكثر ما اعتمدت في هذا المجال كتاب الأعلام للزركلي وقد احتوى تقريبا على كل الأعلام التي تعرضت لها . وكان التعامل معه في ايراد المعلومة سهلا.

أما بالنسبة للمصادر الأدبية فهي متنوعة.فاعتمدت على **عيون الأخبار لابن قتيبة** (ت276هـ) وكتب **الجاحظ** (ت255هـ)ومنها **البيان والتبيين والتاج في أخلاق الملوك** .وذلك لاعتبار قربهم زمنيا من فترة الدراسة.كما لا يمكني إنكار ما استفدته من كتاب **العقد الفريد لابن عبد**

ربه(ت328هـ) وكتاب **نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري** (ت733هـ)من تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني.

أما المصادر الفقهية ،فاعتدت منها على كتاب **الخراج لأبي يوسف** (ت182هـ) والذي هو في الأساس جاء إجابة عن تساؤلات الخليفة الرشيد الاقتصادية التي تقدم بها إلى قاضي قضاته أبي يوسف فأجابه عنها بوضع كتاب الخراج يكون دستورا اقتصاديا للخلافة.

ويليه في الأهمية كتاب **الأموال لأبي عبيد** (ت224هـ) وهو مصدر غني بالمعلومات المتعقلة بالنظام المالي والاقتصادي للدولة الإسلامية .وكذلك لاعتماده على أسلوب الرواية عند المحدثين. قال عنه الدكتور محمد فرقاني [1]:"دقة المعلومات التي يرويها وفق منهج رواية الحديث ،وأغلب من جاؤوا بعده كانوا عالة عليه." منتقدا إياه :" إلا أن طريقة تحقيقه من قبل خليل محمد هراس – وهي الطبعة التي اعتمدتها – كانت ناقصة ودون الإفادة العلمية التي يتبوأها هذا المصدر.ولذا فالكتاب بحاجة إلى تحقيق من جديد وفق ما وصل إليه منهج التحقيق العلمي في الوقت الراهن."

ويلي هذين المصدرين كتاب **الخراج ليحيى بن آدم القرشي**(ت203هـ) من تحقيق :حسين مؤنس. ومعلوماته دقيقة وواضحة.

كما استعنت ببعض مصادر النظم الإدارية والتي وجدت فيها فوائد جمة.ومن هذه المصادر :

كتاب **الورزاء والكتاب للجهشياري**(ت331هـ) وهو مصدر مهم. فيه معلومات قيمة تتعلق بالهيئة الإدارية المسيرة للدولة الإسلامية .بدءا بالعهد النبوي وانتهاء بالعصر العباسي الثاني .وكذلك كتاب **الأحكام السلطانية للماوردي**(ت450هـ)وتكمن فائدته في ذكره لأصول النظم الإدارية التي سارت عليها الدولة الإسلامية.خاصة الموارد المالية والنفقات بحسب الأصول الشرعية المحددة في الكتاب والسنة واجتهادات الخلفاء الراشدين.

---

(1) السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز،ص4-5.

و لا أنسى ذكر أهم المصادر الجغرافية التي لا تخلوا من معلومات تاريخية قيمة –وإن وردت عرضا- إلا أني استفدت منها أكثر في ايراد الأماكن والمدن والأنهار وغيرها من جغرافية الدولة الإسلامية في فترة الفترة. ومنها:**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي** ويليه كتاب **المسالك والممالك لابن حوقل** ، وكتاب **البلدان لأبي الفداء**(ت733هـ) وكتاب **آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني** وأخيرا كتاب: **معجم البلدان لياقوت الحموي**(ت626) وهي كلها مصادر تقدم معلومات مفصلة عن بلاد

خراسان والعراق وايران ، وهي معظم الأماكن التي استغرقها البحث مكانيا.مما يجعل المعلومات التاريخية تكون في سياق جغرافي يكسبها ضبطا وتحديدا.

ب/ أهم المراجع:

اعتمدت على مراجع حديثة كثيرة بعضها ذو صلة كبيرة بالموضوع ،أو فترة الدراسة.مثل كتب فاروق عمر فوزي :**طبيعة الدعوة العباسية ،الخلافة العباسية،الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي** وغيرها فقد أفدت منها كثيرا خاصة في الحديث عن الدعوة وتكوين الدولة العباسية.ومدى التزامها بالوعود التي قطعها الدعاة أمام الجماهير العريضة للاستقطاب أيام الدعوة.

كما أني لا أنكر ما أخذته من فائدة من دراسة بشار قويدر :**الإصلاح السياسي والاجتماعي في الدولة الإسلامية من خلال رسالة الصحابة لابن المقفع** .حيث أجاد فيها عرض وتحليل للمساوئ التي تعرض لها ابن المقفع في رسالته إلى المنصور بالمعالجة.

وأفدت كثيرا أيضا من كتاب وهو عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان :الجيش في العصر العباسي الأول.في الحديث عن تنظيم الجيش العباسي حتى أصبح جيشا نظاميا .له مهمته الوحيدة وهي الدفاع عن الأرض والعرض دون أية أعمال أخرى.دون أنسى ذكر مرجع مهم أفادني برسالة الصحابة لابن المقفع في إخراج جميل.وهو كتاب **جمهرة رسائل العرب** لنجيب زكي صفوت.

أما الكتب التاريخية التي تناولت الجوانب التاريخية والحضارية للفترة المدروسة .والتي وجدت فيها معلومات في غاية الأهمية والوضوح.منها:كتاب **المهدي العباسي** لعلي حسن الخربوطلي.وكتاب **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق** لمحمد حمال الدين سرور.

أما عن المعاجم والموسوعات فقد استنت منها في ايضاح بعض المعاني اللغوية. ولم أمتنع عن الاستفادة العلمية مما تحويه من معلومات قيمة.ومنها:

معجم لسان العرب لابن منظور.والمعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرين،وكذا **تاج العروس للزبيدي.**

ومن الموسوعات :موسوعة السياسة،ودائرة المعارف الإسلامية.

أما المراجع المترجمة والتي كانت الاستفادة منها —على قلتها– لا تنكر و ذلك لكثرة المادة التاريخية في مراجع التاريخ والأدب المؤلفة باللغة العربية .غير أن هذا لا ينفي أهميتها :

يوليوس فلهاوزن:الدولة العربية،وغوستاف لوبون:حضارة العرب ،وفيليب حتي:تاريخ العرب.

وفي الأخير أود أن أشير إلى أن هذا العمل لم يكن ليرى النور –بعد عون الله وتوفيقه– لو لم يحظ بالمتابعة الجادة من طرف المشرف الدكتور يوسف عابد. والذي وجهني ونصحني. وكان قدوة لي في الأخلاق والعمل الدؤوب.وأتعب نفسه كثيرا في قراءة وتقويم الاعوجاج الذي حصل في العمل. فجزاه الله كل خير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي: **الدعوة العباسية وحتمية الإصلاح**

أولا: إعدادات العباسيين لدعوة التغيير.

ثانيا : مدى استجابة الناس للدعوة العباسية.

ثالثا : برنامج العباسيين الإصلاحي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن المتتبع لتاريخ الأمم والشعوب يجد فيه أمرا عجبا . أمة تلو أمة وشعب عقب شعب .وفي هذا التوالي بيان لسنة ربانية هي سنة التدافع . وكثيرا ما ذكر لنا التاريخ أن هذا التعاقب والتدافع يكون بأساليب وطرق شتى ، سلمية أحيانا وعنيفة أحيانا أخرى.وكان لزاما على الجيل الحاكم أن تؤخذ عليه مثالب ومؤاخذات، يعتمدها الجيل اللاحق كتبرير لجدوى وجوده . ويتخذ منها دعامات لشرعية حكمه. وعلاوة على ذلك ، يتعمد الطامح لتغيير الحكم إلى التخفي والإعداد في السر،وهو ينخر عود النظام القائم ويقوض أركانه ليحل محله.ولعل هذا الأسلوب هو ما اعتمده العباسيون في إسقاط النظام الأموي وتولي مقاليد الحكم.

أولا : إعدادات العباسيين لدعوة التغيير.

رأى الدعاة العباسيون أن نجاح دعوتهم منوط بالسرية التامة.واستعملت لهذا الغرض رجالا كتومين.وبدأوا من أقصى أقاليم الخلافة مبالغة في الحيطة والحذر مخافة انكشاف الأمر.وأدركوا أهمية العمل المنظم فكانوا يعملون على أساس من التنظيم متين.

فقد استغل الدعاة العباسيون أول الأمر الفوضى العارمة التي انجرت عن سوء سياسة الأمويين الأخيرين نتيجة ضعف خلفائهم ، فتوجهوا بأنظارهم صوب " أقوى الأحزاب المعارضة للدولة الأموية وهو حزب الهاشمية الذي يضم علويين وعباسيين على السواء ، وأنصارهم من الموالي والعجم الذين آثروا الانضمام إليه دون غيره من الأحزاب المعارضة الأخرى"[1]متسترين بستاره ومتزيين بزيه ، فانساقوا وراء تيار المعارضة غير مظهرين لنواياهم الحقيقية ، سوى الغضب والنقمة على النظام القائم وعدم شرعيته.

ولم يكن اعتماد العباسيين في بدء دعوتهم على مجرد جماعات ركبت موجة السخط العام ، وإنما استغلوا عناصر أفادت تعبئتها في استقطاب قاعدة جماهيرية عريضة."فبعد أن استشهد الحسين في كربلاء انتشر التشيع في أنحاء الدولة العربية ، ففريق من الشيعة قال إن الخلافة انتقلت من الحسين إلى ابنه علي زين العابدين ، وعرف هؤلاء بالشيعة الإمامية ، بينما قام فريق آخر يتزعمه المختار بن عبيد الله الثقفي[2] وقائد حرسه أبو عمرو كيسان . وكان مولى من موالي الفرس . بالدعوة لمحمد بن علي بن أبي طالب

---

(1) السيد عبد العزيز سالم :**دراسات في تاريخ العرب: العصر العباسي الأول**، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، ص 17.

(2) هو المختار بن عبيد الله الثقفي: (1-67هـ) من الزعماء الثائرين على بني أمية.وأحد الشجعان الأبطال من أهل الطائف .دعا إلى إمامة محمد ابن الحنفية.شاعت عنه أخبار بأنه ادعى النبوة. قتله مصعب بن الزبير أمير البصرة . (الزركلي:**الأعلام** ، دار العلم للملايين،بيروت،192/7)

المعروف بابن الحنفية [1] مؤلفا فرقة من غلاة الشيعة نسبت إليه مرة وعرفت بالمختارية ، وإلى صاحب شرطته وحرسه مرة ثانية وعرفت بالكيسانية،وإلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية مرة ثالثة وعرفت بالهاشمية"[2] "ولما توفي محمد بن الحنفية (81 هـ / 700 م) الذي كان يزهد في الخلافة لنفسه ، اضطربت أفكار الشيعة وتعددت فرقهم . وفي هذه الآونة أقام عبد الله بن عباس وابنه محمد بالحميمة التي كان الوليد ابن عبد الملك[3] أقطعه إياها ، ونزل بها عنده أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية عندما اتضحت له النوايا السيئة التي كان يضمرها سليمان بن عبد الملك نحوه". [4]

يقول ابن الأثير :" في سنة 100 هـ وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس [5] الدعاة في الآفاق وكان سبب ذلك أن محمد كان ينزل أرض الشراة [6] من أعمال البلقاء بالشام، فسار أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى الشام إلى سليمان بن عبد الملك[7] فاجتمع به فأحسن صحبته واجتمع أبو هاشم بسليمان

-

(1) هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ،سبة إلى أمه خولة بنت جعفر الحنفية،ولدفي العام الذي توفي فيه أبو بكر ،وكانت الشيعة في زمانه تتغالى فيه ،وتدعي إمامته ،ولقبوه بالمهدي .ويزعمون أنه لم يمت .يكنى أبا القاسم.كان ورعا كثير العلم .توفي في المحرم من سنة 81هـ،ودفن بالبقيع.وعمره65سنة.(شمس الدين الذهبي **سير أعلام النبلاء** ،أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرناؤوط، حقق هذا الجزء مأمون الصاغرجي ، مؤسسة الرسالة،127/4،115،111،110) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش في العصر العباسي الأول (132–232هـ)**دار جدلاي ،عمان ،الأردن، ط 1 ، 1420هـ/2000م ،ص28، مصطفى الشكعة : **إسلام بلا مذاهب** ، الدار المصرية اللبنانية ط 10 ، 1994 ص 189وما بعدها

(2) محمد المناصير :المرجع السابق، ص 28،عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص18.

(3) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو العباس الأموي الدمشقي بويع له بالخلافة بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي وكان مولده سنة تسعين وقيل ثنتين وتسعين وقيل سبع وثمانين وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله ومع ذلك إنما قتل لفسقه وقيل لزندقته.ابن كثير :**البداية والنهاية9**/161-166 ،الذهبي :المصدر السابق 4/347-348.

(4) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص18.

(5) هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي القرشي ،أول من قام بالدعوة العباسية ،وهو والد السفاح والمنصور ،ولي إمامة الهاشميين سرا في أواخر أيام الدولة الأموية..وهو في عمله أشبه برئيس جمعية سرية تهيئ أسباب الثورة.وكان عاقلا حليما جميلا وسيما (خير الدين الزركلي :**الأعلام**، 271/6)

(6) أرض الشراة نسبة ألى الخوارج الذين أخذوا التسمية من قوله تعالى :"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة..."**سورة التوبة 111.ذلك أن الشاري هو الذي مفرد الشراة اسم فاعل من الشراء.ويزعمون أنهم سموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله على أن لهم الجنة، وأما غيرهم فإنهم يفسرون ذلك على أن الشاري اسم فاعل من : شرى الشر ، من باب رضى ، إذا استطار وزاد وتفاقم (الأشعري أبو الحسن علي بن اسماعيل(ت 330هـ) : تح ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، محمد محي الدين عبد الحميد،168/1)**

فأكرمه وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه، فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه في لبن، فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد الحميمة [1] من أرض الشراة ، وهو يريد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فعرفه حاله واعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده، واعلمه كيف يصنع ثم مات عنده[2]

وكان أبو هاشم قد اعلم شيعته من أهل خراسان والعراق عند ترددهم إليه أن الأمر صائر إلى ولد محمد ابن علي وأمرهم بقصده بعده فلما مات أبو هاشم قصدوا محمد وبايعوه فدعوا الناس إليه فأجابوهم وكان الذين سيرهم في الآفاق جماعة[3] فوجه ميسرة إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال إبراهيم بن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدعاء إليه والى أهل بيته فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي فدفعوها الى ميسرة فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ". [4]

"والظاهر أن أبا هاشم عندما أحس بالسم يسري في جسده وأدرك دنو اجله ، قد أمد محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بأسماء دعاة الشيعة في الكوفي التي كانت المركز الرئيسي للدعوة الشيعية في العراق وخراسان. أو انه سلمه كتبا يبعثها إلى هؤلاء الدعاة توكيدا لوصيته. وما كاد أبو هاشم يموت حتى قصد الشيعة محمد بن علي العباسي فبايعوه وريثا في الإمامة ، ثم عادوا إلى مراكزهم ، وبدأوا في نشر الدعوة لمحمد بن علي العباسي عن طريق الدعاة "[5]

---

(1) الحميمة:بلد من أرض الشراة من أعمال الشام عمان في أطراف الشام كانت منزل بني العباس.(الحموي :**معجم** 353/2)

(2) الطبري :**تاريخ** 562/6، طبعة دار المعارف ،ابن الأثير : الكامل في التاريخ،راجعه محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1427،4هـ/2006م، 322/4،عبد العزيز سالم :المرجع السابق ص18-19.السيد عبد العزيز سالم : **العصر العباسي الأول** ، ص19.

(3) الطبري : **تاريخ** 562/6 ، ابن الأثير : **الكامل** 322/4.

(4) الطبري :المصدر نفسه ، ابن الأثير : المصدر نفسه.

(5) السيد عبد العزيز سالم:**العصر العباسي الأول** ، ص 19.

ولم يكن اختيار العباسيين لقادة الدعوة مرده لنسب القادة وحسب وإنما كانوا يراعون فيهم أيضا الكفاءة النادرة والذكاء الحاد والنشاط الدءوب والعمل المتواصل في ضوء رجاحة العقل وحسن التصرف ، وقد توافرت هذه الصفات في محمد بن علي ،فكان أقدر على تقدير أبعاد الموقف تقديرا واقعيا. فأدرك بثاقب نظره أن الدعوة يجب أن تتخذ منطلقا بعيدا عن مركز الخلافة الأموية. كما أدرك التزام السرية التامة لأهدافها البعيدة[1]

وبمقتضى هذا التنظيم السري فقد توزع عدد من الدعاة في العراق وعدد آخر في خراسان ،فكانوا يتنكرون في ثياب التجار أو الحرفيين أو المؤدبين، ثم يندسون بين الناس دون أن يعرفهم أحد[2]

وكان من الطبيعي أن يراسل الإمام عامليه في الآفاق يزودهم بإرشادات ، ويوجههم بثاقب نظره ، ولكن في هذا المرة فقد جرت الرياح بما لا تشتهي السفن . فقد صادف وأن سقطت مراسلة من إبراهيم الإمام موجهة إلى أبي مسلم في يد عين من عيون مروان بن محمد فيها لأبي مسلم بقتل كل من يتكلم العربية بخراسان . [3]

فكان أن استقصى مروان بن محمد أمر إبراهيم الإمام وبعث من يأتيه به من الحميمية .وعندما حضر رسول مروان وهو مزود بصفات موصوفة له ابتداء ، فكان صاحب الأوصاف المذكورة هو أبا العباس السفاح . فهم بأخذه ، فقيل له في ذلك بأنه أمر بإبراهيم ولم يؤمر بأبي العباس ، ولما تظاهر عنده الأمر أخذ إبراهيم وترك أبا العباس . [4]

وحين أخذ إبراهيم للمضي به إلى مروان استسلم للأمر الواقع ، ورأى بأن ذاهب إلى أجله ولا أمل في حياة الحرية لاحقا "فنعى إلى أهل بيته حيث شيعوه نفسه . وأنرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله ابن محمد ، وبالسمع له والطاعة وأوصى إلى أبي العباس وجعله الخليفة من بعده ". [5]

---

(1) السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق ، ص22 .

(2) المرجع نفسه ص22 ، الخضري : **الدولة العباسية** ، ص22 ، حسن محمود وأحمد إبراهيم الشريف : **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 16،17.يوليوس فلهاوزن:**الدولة العربية**،نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،ط2،ص 478، حسن محمود ، المرجع السابق، ص17

(3) الطبري: **تاريخ** 422/7 ، ابن الأثير : **الكامل** 63/5.

(4) الطبري:المصدر نفسه،ابن الأثير:المصدر نفسه.

(5) المسعودي :**مروج الذهب ومعادن الجوهر**،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الفكر،258/3.

وفي المقابل فإن عناصر التنظيم العباسي الآخرين لم يستكينوا ولم يوقفوا العمل من أجل مهمتهم الكبرى وهي إنجاح الدعوة وإقامة الدولة واستجابوا لدعوة الإمام وهو في سجنه بحران عند مروان "بأن أثبت الوصية وجعلها إلى أخيه أبي عبد الله بن محمد ، وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وألا يكون له بعده بالحميمة لبثٌ ولا عرجة حتى يتوجه إلى الكوفة فإن الأمر صائر إليه. "[1]

"فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته منهم عبد الله بن محمد وداود بن عيسى وصالح واسماعيل وعبد الصمد بنو علي ، ويحيى بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن علي وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام . حتى قدموا الكوفة في صفر فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد بن مولى بني هاشم في بني أود ، فأطعمهم غداء وعشاء ،وكتم أمرهم نحوا من أربعين ليلة عن جميع القواد والشيعة "[2]

إذا علمنا من طبائع النفوس المريضة خاصة أنها سريعة الاستجابة للعروض المغرية ، فتكون النتيجة هي الخيانة والبوح بالأسرار الدفينة والأمور العظيمة كأسهل من شربة ماء يشربونها. إذ لما عرض مروان بن محمد على رسول إبراهيم الإمام مزايدة على ما أعطى الإمام من الأجرة قائلا :"هذه عشرة آلاف درهم لك ،وإنما دفع إليك شيئا يسيرا ، وخذ هذا الكتاب إلى إبراهيم ، ولا تعلمه بشيء مما جرى ، وخذ جوابه فائتني به ففعل الرسول ذلك ." [3]

ولم يكن من السهل إثبات إدانة رجل مثل إبراهيم الإمام ذي المهابة والوقار ، لولا أن مروان وبعد خطب طويل جرى بينه وبين إبراهيم علم من خلاله الإمام أنه أتي من مأمنه ، لاسيما بعد أن أغلظ له مروان ونفقه (وصمه بالنفاق) وأخرج له شاهدا من أهله وهو رسوله إلى أبي مسلم أمسكه مروان . [4]
وأصعب شيء على الإنسان تحمله ، أن يؤتى من مأمنه ، ويطعن في ظهره ، من قبل من أمنه ووثق به وكان هذا الأمر أضر نفسية إبراهيم الإمام من السجن ذاته.

---

(1) المسعودي:المصدر السابق ،ص267.
(2) الجهشياري:**الوزراء**، ص 57،ابن الأثير:المصدر السابق 64/5.
(3) المسعودي:**مروج الذهب3**/ 267.
(4) المصدر نفسه ، ص259.

فقال لهم: ... وقد رأيت من اختار منكم اثني عشر رجلا فيكونونا نقباء على من يجيب دعوتكم وضمناء عليهم من رضوا إيمانه وعرفوا صحته واخذوا بيعته ، ومن اتهموه حذروه واحترسوا منه ، وتلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في من اخذ من النقباء على الأنصار حين بايعوه فكانوا هم الضمناء على أصحابهم والموثوقين لهم منهم ، وتلك سنة موسى وأصحابه،وليس للنقيب أن يدعى الفضل على غيره بالنقابة وإنما الفاضل بالعمل [1]

فعملا بقوله تعالى :" واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا "[2]وقوله جل جلاله: " وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا "[3] "وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافاه ليلة العقبة سبعون رجلا من الأوس والخزرج[4] فبايعوه فجعل منهم اثني عشر نقيبا . فاجمعوا على اختيار الإثنى عشر نقيبا من أهل مرو[5] " [6]

وكان النقباء وحدهم الذين يعرفون إمام الوقت ، ويتصلون به عن طريق كبير الدعاة المقيم بالكوفة ، كما يسمح لأحدهم وهو سليمان بن كثير الخزاعي بالاتصال المباشر بالإمام بالحميمة .[7]

---

(1) مؤلف مجهول من القرن الثالث: **أخبار الدولة العباسية**،تح عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،ص 213.

(2) **سورة الأعراف 155**.

(3) **سورة المائدة 12**.

(4) الأوس والخزرج:قبيلتان عربيتان تشكلان الأنصار،تنسبان إلى الأخوين أوس وخزرج ابني حارثة بن ثعلبة.(القلقشندي:**نهاية الأرب في أنساب العرب** ، ص 94.52)

(5) مرو:من أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرا.وأطيبها مخبرا.بناها ذو القرنين.(القزويني:آثار البلاد في أخبار العباد،دار صادر،بيروت،ص 456)

(6) الطبري: **تاريخ** 562/6،**أخبار الدولة العباسية** ، ص 217،216،215،البلاذري :أنساب الأشراف 158/4، ابن الأثير:الكامل 20/5، فاروق عمر فوزي :**الثورة العباسية** ، ص 116.

(7) الطبري:**تاريخ** 562/6.ابن الأثير:**الكامل** 322/4.محمد عليان :**قيام الدولة العباسية** ،ص 58.

"وكان لكل داعية اثني عشرة نقيبا ولكل نقيب سبعون عاملا يديرون الوحدات المتفرعة ويشرفون على الخلايا السرية المنبثة في مختلف الأقاليم. وكان الدعاة والنقباء يتميزون بإخلاصهم الشديد للدعوة وتفانيهم في نشرها كما كانوا يتصفون ببعد النظر والقدرة على فهم نفسيات الناس وتمييز عناصرهم تمهيدا لاجتذابهم إلى دعوتهم وبالبراعة في التخفي والتنكر، مع حظ كبير من الثقافة والعلوم الدينية واللغوية. [1]

"وكان أتباع الدعوة يدفعون الخمس للإمام ليعينه هذا المال على القيام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.وكان النقباء عادة ينتهزون فرصة الحج ليلتقوا بالإمام ويسلموه المال والهدايا ، فقد حملوا إليه مرة عشرة آلاف دينار ومئتي ألف درهم. كما بعثوا مرة أخرى مئة ألف درهم وأشياء عينية من مسك ومتاع كثير قيمتها ثلاثون ألف درهم سيرها كلها متاعا" [2]

وكان لكل نقيب نظير بمثابة نائب يخلفه بعد وفاته ، ولا خلاف في عدد النقباء فهم اثنا عشر نقيبا ، أما نظراء النقباء فقد اختلف فيهم فذكر بعض أهل العلم أن نظراء النقباء عشرون رجلا،وأن السبعين سوى الإثني عشر النقباء.[3]

وكان مقياس التفاضل بين النقباء هو العمل وليس شرف منصب النقيب فقد قال لهم أبو هاشم :" ولا تحاسدوا ولا تنافسوا في النقابة فإن الفضل في لك على ما وصفت لكم من العمل لا بالنقابة." [4]

فاستوت الدعوة العباسية على عرش خراسان بفضل رجالها الكتومين ودعاتها الموهوبين فلم واحد منهم باسم الإمام الذي تعمل من أجله ، مما فوت الفرصة على الأمويين للقضاء على حركتهم وهي في مهدها . [5]

---

(1) محمد عليان: المرجع نفسه ،ص 58.

(2) فاروق عمر فوزي :**الثورة العباسية** ،ص19.

(3) **أخبار الدولة العباسية** ،ص 218،219 وانظر:محمد عليان : المرجع السابق ،ص 58.

(4) المصدر نفسه ،ص 215.

(5) فاروق عمر فوزي:المرجع السابق ،ص 72-73.

ثانيا : مدى استجابة الناس للدعوة العباسية .

لم تكن الدعوة العباسية دعوة من أجل مجرد الثورة وحسب.وإنما جاءت تعبيرا عن الشعور بكثير من القلق والاستياء إزاء ما خلفته سياسة النظام الأموي. لا سيما حيال ما يتعلق بالأجناس المختلفة التي طالما أشعرهم الأمويون أنهم دون العرب مرتبة وفضلا . الأمر الذي فسح المجال واسعا أمام الجماهير العريضة من الناس للاستجابة لنداء الدعوة . وبصفة عامة الشعب المتضررين من مساوئ الحكم الأموي.بغض النظر عن أعراقهم وأنسابهم وتوجهاتهم.

1/ دور الفرس :

احتاج الدعاة العباسيون بعد وفاة محمد بن علي سنة 125 هـ / 742 م إلى وجه جديد يتوقد حدة وذكاء يستنيرون بنصحه وإرشاده .ولم يكن لمحمد بن علي نفسه أن يترك الأمر هملا دون أن يوصي بمن يقوم على شأن الدعوة من بعده، فعهد إلى ابنه إبراهيم الإمام الذي تسلم القيادة وبدأ وجه جديد فعال للدعوة . وحيث ساءت الحالة في خراسان وانقسم العرب فيها إلى كتلتين رئيسيتين [1] يقود أحدهما نصر بن سيار والي خراسان الذي بعث إلى مروان بن محمد كتابا . وهو بين الري وخراسان- يذكر فيه خروجه من خراسان ، وأن هذا الأمر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد [2]

وضمن كتابه الأبيات الآتية[3] :

إنا وما نسكتم من أمرنا كالثور إذا قرب للناخع .

أو كالتي يحسبها أهلها عذراء بكرا وهي في التاسع .

كنا نرفيها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقع.

كالثوب إذا نهج فيه البلى أعيا على ذي الحيلة الصانع.

---

(1) فاروق عمر فوزي:**الخلافة العباسية** 19/1.

(2) المسعودي:**مروج الذهب3**/258 .

(3) المصدر نفسه .

وإزاء هذا الوضع المتردي تخمرت فكرة الدعوة في أوساط الأتباع ، وبدوا في حاجة إلى شيء من الرسميات. عندها أدرك العباسيون بأن ظروف الثورة قد اختمرت وأن الوقت قد حان لإعلانها . [1]

ومن التشريفات التي تصبغ الأمر بالقداسة الرسمية من قبل الإمام ،فطلب النقباء الخراسانيون سنة 128 هـ / 745 م في خراسان من إبراهيم الإمام إرسال من ينوب عنه من أهل البيت ليكون ممثلا له أثناء إعلان الثورة . وبعد محاولات إبراهيم الإمام في إقناع عدد من الرجال مثل سليمان بن كثير وقحطبة الطائي وإبراهيم بن سلمة لكنهم اعتذروا عن تقلد هذا المنصب الشريف والخطر في الوقت نفسه، فقرر اختيار مولاه أبي مسلم ليمثله في خراسان [2]

وقد اختلف المؤرخون في نسب أبي مسلم وقصة اتصاله بالعباسيين وذهبوا في ذلك عدة مذاهب :

يقول المسعودي :"وقد تنوع الناس في أمر أبي مسلم : فمن الناس من رأى أنه من العرب ، ومنهم من رأى انه كان عبدا فأعتق ...وكان قهرمانا لإدريس بن إبراهيم العجلي ثم آل أمره ونمت به الأقدار إلى أن اتصل بمحمد بن علي ثم بإبراهيم الإمام." [3]

ويقول ابن الأثير : " لقد اختلف الناس في أبي مسلم فقيل ,كان حرا واسمه إبراهيم بن بشار بن سدوس ابن حود زده من ولد بزر جمهر و يكنى أبا إسحاق , ولد بأصبهان[4] ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين.[5]

ويقول ابن أعثم الكوفي :"كان أبو مسلم غلاما حدثا ، وكان يعمل في" السواجير"[6] واسمه عبد الرحمن بن مسلم .كان يخدم قوما من بني عجلان بخراسان . يقال لهم بنو عيسى بن معقل. وكان أبو مسلم مع ذلك غلاما لبيبا ، حسن الأدب والفهم . فوقع في قلبه حب بني هاشم ." [7]

---

(1) فاروق عمر فوزي:**الخلافة العباسية** 19/1.

(2) الطبري:تاريخ 353/7،فاروق عمر فوزي:**الثورة العباسية** ، ص85.

(3) الطبري:المصدر نفسه، ص 198-199،المسعودي:المصدر السابق 243/3.

(4) أصبهان :كانت بالموضع المعروف ب "جي" وهو الآن يعرف بشهرستان .وقد خرجت أصبهان علماء وأئمة في كل فن ما لم تخرج مدينة من المدن .فتحت زمن عمر بن الخطاب سنة 19 هـ بقيادة عبد الله بن عتبان صلحا(الحموي:**معجم**247246/1.).

(5) ابن الأثير:**الكامل** 21/5.

(6) السواجير : جمع ساجور وهي العصاة التي تعلق في عنق الكلب . والسواجير نهر مشهور من عمل منبج بالشام. (الحموي:**معجم** 309-308/3)

(7) **كتاب الفتوح** 315/8. وانظر الطبري:**تاريخ**،7/ 198-199.

ويقول صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية :"كان أبو مسلم من أهل أصبهان ولد في نزل عيسى ابن معقل العجلي .ونشأ مع ولده فقطع الطريق على قوم من التجار في ضياع عيسى بن معقل...وكان أولاد عيسى بن معقل العجلي وأخيه عاصم اللذين كانا يمتلكان مزارع في كل من أصبهان والكوفة ، ولما بلغ السابعة من عمره انتقل إلى الكوفة للخدمة في مزارع آل العجلي هناك . وصار مولى لهم ، وكان عيسى وأخوه عاصم من رجال خالد بن عبد الله القسري . فلما عزل هذا الوالي عن العراق سنة 120 هـ وحل محله غريمه يوسف بن عمر نكل به ووضع أصحابه في السجن ومنهم الأخوان عيسى وعاصم. وهنا أظهر أبو مسلم إخلاصا نادرا لهما . إذ كان يتردد على السجن كثيرا لخدمتهما وتنفيذ ما يطلبانه منه." [1]

وكان بهذا السجن بعض شيعة بني العباس . و"كان أبو مسلم يختلف إلى عيسى بن معقل وهو في السجن يسمع كلام الشيعة هناك ، فأحبه وهويه ووقع في خلده . فكان يخاتل عيسى بن معقل فإذا رآه جالسا في جانب السجن يتحدث عند قوم آخرين دخل أبو مسلم إلى أولئك الشيعة فتحدث معهم . فلما رأوا حبه لأمرهم وحرصه على كلامهم أطلعوه على رأيهم ودعوه إليه ورسخ فيه بصيرته حتى أفضوا إليه أسرارهم ووثقوا به." [2] " وكان من في السجن بالكوفة يرسلون أبا مسلم في حوائجهم ويبلغ شيعة أهل الكوفة رسائلهم حتى وثقوا به واستأمنوه إليه , وعظم قدره عندهم فوجهوا إلى إبراهيم الإمام رسولا" .[3]

وحدث أن خرج بعض النقباء بالكوفة في طريقهم إلى مكة للقاء بإبراهيم الإمام ، فبعث معهم شيعة الكوفة أبا مسلم وكتب معه بكير بن ماهان كتابا جاء فيه :" أما بعد ... فقد بعثنا إليك غلاما أمينا لبيبا أديبا كتوما حافظا لما استرعي ، مؤديا لما أعطي ، اتخذناه لأنفسنا،وائتمناه على سرنا فهو على ما تحب ، فضع عنده ما أحببت أن تضع .فإنه على ما تحب في جميع خصاله . [4]

---

(1) **أخبار الدولة العباسية** ،ص 252.

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه،253.252 .

(4) المصدر نفسه ،ص 260، محمد عبد الفتاح عليان : **قيام الدولة العباسية**، ص 76.

يقول الطبري : " لما اضطرب الحبل بخراسان كتب سليمان بن كثير إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم فبعث أبا مسلم. "[1]

ويبدو أن دعاة خراسان كانوا يرون أن من مصلحة الدعوة العلنية أن يقودها أحد أفراد البيت العباسي نفسه . ولذا عارضوا في البداية اختيار أبي مسلم الخراساني لهذا الغرض إلا أن إبراهيم الإمام تمسك به" . [2]

ويقول الطبري أيضا : " أعلمهم إبراهيم الإمام انه أجمع رأيه على أبي مسلم وأمرهم بالسمع والطاعة له ثم قال : " يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت ." [3]

ولا شك أن إبراهيم الإمام كان قد خبر أبا مسلم ولمس قدراته على الاضطلاع بقيادة أنصار العباسيين بخراسان فضلا عن إخلاصه الكبير للدعوة العباسية وولائه لأئمتها ، ولذا وقع اختياره عليه أميرا لآل محمد .

"وأيا ما كان الأمر , فان أبا مسلم لما اتصل بإبراهيم الإمام ازدادت ثقة الأخير به على مر الأيام ,بعد أن تكشفت له مواهبه الفذة , وتبين له إخلاصه البالغ للإمام ودعوته , ومن مظاهر الثقة بأبي مسلم وقوع الاختيار عليه لمصاحبة كبير الدعاة له إلى مرو سنة 126هـ [4]

ويرى الدكتور محمد عبد الحي شعبان أن السبب الذي حمل إبراهيم الإمام على إرسال أبي مسلم إلى خراسان سنة 128هـ .هو رأي جد وجيه . مفاده أن أبا مسلم وقع الاختيار عليه بالذات لتفجير الثورة العباسية بخراسان وقيادتها في المرحلة العلنية ، انطلاقا من خطة مدبرة لإخفاء كافة الآثار التي تدل على ماضي هذا الرجل وإظهاره من جديد في صورة وسمة جديدتين . [5]

---

(1) **تاريخ** : 22/6.

(2) محمد عبد الفتاح عليان : المرجع السابق،ص 229.

(3) تاريخ : 23/6،22، البلاذري:**أنساب الأشراف** 163/4-164.

(4) محمد عبد الفتاح عليان: المرجع السابق ،ص77.

(5) **الدولة العباسية(الفاطميون)**132-448هـ/750-1055م،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،1981 ، ص 40.

2/ دور العرب في الدعوة.

لم يكن الوجود العربي بخراسان حديث العهد بالدعوة العباسية فحسب ، وإنما تصل جذوره إلى أيام الفتوحات الأولى زمن الخليفة عثمان بن عفان ، وتدرج وجود العرب وتوطد أكثر في العصر الأموي. حيث بدأت موجات كبيرة من العرب تهاجر إلى خراسان مستوطنة هناك

فكانت سياسة الأمويين منذ البدء هي العمل على إنشاء قواعد ثابتة يقيم فيها المقاتلة العرب بصورة دائمة في خراسان وذلك لإقرار الاستقرار والأمن وللجهاد على الحدود الشرقية."ويستطيع الإنسان أن يلاحظ أن زيادا وقد ولي على البصرة والولايات التابعة لها في المشرق وهي خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان ،أراد أن يخفف من حدة التوتر السياسي في العراق ، وذلك لأنه حول خمسين ألفا من أهل الكوفة والبصرة بعيالاتهم إلى خراسان وأسكنهم فيما وراء النهر" في حوالي سنة 45 هجرية /665م [1]

ثم تمت المرة الثانية للاستيطان العربي سنة 51هجرية/671م على يد الربيع بن زياد الحارثي . حيث نقل 50 ألفا من المقاتلة إضافة إلى عوائلهم منهم خمسة وعشرون ألفا من أهل البصرة وخمسة وعشرون ألفا من أهل الكوفة وأسكنهم خراسان. [2]

وكانت الحركة العباسية السرية قد اتخذت مسارا جديدا بعد الاضطرابات التي حصلت في الشام والأقاليم وبدأ التهيؤ للثورة ، ففي رواية أن بكير بن ماهان قال لأبي سلمة الخلال قبل وفاته :" شمر في أمرك فقد فتح الله البلاء على بني أمية ." [3] فانتشر أعضاء التنظيم في خراسان ، " فتحركت الدعوة : يدعو اليماني من الشيعة اليماني ، والربعي الربعي والمضري المضري ، حتى كثر من استجاب لهم" . [4] وذكر الطبري[5] أن أبا مسلم كان لا يزال يختلف إلى خراسان حتى وقعت العصبية بها ، فلما اضطرب الحبل، كتب سليمان بن كثير إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم الإمام ، يسأله أن يوجه

---

(1) بروكلمان :**الدولة العربية** ، ص 115، 120.

(2) فاروق عمر فوزي: **الثورة العباسية** ، ص101.

(3) عبد الجبار ناجي وآخرون :**الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي**، ص 22.

(4) **أخبار الدولة العباسية** ،ص247.

(5) الطبري:**تاريخ** 353/7، عبد الجبار ناجي :المرجع السابق، ص 23.

رجلا من أهل بيته ، فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم فبعث أبا مسلم الخراساني ممثلا له و أرسل معه بعض التوصيات وأمره بعدم مخالفة سليمان بن كثير .

وفي الوقت الذي قضى فيه إبراهيم الإمام نحبه ،كان القادة العباسيون قد جدوا في السير من الحميمة إلى الكوفة بأمر من الإمام ، وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من أهل بيته منهم سرا والمسودة مع أبي سلمة بالكوفة ، فأنزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أود حي من اليمن . [1]

وعندما صح موت إبراهيم الإمام عند أبي سلمة الخلال ،لقي رجالا من شيعة علي رضوان الله عليه ورغب في نقل الخلافة إلى العلويين وصرفها عن العباسيين ، فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد علي وكتب إلى ثلاثة نفر ليعقد الأمر لأحدهم وهم جعفر بن محمد ، وعبد الله بن حسن وعمر بن علي بن الحسين . ووقع الكتب إلى رجل ، وأمره أن يقصد جعفر الصادق[2] بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ، فإن أجاب أبطل كتاب عمر الأشرف بن علي زين العابدين وإن لم يجب قصد عمر فذهب إلى جعفر الصادق ودفع أليه كتاب أبي سلمة فلم يقم له وزنا ولم يحفل بما قدمه رجل الشيعة بخراسان للعلويين حيث قال : مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري ثم وضع الكتاب على السراج فاحترق . [3]

فلقي عبد الله بن الحسين فقبل الكتاب . فحذره جعفر بن محمد فلم يحذر وأشار عليه أن لا يفعل . وأعلمه أن أهل خراسان ليسوا بشيعة . وأن أبا سلمة مخدوع مقتول . وارتاب أهل خراسان بأبي سلمة وتكلموا وقالوا : يا أبا سلمة مالك خرجنا من قعر خراسان ولا إليك دعونا . وما أنت لنا بإمام ؟ ثم واصل طريقه فلقي سابقا الخوارزمي ، وهو غلام كانوا أهدوه لإبراهيم الإمام فسأله أبو حميد عن الخبر فأخبره وصار إلى أبي العباس وأهل بيته فلما دخل أبو حميد عليهم سأل عن إبراهيم الإمام فخبّر بوفاته فعزاهم عنه وسألهم عن ابن الحارثية[4]

---

(1) الطبري:**تاريخ 7**/267،المسعودي:**مروج الذهب3**/243،الجهشياري:**الوزراء** ،ص 56.

(2) هو أبو عبيد الله جعفر الصادق بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب،أحد الأئمة الإثني عشر،على مذهب الإمامية،كان من سادات أهل البيت،لقب بالصادق لصدقه في مقالته _ابن خلكان:**وفيات الأعيان1**/327.

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص 57.

(4) سمي بابن الحارثية نسبة إلى أمه ريطة الحارثية من بني الحرث بن كعب بن كهلان .وكان بنو أمية قد منعوهم من زواج الحارثيات لأنهم قيل لهم :يزول ملككم على يد ابن الحارثية،فلما كان زمن عمر بن عبد العزيز استأذنه والد السفاح فقال له : تزوج من شئت،فتزوج ريطة الحارثية.(ابن العماد:**شذرات الذهب** 195/1)

فأشاروا إلى أبي العباس ، فسلم عليه بالخلافة وقبل يده ورجله وبايعه وسألهم عن سبب مقامهم هناك . فأعلموه أن أبا سلمة أنزلهم تلك الديار نحوا من شهرين وهو بذلك يريد أن يحجب أمرهم عن الناس ، ويحجب اهتمام الناس بهم . [2]

" ثم استمرت هجرات العرب إلى خراسان تتوالى في فترات متقطعة وكانت سياسة أمير البصرة أن يرسل كذلك مثيري الفتن و الاضطرابات وقطاع الطرق من الجماعات القبلية. ولا شك فإن الكثير ممن رغب في الهجرة إلى خراسان بدافع الجهاد والالتحاق بالمقاتلة على الحدود الشرقية للدولة". [3]

يقول الطبري : " إن الحجاج[4] أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجد في ذلك وأعطى الناس أعطياتهم كاملا وأخذهم بالخيول الروائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في عرض الناس ولا يرى رجلا تذكر شجاعته إلا أحسن معونته ." [5]

وفي سنة 96هـ كان بين المقاتلة العرب بخراسان من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف و من بكر سبعة آلاف رئيسهم الحصين بن المنذر.ومن تميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبي.و من عبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان،ومن الأزد عشرة آلاف على رأسهم عبد الله بن حوذان.وكان من المقاتلين من أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن علي [6]

"وأيا كان الأمر فالذي لا شك فيه أن قسما من العرب نزل بداخل بعض المدن.وأن قسما آخر منهم ولعله أكثرهم أقام بالمناطق الغربية منها.ولعل الجنود كانوا يعسكرون خارج المدن.وعلى حدودها حيث الأرض الخالية التي تتسع لهم ولعوائلهم .ولخيولهم.وحيث المكان الفسيح الذي يلائم أمزجتهم وطبيعة حياتهم ".[7]

---

(1) المسعودي : **مروج الذهب3**/228. حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام2**/78،79.

(2) فاروق عمر فوزي:**الثورة العباسية** ،ص 101.

(3) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الحكم بن أبي عقيل الثقفي.عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان،عمل أعمالا كبيرة منها بناؤه واسط سنة 86هـ توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من رمضان سنة 95هـ ابن خلكان:**وفيات الأعيان** 2/ 29 وما بعدها.

(4) **تاريخ** 327/6.

(5) الطبري:**تاريخ** 512/6، بن خيرة نجيب : **الخراسانيون ودورهم السياسي والعلمي** ، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ،1995،ص 21-22.

(6) بن خيرة : المرجع نفسه ،ص 21 -22.

"ولابد أن نضيف إلى تلك البعوث الرسمية موجات أخرى من الهجرات الفردية أو الجماعية كانت تحدث من حين إلى آخر إما لزيارة الأهل والأقارب والإقامة عندهم بخراسان وأما للاشتغال في المرافق الاقتصادية المتعددة[1]

إلا أن الحديث عن أماكن سكنى العرب واستقرارهم في خراسان يبدو أشد صعوبة وأكثر تعقيدا فنحن لا نعرف إن كانوا يستقرون في المدن التي كانوا يفتحونها. أم أنهم كانوا يستقرون على مشارفها. فالأخبار عن ذلك متناقضة . إذ يدل بعضها على أنهم شاركوا أهل البلاد في سكنهم داخل مدنهم .من ذلك ما" يروى أن عبد الله بن عامر حين صالح مرزبان[2] مرو الشاهجان[3] كان في الصلح أن يوسع أهلها للعرب في مساكنهم"[4]

ويرى الدكتور فاروق عمر فوزي أن عملية الاستقرار قد اتخذ أشكالا مختلفة و لكن ما يوجد من معلومات قليلة مبعثرة بين طيات الكتب التاريخية والجغرافية وكتب التراجم لا يعطينا فكرة واضحة عنها , والظاهر أن العرب من أهل خراسان استقروا بصورة دامية أو وقتية في مرو وفي القرى المحيطة بها مثل سيفان وميهرجان وفنين و اللين وغيرها كثير. [5]

ولما كثرت القبائل العربية التي هاجرت إلى خراسان فقد استمرت العداوة التي كانت بينها في القديم في البصرة والكوفة، ومع ذلك فقد كان التعامل تحكمه المصلحة للتعايش في هذه البيئة الجديدة ،وهي في الوقت نفسه تحمل معها عاداتها وتقاليدها القديمة منعا للشعور بالغربة ،ولكن بمرور الزمن ظهرت تكتلات جديدة بين القبائل العربية القبلية القديمة.ولذلك نلاحظ الفخذ الصغير من العشيرة الكبيرة قد ينضم إلى عشيرة أخرى أو إلى تكتل قبلي آخر قوي نظرا لأن مصلحته اقتضت ذلك بغض النظر عن نسبه أو حلفه القديم,وهكذا ظهر زعماء وشيوخ قبائل يتمتعون بنفوذ كبير لا على عشيرتهم فحسب بل على قبائل مختلفة." [6]

---

(1) بن خيرة : المرجع السابق،ص 21 .

(2) المرزبان هو رئيس الفرس.أو الفارس الشجاع المقدم على القوم.وهو دون الملك في الرتبة.(إبراهيم أنيس وآخرون:المعجم الوسيط 341/1)

(3) مرو الشاهجان:هذه مرو العظمى،أشهر مدن خراسان وقصبتها.والنسبة إليها مروزي على غير قياس.وسميت بالشاهجان .وهي كلمة فارسية بمعنى نفس السلطان.لأن الجان هي النفس والشاه هو السلطان،لجلالتها عندهم.بناها ذو القرنين.(الحموي :معجم 132/2- 133)

(4) البلاذري :**فتوح البلدان**،ص 570 ، بن خيرة :المرجع السابق ،ص 19.

(5) **الثورة العباسية**، ص 103-104.

(6) المرجع نفسه، ص101، بروكلمان : **الدولة العربية**، ص 380.

"ويشير الطبري إلى قرى وأماكن سكنها العرب قرب مرو منها قرية بني نصر وقرى سفيذنج واللين وفنين وكلها تابعة لقبيلة خزاعة ثم هناك قي بني العنبر وكنده, وسكن العرب مناطق أخرى غير واحة مرو وقراها مثل مدينة بلخ والقرى(المصانع) القريبة منها . واستوطن قسم منهم في بلاد ما وراء النهر مثل مدينة سمرقند." [1]

يقول بروكلمان : "كان عرب خراسان وخصوصا تميم يعتزون بالتمسك بقوميتهم فمضوا في الشرق الأقصى من الدولة العربية على حياتهم القبلية القديمة وعلى تغنيهم وفخرهم بما يفعلون وبه يشعرون"[2]

ولذلك يمكن القول إن الدعوة العباسية عربية في أصلها وتنظيمها . واستعانت بالفرس لأنهم مادة قابلة للانفجار الثوري . وليس الأمر عكس ذلك . كما هو شائع . ونلاحظ أن بعض رسل الدعوة العباسية إلى خراسان وهم من العرب ، اختاروا لأنفسهم أسماء فارسية ، هناك ، وعرفوا بها ، وذلك في ما نعتقد هربا من أعين السلطة الأموية ويدها البطاشة ، فأبو عكرمة الصادق واسمه زياد بن درهم ، غدا اسمه في خراسان ماهان ... [3]

وكان قحطبة من النقباء البارزين في سماء الدعوة العباسية ،حتى أن صاحب أخبار الدولة العباسية يذكر قحطبة في مقدمة النقباء الإثني عشر. [4]

ففي سنة ثلاثين ومائة قدم قحطبة بن شبيب الطائي من عند الإمام إبراهيم بن محمد .فكان قد لقيه بمكة في الحج سنة تسع وعشرين ومائة وأعطاه الأموال التي حملها إليه، وأرسل معه الإمام كتابا إلى أبي مسلم يخبره فيه أنه ولاه قيادة الجيوش العباسية وأمره بالمسير بها إلى العراق ، لما علم من كفايته ، وما رجاه من إحراز النصر على يديه ، ودفع إليه اللواء ،وكتب له عهدا بذلك وسيرة يعمل عليها ، فسلم أبو مسلم إليه القيادة وضم إليه الجنود ،وجعل له العزل والاستعمال وأمر الجنود بالسمع له والطاعة. [5]

---

(1) فاروق عمر فوزي:المرجع نفسه.

(2) بروكلمان :المرجع السابق،ص 394.

(3) أحمد علبي : **العهد السري للدعوة العباسية (أو من الأمويين إلى العباسيين**)دار الفارابي ،بيروت ، لبنان، ص 108،109 ، بن خيرة : المرجع السابق ، ص 19.

(4) **أخبار الدولة العباسية**، ص 215 وانظر:محمد عليان :**قيام الدولة العباسية** ، ص109.

(5) الطبري:**تاريخ** 388/7، محمد عليان :المرجع السابق، ص105.

يمم العباسيون وجوههم شطر العراق بعد أن غلبوا على خراسان .ومن الملاحظ أنهم أسندوا القيادة العامة في العمليات الحربية بخراسان إلى مولى ، وهو أبو مسلم الخراساني ، ولكنهم أسندوا قيادة جيشهم الزاحف نحو العراق إلى عربي ، وهو قحطبة بن شبيب الطائي". [1]

وإذ هم بجرجان علم قحطبة بذلك ، فتجهز لمناجزتهم على الفور،وكان ذلك في ذي القعدة من سنة 130هـ . ففي رواية أن قحطبة ألفت أنظار جيشه ونبههم إلى حقيقة ما هم مقدمون عليه فقال :

" أتدرون إلى أين تسيرون ؟ ومن تقاتلون ؟ إنما تقاتلون بقية من قوم حرقوا بيت الله عز وجل."

وقدم قحطبة فنزل بإزاء نباتة وأهل الشام .ولما رأوهم أهل خراسان هابوهم ،فحرص قحطبة على أن يثير الحماسة في نفوس جنده ،ويجيش فيهم الشعور بتمسكم بالوطن "خراسان " وبأنهم مظلمون وحقهم مغتصب،وأن النصر حليفهم ، بل هو وعد من الإمام ، فخطابهم بقوله :

"يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم وكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر، وقد عهد إلي الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم ." [2]

ويذكر ابن الأثير أن في هذه السنة ـ 130هـ : "قتل قحطبة من أهل جرجان[3] ما يزيد على ثلاثين ألفا ،وسبب ذلك أنه بلغه عنهم بعد قتل نباتة بن حنظلة أنهم يريدون الخروج عليه، فلما بلغه ذلك دخل إليهم واستعرضهم فقتل منهم العدد المذكور . وفي هذه الأثناء، سار نصر وقد كان بقومس[4]

---

(1) محمد عليان :قيام الدولة العباسية ،ص109.

(2) ابن الأثير :الكامل 5/48-49.

(3) جرجان:أول من بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين .وليس بالمشرق بعد تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان .فتحت صلحا سنة18هـ على يد سويد بن مقرّن.(الحموي:**معجم** 2/140،139-141)

(4) قومس : وهي تعريب كومس،وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع .قصبتها المشهورة دانغان وهي بين الري ونيسابور.(الحموي:**معجم** 4/470)

حتى نزل خوار الري مائة ألف لا تغني شيئا ، فحبس ابن هبيرة رسل نصر .فاشتكى هذا الأخير إلى مروان الذي كتب بدوره إلى ابن هبيرة ،فجهز في نهاية المطاف جيشا كثيفا وجعل عليهم ابن غطيف . عُطيف عند الطبري . وسيرهم إلى نصر". [1]

وكان نصر قد مضى وهو يريد همدان[2] وبالذال عند الطبري . ، وهو مريض شديد المرض يحمل حملا ، فلما صار بساوة [3]هلك بها يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة 131هـ ، و هو ابن خمس وثمانين سنة . [4]

وفي سنة 131هـ كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يستمده ،ولما أبطأ المدد أنشد نصر يقول: [5]

أرى خلل الرماد وميض جمر خليق أن يكون له ضـرام.

فإن النار بالزنـدين توری وإن الفعل يقدمه الكـلام.

أقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيـام.

ولما مات نصر تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان وقويت شوكتهم جدا وسار قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري وكان قد ندم على اتبا ع أبي مسلم فترك الجيش وأخذ جماعة معه وسلك طريق أصبهان ليأتي عامر بن ضبارة [6] فكانت واقعة أصبهان في رجب 131هـ من أكبر الوقائع التي خاضها العباسيون ضد بني أمية في خراسان . ضد جيش ابن ضبارة الذي كان يسمى " عسكر العساكر" فانجلت المعركة عن هزيمة ساحقة للقوات الأموية وقتل ابن ضبارة [7]

وأقبل قحطبة حتى نزل الزاب الأكبر،وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة [8].

---

(1) الطبري :**تاريخ7**/401-402، الجهشياري : **الوزراء** ص 60، ابن الأثير:الكامل52/5.

(2) همدان:مدينة مشهورة من مدن الجبال.قيل بناها همذان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام.لها رقعة واسعة وهواء لطيف وماء عذب وتربة طيبة،ولم تزل محل سرير الملوك.(القزويني:**آثار البلاد** 483)

(3) ساوه:بهاء ساكنة وإبدالها تاء خطأ،وهي مدينة بين الري وهمذان .(ابن قتيبة :**المعارف** ، ص 208)

(4) **أخبار الدولة العباسية** ،ص 303،الطبري:**تاريخ** 7/403-404،ابن الأثير :**الكامل5**/54.

(5) خليفة بن خياط : **تاريخ خليفة** ،مراجعة :مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز ،دار الكتب العلمية،ص 258-259.

(6) الطبري : **تاريخ** 7/403-404،محمد عليان : **قيام الدولة العباسية** ، ص 115.

(7) هو عامر بن ضبارة من بني مرة .وكان سيدا شريفا،بعثه يزيد بن عمر بن هبيرة إلى فارس ليقاتل عبد الله بن معاوية،ولم يزل مع مروان على جيوشه ومن عدده.(ابن قتيبة :**المعارف**،ص 238)

(8) الطبري:**تاريخ** 7/409،ابن الأثير:**الكامل** 58/5.

وغرق قحطبة ولم يعلم به أحد من أصحابه.غير أنهم عندما افتقدوه وجدوا فرسه على شاطئ الفرات وما عليه مبلول ،فعلموا أنه قد غرق في جوف الليل فبايعوا ابنه الحسن.[1]

وقد ذكر ابن الأثير سبب موت قحطبة فقال:

" وكان سبب ذلك أن قحطبة لما عبر الفرات وصار في غربيه ضربه معن بن زائدة[2] على حبل عاتقه فسقط في الماء. وذلك في المحرم لثمان مضين منه وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا على رأس 23 فرسخا من الكوفة وقد اجتمع إليه فل ابن ضبارة فأمده مروان بحوثرة الباهلي .. وكان قحطبة قد قال موته : إذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمد هو أبو سلمة الخلال ، فسلموا هذا الأمر إليه . [3]

ولما صار لأبي سلمة أمر هذا الجيش الزاحف من خراسان على هذا النحو، قرر الخروج على رأس هذا الجيش إلى النخيلة[4] فمكث بها يومين ثم رحل عنها إلى حمام أعين[5] حيث عسكر بها ، وقد أصدر أمره قبل مغادرته الكوفة بتعيين محمد بن خالد بن عبد الله القسري عاملا عليها.[6]

وفي هذه الأثناء خطب أبو مسلم الخراساني للسفاح وأخذ في أسباب بيعة السفاح بالخلافة. يوم ثالث شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين ومائة بويع له بالخلافة .وبلغ ذلك خليفة الوقت مروان بن محمد فسار من الشام في مائة ألف حتى نزل الرأس دون الموصل ،فجهز له السفاح عمه عبد الله بن علي في جيش فالتقى الجمعان على كُشاف في جمادى الآخرة فانكسر مروان وتقهقر إلى الجزيرة وقطع وراءه الجسر وقصد الشام ليتقوى ويلتقي ثانيا بالمسودة ،ولما رأى بأن العباسيين قد حشدوا له ما لا طاقة له به ،هرب إلى مصر وتعقبته الجيوش العباسية،فأردوه صريعا بمنطقة بوصير.[7]

---

(1) **الفتوح** :327/8-328.

(2) هو معن بن زائدة:أمير العرب.أبو الوليد الشيباني،كان من أمراء متولي العراقين(الكوفة والبصرة) يزيد بن أبي هبيرة . فلما تملك آل العباس اختفى معن مدة ،والطلب عليه حثيث،فلما كان خروج الراوندية ،وحمي القتال وحار المنصور في أمره ، ظهر معن وقاتل الراوندية،فكان النصر على يده .ولي سجستان،قتله الخوارج سنة 152هـ وقيل 158هـ (الذهبي :**سير أعلام النبلاء** 97/7-98)

(3) الطبري:**تاريخ**411/7-412،ابن الأثير:**الكامل**/60.

(4) النخيلة:موضع قرب الكوفة من طريق الشام.(الحموي:معجم البلدان 321/5-322)

(5) حمام أعين: مكان بالكوفة منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص.(الحموي:**معجم**343/2)

(6) الطبري:المصدر السابق418/7،محمد عليان : المرجع السابق، ص119.

(7) ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ،تح إبراهيم علي طرخان،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،المؤسسة المصرية العامة، 318/1-319.

ثالثا : برنامج العباسيين الإصلاحي

بدا العباسيون واثقين من أنفسهم لأول وهلة دعوا فيها إلى الثورة.ويظهر لنا أنهم كانوا يعبئون الجماهير العريضة من الناس الناقمين على سوء الأوضاع المتردية الموروثة عن النظام الأموي.ولم يكتفوا بالتعبئة لهذا السبب ،وإنما أخذوا الأمر بجانب من الجدية والمسؤولية.ووقفوا في مقام الواعد الحريص ، الواثق بما يعد من إصلاحات هامة .

1/ نقاط قوة العباسيين الميدانية.

لم تكن الدعوة للثورة العباسية دعوة حماسية تستثير العواطف الكوامن ، وتعبر عن الغضب الشعبي بشكل غوغائي طائش ، وإنما كانت منظمة في تسييرها،محددة في أهدافها.

أما عن الإجراءات الميدانية التي اتخذها العباسيون أنهم أحسنوا اختيار البدء من خراسان دون غيرها ، مجالا لنشر دعوتهم فإن سر ذلك يكمن في الخطاب الذي وجهه محمد بن علي العباسي إلى بعض دعاته ومما جاء فيه:

" أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وأولاده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب أعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وفيهم عداوة راسخة وجهل متراكم . وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة ، لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ،وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الحق ".[1]

يقول الدكتور محمد عبد الفتاح عليان : "يتضح من الخطاب المذكور أن الزعيم العباسي محمد بن علي توقع مؤازرة أهل خراسان للدعوة العباسية وأنه استبعد تأييدها من قبل الأقاليم الأخرى الوارد ذكرها . وذلك للأسباب الواردة في هذا الخطاب".[2]

---

(1) **أخبار الدولة العباسية** ،ص 205،206.شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي :**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،طبعة مدينة ليدن،1877 ،ص 293،294.

(2) **قيام الدولة العباسية**، ص 48.

ويضيف الدكتور محمد عبد الفتاح عليان [1] نقاطا أخرى أفاد منها العباسيون كثيرا منها :

أ / **موقع خراسان في أقصى الشرق ومجاورتها لبلاد الترك** . ولذلك فهي بعيدة عن الشام مركز ثقل الأمويين من ناحية ، ويمكن للثوار الذين يخرجون بها أن يلوذوا ببلاد الترك إذا ما اضطرتهم الظروف من ناحية أخرى ، مثلما فعل عبد الرحمن بن الأشعث حين فشلت حركته ضد الحجاج بن يوسف الثقفي ، إذ لجأ إلى زنبيل ملك زابلستان[2] المعادي للمسلمين وظل عنده إلى أن توفي في سنة 85 هـ [3]

ب/ تفاقم الصراع القبلي بين اليمانية والمضرية المقيمين بخراسان وإمكانية الإفادة من تأييد الجماعات الناقمة من الطرفين على الأمويين باعتبارهم مسؤولين عن تأجيج نار تلك العصبية الجاهلية المنتنة [4] .

ج / تعود أهل خراسان على التسليم بحق ملوك آل ساسان[5] المقدس في الملك واعتبار من يزاحمهم في الملك مغتصبا لهذا الحق المقدس . ولما اعتنق أهلها الإسلام حل البيت النبوي في اعتبارهم ووجدانهم كما سبق القول محل آل ساسان ، ولا كان من السهل على الدعاة إقناعهم بأن الأمويين مغتصبون لحق آل البيت النبوي في رئاسة الدولة . [6]

د / الفوارق الطبقية الصارخة بخراسان [7]، وقد تمثلت الطبقة صاحبة الإمتيازات في الدهاقين والفرس ومن يلوذ بهم . وكان هؤلاء الدهاقون يتوارثون مهمة جباية الضرائب في العصر الساساني قبل الفتح الإسلامي ثم كلفت لهم معاهدات الصلح مع المسلمين للاستمرار في هذه المهمة . وطبقا لهذه المعاهدات كان يتعين

---

(1) **قيام الدولة العباسية** ،ص49.

(2) زابلستان كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخارستان وهي زابل .والعجم يزيدون السين وما بعدها وهي زابل جد رستم بن دستان وهي البلاد التي قصبتها غزنة البلد المعروف العظيم.(الحموي :**معجم**140/3) .

(3) محمد عليان : **قيام الدولة العباسية** ،ص 49.

(4) المرجع نفسه ،ص 49،محمد الخضري :الدولة العباسية ،ص15،16.

(5) آل ساسان:أسرة حكمت بلاد فارس،تنحدر من رجل يدعى ساسان،لا يعرف عنه إلا القليل من المعلومات التاريخية .**دائرة المعارف الإسلامية**11 / 47، يصدرها أحمد الشنتاوي،إبراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،مراجعة محمد مهدي علام.

(6) محمد عليان: المرجع السابق، ص 49،محمد الخضري :**الدولة العباسية** ،ص ،15-16.

(7)

(8) محمد عليان : المرجع نفسه،ص50. والدهقان بكسر الدال وضمها هو رئيس القرية ومقدم التناء وأصحاب الزراعة،وهو معرب.(محي الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير(544-606هـ):**النهاية في غريب الحديث والأثر**،تح محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي،ط1،المكتبة الإسلامية ،1383 هـ /1963م 145/2)

على أهل كل من يملك أرضا عربيا كان أو غير عربي ، مسلما كان أو غير مسلم فعليه أن يدفع عنها ضريبة يحددها الدهقان نفسه .

وكان هؤلاء الدهاقون أيضا يتلاعبون بهذه الجباية فيزيدون أعباءها على البعض ويخفضونها على البعض الآخر حسب أهوائهم ، خاصة أن الضريبة المذكورة كانت جماعية بمعنى أنه إذا أعفي منها البعض تحمل بقية أهل الناحية على اختلاف أجناسهم عبء المطلوب دفعه كله .هذا مع العلم أن هؤلاء الدهاقين لم يعتنق كثير منهم الإسلام وكان غير المسلمين منهم إما مجوسا أو نصارى أو يهودا ، وكل
صنف من هؤلاء كان يتعصب لأهل ملته [1] ويضاف المحاربون العرب إلى الطبقة المذكورة وهم الذين كانوا يرابطون على الحدود الثغرية فترة معينة من السنة ولم يحرمهم الأمويون من العطاء مثل بقية العرب المقيمين بخراسان ممن امتنعوا عن المرابطة واحترفوا مهنة الزراعة . [2]

هـ / إهمال الزراعة في كثير من فترات العصر الأموي لأن جل اهتمام الأمويين هناك هو الفتح والتصدي لأعداء المسلمين من الترك وغيرهم وبالتالي لم يولوا الزراعة اهتمامهم . كما تأثرت الزراعة أيضا بكثرة الصراعات والقلاقل بين القبائل العربية بخراسان . الأمر الذي حمل الكثير من شباب الريف
على الهجرة إلى المدن بحثا عن حياة أفضل مما أدى إلى ازدحام المدن بكثير من الشباب الذي لا عمل لهم ، وهؤلاء كانوا بطبيعة الحال بيئة موائمة لبث الدعاية المعادية للوضع القائم ولذا اتجهت إليهم أنظار العباسيين حين فكروا في نشر دعوتهم . [3]

و / الثورات المختلفة ضد الأمويين التي جعلتهم ينشغلون نوعا ما عن خراسان . وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد شكل الخوارج ضغطا قويا على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وطاردوه في أرض الجزيرة الفراتية بقيادة كل من الضحاك بن قيس وخليفته سيبان بن سلمة الحروري[4] كما حاربوا رجاله في اليمن بزعامة عبد الله بن يحي الحضرمي ، وفي الحجاز بقيادة أبي حمزة الشاري ". [6]

---

(1) محمد عليان :المرجع السابق،ص50.

(2) المرجع نفسه،ص50.

(3) المرجع نفسه،ص51.

(4) الحروري نسبة إلى حروراء وهي كوة بظاهر الكوفة على ميلين نزل به الخوارج الذين خالفوا الإمام علي بن أبي طالب ، فنسبوا إليها .(الحموي:**معجم** 283/2.

(5) محمد عليان :المرجع السابق.

ز / اعتماد الأمويين لسياسة التجمير وهي إبقاء القوات المقاتلة شتاء على خط النار ومنع عودتهم إلى عوائلهم أدى اختلافات حادة بين المقاتلة العرب والأمويين ، و لذلك نتائج سيئة على الدولة الأموية.

ك / ضعف سلطة الوالي ، وكان في بعض الأحيان أن أجبرت القبائل المنتفضة الخلفاء على التغاضي حتى عن حصتهم في الغنائم[1]

ل / ضعف الحكومه في خراسان بسبب ضعف الحكومة في دمشق من جراء التناحر بين أمراء البيت الأموي . [2]

م / كان الوالي الأموي يسلبهم أحيانا غنيمتهم أو يأخذ أكثر من حقه منهم وهو الخمس ، وقد يأخذ بعض الغنائم النفيسة ، ويرسلها إلى دمشق هدية للخليفة ،وهذا مما أثار القواد وشيوخ القبائل لأن الأربعة أخماس من الغنائم هي حق للمقاتلة توزع بينهم . [3]

ن / زيادة تعمية الأمر على الأمويين والعلويين تجنبا لإثارة الشبهات في النوايا الحقيقية . [4]

ص / اعتماد الطريق الذي يسلكه الدعاة في ترددهم ما بين خراسان والحميمة من الطرق الرئيسية التي يكثر استخدامها لضما ن السرية التامة الدعوة وحتى لا يتكشف سر الدعوة . [5]

ومن الإجراءات الأساسية التي استفاد منها العباسيون بأن جعلوا خراسان منطلق الثورة ما ذكره الأستاذ محمود شاكر :

" أن اختيار خراسان كان لقيام الصراع على أشده بين القيسية واليمانية من العرب حيث كان يمكن الإفادة منه وكسب العناصر المحايدة التي ضاقت ذرعا بهذا النزاع ، أو كسب اليمانية التي تشكل أكثرية المجموعة العربية هناك والتي تعادي والي خراسان نصر بن سيار[6] الذي يعتمد على القيسية ويتعصب لها . [7]

---

(1) فاروق عمر فوزي:**الثورة العباسية** ،ص 102.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه ،ص 22.

(4) **العصر العباسي الأول**،ص22.

(5) المرجع نفسه ، ص 22-23.

(6) هو نصر بن سيار:صاحب خراسان ،الأمير أبو الليث المروزي.نائب مروان بن محمد .ولي إمرة خراسان 10سنين .وكان من رجال الدهر سؤددا وكفاءة.خرج عليه أبو مسلم صاحب الدعوة ،وحاربه ،فعجز عنه نصر،واستصرخ بمروان غير مرة .فبعد عن نجدته.واشتغل بإختلال أمر أذربيجان والجزيرة فتقهقر نصر وجاءه الموت فتوفي بساوه سنة131هـ (الذهبي:**سير أعلام النبلاء** 463/5-464)

(7) **التاريخ الإسلامي**،(**الدولة العباسية**) المكتب الإسلامي،بيروت،ط1411،5هـ/1991م، 32/5.

كما استغل التنظيم العباسي الخلافات بين الوالي الأموي نصر بن سيار وأحد شيوخ قبائل الأزد اليماني, واستفاد التنظيم من كسب الأخير أتباعه من الأزد وربيعة ومضر , وعندما قتل التحق جيشه العربي بالتنظيم العباسي[1]

2/ مرتكزات العباسيين لاستقطاب الأنصار

"لكل دعوة أو مذهب شعارات خاصة بها تنادي وتجعلها رمزا تؤمن بضرورة تحقيقه. و إذا قسنا الدولة العباسية بشعاراتها وبالفوائد التي حققتها هذه الشعارات ، لاعتبرنا الدعوة العباسية من أكبر الثورات في التاريخ العالمي ، ولفظ " ثورة " ولفظ " دعاية " من الألفاظ المولدة المستخدمة في أيامنا ، ولا بأس من استعمالها بدلا من لفظ الدعوة." [2]

ا / شعارات دينيـة:

وكان من سعة أفق الإمام محمد بن علي العباسي وثاقب نظره أن رأى أن نقل السلطان من بيت إلى بيت لابد أن يسبقه إعداد للأفكار وتهيئة النفوس لهذا التغيير . وأن كل محاولة فجائية قد تكون عاقبتها الإخفاق، فرأى بعد نظره أن الأمر يحتاج إلى شدة الحيطة فطلب من شيعته أن يدعوا الناس إلى ولاية آل البيت والرضا من آل محمد دون تسمية أحد [3] خوفا عليه من بني أمية . ووجد أن كلا من الكوفة وخراسان يصح أن تكون مركزا لنشر الدعوة ، ولأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ زمن طويل ، ولأن أهل خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة ويعتقدون في نظرية الحق الملكي المقدس التي كانت سائدة في بلاد الفرس منذ أيام آل ساسان .[4]

ويذكر الدكتور يوسف العش شعارا دينيا اتخذه العباسيون وهو الإشهار بأن العمل سيتم ثأرا لأهل البيت،وهو هدف يثير الانتقام عند الأتباع المتحمسين خاصة الشيعة. [5]

---

(1) البلاذري :**أنساب الأشراف** 174/4 ، عبد الجبار ناجي وآخرون : **الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب ص 20.

(2) حسن أحمد محمود ،**العالم الإسلامي في العصر العباسي** ،ص 19.

(3) البلاذري :**أنساب** 82/3،حسن إبراهيم حسن :**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت ،ط 13 ، 1411ه / 1991م.15/2، أحمد علبي :**العهد السري** ،ص 91.

(4) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق 15/2.

(5) **تاريخ عصر الخلافة العباسية**، ص20.

وهكذا تستر الدعاة العباسيون تحت هذه الواجهة الفضفاضة . واجهة الرضا لآل البيت . لكي يسكنوا أمر العلويين إلى حين يتمكنوا ويشتد عودهم.

وكانت البيعة التي يأخذها أبو مسلم الخراساني من الجند الذين ينحازون إلى صفوفه ، تنص على "الطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " وكان هناك وفاق ضمني على المشاركة في السلطة بين العباسيين والعلويين . [1]

وكان هذا الشعار غير محدد بتحديد آخر بالنسبة لعامة الناس ، أما الخاصة فهم يعرفون رياستهم ولمن يدعون من آل البيت . والعامة والخاصة معا يريدون ألا تبقى الإمامة في بني أمية ، والشعار ينادي بضرورة نقل الخلافة عنهم واعتبارهم مغتصبين . [2]

ولذلك يعتبر فيليب حتي الدولة العباسية دولة دينية باعتبار أنها قامت تمثل فكرة الخلافة وشعائر السلطة الدينية،وفي سبيل التدليل على صبغة المنصب الدينية أخذ الخليفة العباسي يرتدي بردة النبي صلى الله عليه وسلم في الحفلات الرسمية وفي صلاة الجمعة ،وأخذ الخلفاء يجمعون حولهم الفقهاء ويشملونهم برعايتهم ويستشيرونهم في مصالح الأمة." ."مقارنا بينها وبين الدولة الأموية فيقول:"بينما كان ملك بني أمية ملكا دنيويا".[3]

ب / شعارات اجتماعية :

وكان من أهم الشعارات التي رفعها العباسيون أيضا لاستقطاب الجماهير ، أن رفعوا شعار " المساواة " والواقع أن هذا الشعار قد ساهم إلى حد بعيد في إنجاح الثورة العباسية. وإنصاف الشعوب التي أسلمت واستعربت واندمجت في ظل دولة عربية إسلامية ، وصارت تتطلع إلى المساواة . وهذه الواجهة في حد ذاتها مبدأ إنساني جليل لا تزال الأجيال تتعلق به منذ القدم وتتخذه مثلا أعلى .

وهو شعار له معنى خاص في حضارتنا الإسلامية .وهو عدم التفرقة بين الناس بحسب ألوانهم أو دمائهم أو تاريخهم ، وإلغاء هذا التقسيم المتعارف إلى شعوب ، على أساس أن تعدد الشعوب ليس إلا ضرورة من ضرورات التعرف بين الناس ، وعلى أساس أن الشعوب قد عمها الاستعراب واندمجت في الحضارة العربية في ظل دولة إسلامية واحدة عزيزة الجانب . [4]

---

(1) أحمد علبي:المرجع السابق، ص92.

(2) حسن أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي** ،ص 21.

(3) فيليب حتي وأخران:**تاريخ العرب**،دار الكشاف للنشر والتوزيع،ط2،4/359-360.

(4) حسن أحمد محمود: **المرجع السابق**، ص23.

ولقد نادى أصحاب الدعوة العباسية كذلك بالإصلاح والرجوع إلى الكتاب والسنة ، وهو أيضا شعار عام.بل إنه أشمل من الشعارات الأخرى . لأن الإصلاح صيحة الأجيال على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم. طالما أن أحداثا كثيرة تركت في النفوس آثارا مريرة ، مثل حصار الكعبة وانتهاك حرمة المدينة المنورة يوم الحرة. وسفك دماء أهل البيت وسياسة الجبر والقهر والاستبداد واضطهاد المعارضة ، والابتعاد عن سيرة السلف الصالح ، وحب الترف واللهو وكثرة مظاهره وكثرة المذاهب وتصارعها وظهور أقوال كثيرة غير مألوفة من قبل ، والاعتماد على العصبية في الحكم . [1]

ج/شعارات سياسية:

وتضاف إلى مجموعة الشعارات التي لف بها العباسيون الناس من حولهم :تعداد مساوئ النظام الأموي ، الأمر الذي أفاد منه الدعاة العباسيون أتم فائدة . مما جمع طاقات عظيمة من السخط في نفوس الإيرانيين على الحكم الأموي ومساوئه . وقدر لهذه الطاقات أن تبلغ أقصاها في الفترة الأخيرة من العصر الأموي ، أي منذ عام 100 هـ على وجه التحديد .[2]

ويشير ابن الأثير إلى أن الدعاة العباسيين لبسوا السواد هم ومن أجابهم من أهل سفيذنج وأوقدوا النيران لليلتهم ،فبث أبو مسلم دعاته في الناس وأظهروا أمره فأتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية ،فلما طوله ثلاث عشرة ذراعا وعقد الراية التي بعث إليه وهي التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاث عشرة ذراعا وهو" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير"[3]

كانت ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من السنة عقد اللواء الذي بعث به الإمام الذي يدعى الظل على رمح وقدم الدعاة على أبي مسلم بمن أجاب الدعوة . فكان أول من قدم عليه أهل التقادم مع أبي الوضاح في 900 راجل و 400 فارس و 1300 راجل و16 فارسا مع إبراهيم الجوباني ، فجعلوا يكبرون ودخلوا حصن أبي مسلم بسفيذنج[4]

---

(1) حسن أحمد محمود: **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ،ص36.

(2) المرجع نفسه .

(3) **سورة الحج 39**.

(4) سفيذنج:قرية بينها وبين مرو أربعة فراسخ.(الحموي:**معجم** 339/3.)

وبعد ظهوره بيومين حصن أبو مسلم حصن سفيذنج ورمه وسدد دروبها .وتأولوا الظل والسحاب بأن السحاب يطبق الأرض وإن الأرض كما لا تخلو الأرض من الظل فكذلك لا تخلو من خليفة عباسي إلى آخر الدهر. [1]

وتختلف الروايات حول السبب الذي حدا بالعباسيين إلى اتخاذ السواد شعارا لهم . فمنها ما يرجع ذلك إلى لون عمامة عبد الله بن عباس السوداء ، ومنها ما يرجعه إلى لون سهم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حين تنازع مع قريش لما أعاد حفر بئر زمزم ، أو لأن بني هاشم كانوا يتفاءلون بالسواد. [2]

ويقول ابن كثير : إن العباسيين تأولوا إحدى الرايتين بالسحاب لأن السحاب كما يطبق على جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم على أهل الأرض . [3]

يقول عبد العزيز الدوري:"فالعباسيون جاؤوا إلى الحكم على إثر دعوة وجهت إليهم من الحميمة .وبذرت البذور في العراق وأثمرت في خراسان،ولم تتخذ أسلوبا واحدا ،ولا بشرت بمبدأ معين باستثناء الدعوة إلى آل البيت كصيحة سياسية ،والوعد السير بالكتاب والسنة كستور في الحكم .بل وعدت كل جماعة بحل مشاكلها ..فكانت وعوده عسيرة التحقيق من ناحية ،متضاربة بتضارب مصالح الجماعات التي انضمت إليها من ناحية أخرى ، وهل يمكنها التوفيق بين سيادة العرب وطموح الفرس ...؟؟ [4]

(**1**) الطبري:**تاريخ** 356/7،ابن الأثير :**الكامل** 5 / 129-130.

(**2**) **أخبار الدولة العباسية** ،ص 245.

(**3**) **البداية والنهاية** ،30/10.

(**4**) عبد الله الفياض :**تاريخ البرامكة**،مطبعة الرشيد ،بغداد،1367هـ/1948م ص هـ.(في مقدمة لعبد العزيز الدوري).

3 / تسطير برنامج إصلاحي بديل

عندما أخذ العباسيون بكامل الأسباب الممكنة ، واستغلوا كافة الفرص المتاحة ، ونحتوا من حجر أهدافهم في قلب النظام الأموي وطمس جميع معالمه ،شرعوا في تقديم البديل ، طالما أنهم خرجوا منددين بمساوئ النظام المخلوع ، داعين إلى الإصلاح على جميع المستويات ، وهذه في الواقع هي مطالب معظم الذين ركبوا موجة الثورة .وهي تقريبا ذات الوعود التي وعد الدعاة ، لجلب أكبر قدر ممكن من الأنصار تعبيرا عن آلامهم وآمالهم. وأهم شيء ساعد في نجاح الثورة العباسية هو ما نادى به هؤلاء من ضرورة التغيير والتجديد .

غير أن هذا لم يعف اندساس عناصر مختلفة في صفوف الدعوة ، بل منهم أناس لا يهمهم شعار عوة ولا تحقيق أهدافها ،بقدر ما يهمهم استغلالها لتحقيق أهدافهم وغاياتهم . التي تلتقي مع أهداف وغايات الدعوة في هدم الكيان الأموي .ومن هؤلاء عربي يرد تبديل الوضع لكسب مغنما أو ليسترد حقا ضائعا . و فارسي متعصب يود لو كان الحكم ساسانيا. وشعوبي حاقد على سيادة العرب المتمثلة في الحكم الأموي . وزنديق لا يرى في أيدي سلطان إسلامي متنفسا لفكرته .ومجوسي يفضل أن يكون حاكمه زرادشتيا أو مانيا أو مزدكيا . [1]

وكان في الكوفة جماعة من العلويين ،قوم يظنون أن البيعة تكون لولد أبي طالب ، وقوم يظنون أن البيعة تكون لولد العباس ، فاجتمع الناس وتكاملوا في المسجد ، وأقبل أبو سلمة حفص بن سليمان ، وهو يريد أن يبرئ نفسه ويبعد عنها بعض ما اشتبه فيه وأشيع عنه من أنه يدعو إلى آل علي، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وخطب الناس،ثم قال :

"أيها الناس، انظروا غدا ولا يبقى أحد ممن يابس السلاح ويركب الخيل،إلا ويلبس السواد ويوافي هذا المسجد حتى تعقد البيعة لأهلها والسلام" . "وعندها أيس الناس من آل أبي طالب من البيعة وانصرف الناس إلى منازلهم فجعلوا يصبغون الأقبية والعمائم والأعلام .فما أقبل الصباح إلا وأهل الكوفة كلهم لابسون السواد،ثم صاروا إلى المسجد الأعظم". [2]

---

(1) محمد المناصير:**الجيش في العصر العباسي الأول**، ص46-47.وانظر : عبد الجبار الجرمود:**داهية العرب أبو جعفر المنصور**، دار الطليعة ،ط1 ،1963، ص17.

(2) ابن أعثم الكوفي :**الفتوح 8**/328.

"وقد واكب الحركة العباسية دعاية قوية واسعة ،استنكرت تماما تصرفات بني أمية ،الذين وقعت عليهم تبعة جميع مظاهر الإفساد المادي والروحي ،المنتشرة في العالم الإسلامي عامة ،وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح نفسه بعد نجاح الثورة مباشرة هو:كيف يمكن للعهد الجديد الذي ارتقى سدة الحكم والخلافة أن يغير الحالة الراهنة فيتدارك المساوئ ويباشر الإصلاح؟؟" (1)

وإذا كان من المسلم به أن تغيير الأسرة الحاكمة . مهما كان عملا ثوريا . لا يقوى وحده على المشاكل الاجتماعية والمالية العسيرة التي اعترت بني أمية ،فكيف عالج العباسيون هذه المشاكل ؟ (2) فلما بويع لأبي العباس السفاح صعد على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضول آل محمد على غيرهم ،ثم ذكر: كيف "وثب بنو حرب ومروان على الخلافة فابتزوها وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها واستأثروا بها ،وظلموا أهلها ،فأملى لهم حينا حتى آسفوه،فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا،وتدارك بنا أمتنا..." (3)

ويبشرهم أبو العباس بالظن الحسن والوعد الصادق والنية الطيبة في الإصلاح ،الذي وجب أن يطال جميع مناحي الخلل والفساد ،الذي خلفه الحكم الأموي .فقال لهم :"وإني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ،ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ." (4)

ويستتبع بذكر فضل أهل الكوفة على الدعوة :"يا أهل الكوفة أنتم أهل محبتنا ومنزل مودتنا . أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك .ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم .حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا ،فأنتم أسعد الناس ينا ،وأكرمهم علينا ،وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم ،فاستعدوا فأنا السفاح المبيح ،والثائر المبير ." (5)

---

(1) صابر محمد دياب حسين :**الدولة الإسلامية في العصر العباسي** :قضايا ومواقف ،دارالفكر العربي ،القاهرة ، ط1،1422 هـ/2001م ،ص 69.

(2) المرجع نفسه ،ص 71.

(3) الطبري :**تاريخ 6**/ 426 ، ابن الجوزي : **المنتظم** 299/7،النويري:**نهاية الأرب في فنون الأدب** 41/22 ،ابن كثير: **البداية**10/ 40 .

(4) ابن الأثير :**الكامل** 64/4.

(5)الطبري :**تاريخ** 427/6،ابن كثير :**البداية** 41/10،وقيل إنما سمي بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين.(ابن الجوزي :**المنتظم**298/7)

يقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم:" ويمكننا على هذا الأساس أن نفسر وصف السفاح لنفسه بالسفاح بأنه يتوعد من ينوي الخروج عليه يسفك دمه.وأما المنيح فمعناها الرجل الجواد كثير العطايا . ولعله كان يقصد أنه بقدر ما هو سفاح فهو كريم يبذل المال لمن استحقه ." [1]

ويعلق الدكتور عبد العزيز سالم على سياسة أبي العباس فيقول :" والواقع أن هذه السياسة الحكيمة التي إلتزمها أبو العباس وقوامها الشد والجذب ،والشدة واللين ،والترغيب والترهيب،كانت ضرورية في أول قيام الدولة العباسية،فقيام الدول يقترن دائما بمثل ذلك."[2]

وكان أبو العباس أثناء خطبته موعوكا[3] فاشتد به الوعك ،فجلس على المنبر .وصعد داود بن علي[4] فقام دونه في مراقي المنبر وأكمل خطاب البرنامج الرئاسي ومما جاء فيه بعد الحمد والثناء على الله :

" أيها الناس :

إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأ ر لنكثر لجينا ولا عقيانا،ولا نحفر نهرا ولا نبني قصرا، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ،والغضب لبني عمنا ،وما كثرنا[5] وبهظنا من شؤونكم ،ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ،ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم ،وخرقهم .كذا . بكم واستذلالهم لكم ،واستأثروا بفيئكم[6] وصدقاتكم ومغانمكم عليكم..." [7]

---

(1) **العصر العباسي الأول**، ص 54.

(2) **المرجع نفسه**.

(3) موعوكا من الوعك وهو الألم يجده الإنسان من شدة التعب،ورجل وعك –بسكون العين– ووعك –بكسرها–،والموعوك المحموم،وورد في الحديث ذكر الوعك،وهو الحمى،وقيل ألمها.(ابن منظور:**لسان العرب54**/4875).

(4) هو داود بن علي :ابن حبر الأمة عبد الله بن عباس الهاشمي ،عم السفاح ،الأمير أبو سليمان .كان ذا بأس وسطوة وهيبة وجبروت وبلاغة .مات في ربيع الأول سنة 133هـ بعد أن عاش 42سنة.(الذهبي:**سير أعلام** 5/ 444–445.

(5) "وما كرهنا" عند ابن الأثير 54.

(6) الفيء هو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال،ولا بايجاف خيل ولا ركاب، فهو كمال الهدية والجزية وأعشار متاجرهم،أو كان واصلا بسبب جهتهم كمال الخراج الماوردي:**الأحكام السلطانية** ،ص 121 .

(7) الطبري :**تاريخ** 6/226–227، ابن الجوزي : **المنتظم** 10/299 ،ابن كثير:**البداية** 10/41.

بعد أن ذكرهم بمساوئ النظام الأموي ،لكي تأنس أنفسهم وتهدأ لما سيكون متوقعا من تغيير وتقديم بديل . فأخذ داود يعدهم في لغة الواثق من إنجاز ما يقول :" لكم ذمة الله تبارك تعالى [1]وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله ،أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أخذ داود بن علي يعدد مثالب بني أمية ويشنع عليهم حكمهم.وبعدها واصل خطابه وهو يذكر لأهل خراسان فضلهم :" يا أهل الكوفة،إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا بيعتنا أهل خراسان ،فأحيى بهم حقنا وأفلج بهم حجتنا ،وأظهر بهم دولتنا ،وأراكم الله ما كنتم تنتظرون وإليه تتشوفون ،فأظهر فيكم الخليفة من بني هاشم ، وبيض به وجوهكم وأدالكم[2] على أهل الشام ونقل إليكم السلطان ،وعز الإسلام ،ومن عليكم بإمام منحه العدالة،وأعطاه حسن الإيالة ،فخذوا ما آتاكم الله بشكر،وإن لكل أهل بيت مصرا،إنكم مصرنا .." [3]

"والحق أن قيام الدولة العباسية سنة132هـ لم يكن مجرد بيعة تمت لخليفة دون آخر،أو انتقالا للسلطة من بيت لبيت ،بقدر ما كان بمثابة ثورة في تاريخ العالم الإسلامي ،لأنها مثلت نقطة تحول خطيرة في هذا العالم ،واستمرت أصداء هذا التحول تسري وتنتشر بعد ذلك قرونا عديدة" [4]

وبعد أن تمت الخطبتان والصلاة خرج السفاح إلى القصر وأجلس أخاه أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ،ثم صلى بهم المغرب، وجنهم الليل فدخل ،ثم خرج أبو العباس إلى المعسكر بحمام أعين واستخلف على الكوفة عمه داود بن علي. [5]

---

(1) يقال :الذمة والذمام : هما بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق.وسمي أهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم.(ابن منظور: **لسان العرب** ، مادة "ذمم"، ص 1517)

(2) أدال:الإدالة :الغلبة .(ابن منظور:**المصدر نفسه** ، مادة "دول"، ص 1455 -1456.)

(3)الطبري:تاريخ 428/7،ابن كثير: **البداية والنهاية** 41/10،ابن الجوزي :**المنتظم**299/7،اليعقوبي :**تاريخ اليعقوبي**،دار صادر،بيروت ،350/2-351.

(4) صابر محمد دياب حسين :**الدولة الإسلامية** ، ص63.

(5) ابن الأثير:**الكامل** 68/5.ابن كثير:**البداية والنهاية** 42/10.

وبعد أن بلغوا هذا المبلغ بقي عليهم أن يقضوا على مروان بن محمد والقوة العظمى التي بالجزيرة وعلى ابن هبيرة والقوة التي معه بواسط(1) وكان ملتقى هذين الجيشين على نهر الزاب الأعلى وهو أحد روافد نهر دجلة يأتيها من الشرق وكانت الواقعة شديدة جدا انتهت بانتصار عبد الله وجنده ،فهرب مروان واحتوى عبد الله معسكره كله وذلك لإحدى عشرة خلون من جمادى الآخرة سنة 132هـ وكان مع مروان من الجنود 120ألفا من نخبة أهل الشام وخيرة جنودها.وفر منها مروان إلى مصر فتعقبته الجيوش العباسية فأردوه قتيلا بمنطقة بوصير*(2)

وعندما وصل العباسيون إلى سدة الحكم،بقي عليهم تنفيذ برنامجهم الذي شرعوا من خلاله في استقطاب الناس حول الثورة،والواقع التاريخي عقب انتصارات العباسيين يبين أن هؤلاء الدعاة لم يستجيبوا لرغبات الجماهير المشاركة في الثورة، و تقاعسوا وتناسوا وعودهم للكتلة العريضة من الجماهير،بتحسين الأحوال المتردية الموروثة عن الأمويين، فقد ألقيت على العباسيين الأوائل مسؤولية كبيرة ،في مجال الإصلاحات السياسية والاقتصادية،ولكنهم مع الأسف تناسوا وعودهم وركنوا إلى مصالحهم،مما حتم ظهور دعاة مصلحين آخرين ،يدعون هؤلاء الخلفاء بما يصلح الفساد المنتشر على المستوى السياسي والإداري والاقتصادي ، يشخصون الخلل ويصفون له الحل المناسب ،وذلك كان عن طريق رسائل ونصائح مباشرة أو غير مباشرة.

---

* بكسر الصاد،وياء ساكنة،اسم لأربع قرى بمصر.(الحموي:**معجم** 1/603-604)

(1)واسط نصفان على شط دجلة ،وبينهما جسر من سفن.وإنما سميت واسط لأن منها إلى البصرة خمسين فرسخا ومنها إلى الكوفة خمسين فرسخا أيضا ومنها إلى الأهواز خمسون فرسخا ومنها إلى بغداد خمسون فرسخا.وواسط اختطها الحجاج بين الكوفة والبصرة في أرض كسكر في سنة 83هـ وفرغ منها سنة 86هـ (أبو الفداء :تقويم البلدان،دار صادر ، بيروت،ص307)

(2)ابن تغري بردي :**النجوم الزاهرة** 1/318-319.

الفصل الثاني : دعوات الإصلاح السياسي

أولا : إصلاح الحاكم والحكم.

ثانيا : إصلاح البطانة.

ثالثا : الوصية بالعدل أساس الملك.

رابعا : تفقد العمال ومحاسبتهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تقديـم :

"إن وجود الحكام للناس أم لازم لهم ،لزوم الماء للحياة.إذ لا استقرار للبشر إلا بهم، ولا عدلا قائما ،ولا حقا ظاهرا إلا بسلطان الحكام.فالناس فوضى بدونهم.ولن يصلح الناس فوضى.ولا تقام فيهم أحكام الشرع."[1] ولا تحكم فيهم قوانين العقل ، وثمرات التجارب ، فهم بدون حكام رعاة حريصين على الصالح العام ،لا تقوم لهم قائمة ،ولا يستقيم لهم حال.إذ طالما حكمت فيهم نوازع الأهواء والشهوات التي لا تبصر طريقا سويا.

من أجل ذلك بوأ الله عز وجل للحكام ،وأنزلهم منازل كريمة.فكانوا ظل الله في الأرض. وأحبابه يوم القيامة.[2] فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر"[3]

والأحاديث في شأن أهمية وجود الإمام،والإمام العادل بالخصوص،متظافرة في كتب السنة.منها الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي قوله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل..."[4] وهذا بيان واضح لقيمة الحاكم العادل عند الله تعالى.

وركز المصطفى صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى على أن الحكم أو قيادة أمور الآخرين مسؤولية تكليف لا تشريف.وكل على قدر ما تحت يده من مسؤولية مسؤول.فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" كلكم راع و مسؤول عن رعيته. والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية،وهي مسؤولة عن رعيتها .ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته،فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته."[5]

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راعيا له.واللفظ مأخوذ من الرعاية والمراعاة.فإذا تقدم لرعاية غيره من يأكله فهو الهلاك،كما قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الذئاب لها رعاة؟[6]

---

(1) عبد العزيز البدري : **الإسلام بين العلماء والحكام**،المكتبة العلمية،المدينة المنورة،1996، ص 43.

(2) المرجع نفسه ص 44.

(3) المتقي الهندي:**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**،رقم 14607،38/6.

(4) ابن حجر :**فتح الباري**،كتاب الحدود،ح2806،137/12.

(5) المصدر نفسه ،كتاب العتق،ح 2558،224/5.

(6) الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري:**سراج الملوك** ،1219هـ، ص 33.

وقد قال القاضي أبو يوسف منوها بأهمية وجود حكام يسوسون الناس:" وإن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء أرضه ،وجعل لهم نورا يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم، ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم." [1]

ولما كانت أهمية منصب الإمام أو الحاكم بهذا الشأن،استوجب الأمر وجود حاكم كضرورة شرعية وواقعية في نفس الوقت.وأيا ما كان الأمر ،فإن وجود هذا الحاكم،يؤثر على مسار حكمه أشياء كثيرة إن صلحت صلح ،وإن فسدت فسد.

وكذلك وفي كل وقت وحين ،تظهر فئة من المصلحين ، ومن الذين تكون لديهم رجاحة عقل في وزن الأمور وخبرة ومراس بجوانب الحياة وأغوارها.أو يكون لهم علم نافذ بصير بخبايا الأمور وعواقبها. يصوّبون هؤلاء الحكام الذين حادوا ، ويذكّرونهم إذا نسوا،ويعلّمونهم إذا جهلوا. ويشيرون عليهم بما يصلح الحال حالا ومآلا.

أولا: الدعوة إلى إصلاح الحاكم والحكم.

ولما كانت أمر الحاكم في تسيير دواليب الحكم ،وتدبير شؤون الرعية مهما ،ولا يمكن الاستغناء عنه،فإنه يتوجب أن يكون هذا الحاكم أداة صالحة مصلحة،ومعنى ذلك أن يكون صالحا في نفسه مصلحا لغيره.

وإن لم يكن كذلك استلزم أن يكون الإصلاح من جهة أخرى صالحة،لأنه لا يمكن بحال،أن يصلح فسادا من كان في ذاته فاسدا،كما لا يمكن أن يؤدب أو يهذب غيره من ليس متأدبا أو مهذبا في نفسه.

فقديما قال أردشير بن بابك [2] وهو يوصي خليفته في الملك :"خير الملوك من بعث العيون على نفسه ،يتعلم عيوبها ، فيكون أعلم بعيوب نفسه من غيره .ثم يجتهد في مداواة عيب بعد عيب حتى لا يجد أحد فيه مطعنا . فهذا الذي تمت سيادته." [3]

---

(1) **الخراج**،المطبعة السلفية،القاهرة،ط1382،2هـ، ص5.

(2) هو أردشير بن بابك(226- 241هـ)أول ملوك أسرة آل ساسان التي حكمت فارس،**دائرة المعارف الإسلامية** 47/11.

(3) منتخب من عهد أردشير بن بابك ،ضمن **رسائل البلغاء** ،محمد كرد علي،دار الكتب العربية الكبرى، ط2،1331هـ/1913م،مصر،ص 300.

من أجل ذلك كان على مر العصور ، يوجد من العقلاء والعلماء والمفكرين من يتولون هذه المهام.وعظا وإرشادا ومشاورة واقتراحا في صبر وصدع بالحق. ففي فترة البحث موضوع الدراسة – 132-193 هـ – من العصر العباسي الأول نجد الكثير من دعوات العلماء والمفكرين والعقلاء للخلفاء والأمراء والوزراء ،يحثونهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح حكمهم.

كما يذكر ابن الجوزي [1] قائلا: "دخل عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان [2]على المنصور فوعظه قائلا:"إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها ،فاشتر نفسك منه ببعضها ،واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من قبلك،ثم أفضي إليك،وكذلك يخرج منك إلى من هو بعد . وإني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة."فبكى المنصور حتى جف جفناه.

ينبهه إلى خطر بطانته بأنهم اتخذوه سلما إلى درك إرادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليه.فيقول:(فإن استطعت أن تستعمل في كل يوم مائة عامل.فإن رابك من واحد منهم ريب عزلته،واستعملت غيره.فو الله لئن لم ترض منهم إلا بالعدل،ليقربن إليك بالهدى والأعمال الزاكية من ولايته له فيه)[3].

فكان لهذا الموقف من هذا العالم،هزة في نفس المنصور،مذكرا إياه بمحدودية صلاحية هذا الحكم ،نظرا لمحدودية عمر الحاكم فيه.وهذا إن دل فإنما يدل على قابلية المنصور للنصح ،واستعداده للأخذ بالتصويبات. وما من شك في قوة شخصيته ، فهو لم يأت إلى الحكم متزلفا مستهترا ،وإنما أتى الملك إليه من بعد أخيه السفاح .وقد كان – المنصور – أكبر وأحظى منه بالملك ولم يتولاه، إلى أن وجد من نفسه نضجا وافرا ،وخبرة سنين في الولاية والتسيير.

وفي أغلب الأحيان كان هؤلاء الخلفاء أو الأمراء أو الوزراء ممن توجه إليهم هذه الدعوات والنصائح ، تنال تبلغ منهم مبلغا مؤثرا.وكان هؤلاء العلماء يحذرون الخلفاء من مغبة عدم الأخذ بمناصحاتهم ومقترحاتهم ومواعظهم.

---

(1) **المنتظم** :60/8،البلاذري:**أنساب الأشراف**310/4

(2) هو عمرو بن عبيد الزاهد العابد القدري كبير المعتزلة.كان المنصور يعظم ابن عبيد ويقول:

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد.

مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل أربع وأربعين ومائة.رثاه المنصور.زله كتاب في العدل والتوحيد،وكتاب في الرد على القدرية.ومن كتاب تلامذته:عثمان بن عفان الطويل شيخ العلاف.وأبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمزي .(الذهبي:**سير أعلام النبلاء** 106.105.104/6).

(3) مابين القوسين ورد في **الأخبار الموافقيات** للزبير بن بكار،تحقيق سامي مكي العاني،مطبعة العاني، بغداد،143/7.

فقال المنصور:فكيف أصنع؟ ادع لي أصحابك استعملهم. قال عمرو بن عبيد:"ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عند بابك،فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك،لأنهم إن باينوهم ولم يعملوا بأهوائهم أرشوك بهم وحملوك عليهم.والله لئن رأوا عمالك لا تقبل منهم إلا العدل ليتقربن إليك من لا نية له فيه.[1]

وهذا الإمام الأوزاعي[2] يدخل على المنصور فيقول له :"يا أوزاعي ،ما الذي بطأ بك عني؟ فقال الأوزاعي: "يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني؟ قال:"الاقتباس منك.

قال الأوزاعي :"انظر ما تقول ،فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:من بلغته عن الله نصيحة في دينه فهي رحمة من الله سيقت ،فإن قبلها من الله بشكر وإلا فهي حجة من الله عليه.ليزداد إثما ،ويزداد الله عليه غضبا ، وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا،وإن سخط فعليه السخط ،ومن كرهه فقد كره الله عز وجل،لأن الله هو الحق المبين." [3] فلا تجهلن. قال:وكيف أجهل؟ قال:تسمع ولا تعمل بما تسمع...هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت،وإن رددتها فنفسك بخست،والله الموفق للخير والمعين عليه.قال:بلى نقبلها ونشكر عليها،وبالله نستعين.[4]

---

(1) البلاذري:**أنساب الأشراف** 313/4.

(2) هو العلم المنشور والحكم المشهور والإمام المبجل أبو عمرو الأوزاعي،كان واحد زمانه،وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، مقوالا بالحق لا يخاف سطوة العظائم.(الأصبهاني:**حلية الأولياء** 135/6) ولد ببعلبك ونشأ بالبقاع ،ونزل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفراديس(ابن كثير:**البداية والنهاية**115/10)كان الأوزاعي من الطبقة الأولى في مجتهدي الإسلام، لا يتأخر مكانه عن مكان الأئمة الأربعة،إمام أهل الشام بإجماع المؤرخين،كان عالما يطبق العلم بالعمل ولا يكتفي بالحفظ والنظر،كان يتعرض للسياسة العامة وينصح للملوك والخلفاء ويغلظ لهم القول إذا رأى من أعمالهم ما يضر بالأمة(زين الدين بن تقي الدين الدين بن عبد الرحمن الخطيب:**محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي**،تنقيح:الأمير شكيب أرسلان،طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ص 11.7.4) وللمزيد عن سيرة الإمام الأوزاعي انظر:الذهبي:**سير أعلام النبلاء** 343/4،ابن سعد(ت230هـ):كتاب **الطبقات الكبير**،تح علي محمد عمر،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط1421،1هـ/2001م.494/9.

(3) ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد(ت 368هـ):**العقد الفريد**،دار الكتاب العربي، بيروت ، 1402هـ / 1982م، 162/3.ابن قتيبة: **عيون الأخبار**،دار الكتب المصري، القاهرة،1346 هـ/1928م ،2 /238.

(4) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**،ص341.

ثم قال الأوزاعي :"إنك تحملت أمانة هذه الأمة ،وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها.[1]

فالأوزاعي يذكر المنصور بضرورة الجدية في أخذ ما ينصحه به ،ويعتبر ذلك من الأمانة التي يجب تبليغها إلى أهلها ، والحق الذي يجب حمله إلى مستحقيه.ثم يحسس الأوزاعي الخليفة أبا جعفر بخطورة منصبه كحاكم وولي لأمر المسلمين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يسترعي الله عبدا رعية فلم يحطها بنصحه فيموت يوم يموت وهو لها غاش إلا حرم الله عليه الجنة."[2]

وحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرا،وبما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالحق فيهم سائرا.

و هذا الطرح من هذا العالم الجليل لا شك أن يبقى له أعمق الأثر في نفس المنصور كخليفة مسؤول. ومما يدل على انصياع المنصور لهذه الدعوات والنصائح التي وجهها العلماء والوعاظ والمفكرون، لإصلاح الحكم والحاكم،أنه وصى ابنه المهدي ولي العهد قائلا:

"إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة..." [3] فقد عرف المنصور أثر التقوى في نفس الحاكم ،وأثرها المتعدي إلى نفوس المحكومين فهو يوصي بذلك،لأنه أدرك أن "السلطان حبل الله المتين ،وعروته الوثقى ،ودينه القيم." [4]

وإذ قال الخليفة أبو جعفر لابنه المهدي وهو يوصيه في ذات السياق:"يا أبا عبد الله استدم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ،والطاعة بالتألف ،والنصر بالتواضع ،ولا تبرم أمرا حتى تفكر فيه ،فإن فكر العاقل مرآته تريه حسنه وسيئه.." [5]

---

(1) مشيرا إلى قوله تعالى :"إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا."**سورة الأحزاب 72**.

(2) المتقي الهندي :كنز العمال ،رقم 14759، 40/6.

(3) الطبري :**تاريخ** 71/8،ابن الجوزي:**المنتظم**347/7،ابن كثير :**البداية** 123/10.

(4) الطبري :المصدر نفسه،النويري:**نهاية الأرب** 104/22.

(5) الأزدي أبو زكرياء بن محمد بن إياس بن القاسم(ت334هـ/954م):**تاريخ الموصل**،تحقيق علي حبيبة، القاهرة،1387هـ /1967م، ص 202،ابن الجوزي:**المنتظم** 105/8.

وينبه ابن المقفع [1]إلى ضرورة الرأي من جانب الحاكم فيقول :" واعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء فدعه للمهم..." [2]

ومما يدل على أن الخليفة أبا جعفر قد تمثل أو على الأقل أخذ بما يقدم إليه من نصائح في شؤون الحكم ما ظهر للناس من أخلاقه وحزمه،قول الجاحظ:"لم يظهر أبو جعفر المنصور لنديم قط،ولا رآه يشرب غير الماء .وكان لا يثبت أحدا من ندمائه وغيرهم درهما ،فيكون له رسما في ديوانه.ولم يقطع أحدا ممن كان يضاف إلى ملهية أو ضحك أو هزل موضع قدم من الأرض." [3]

وما أحكم ما نصح به القاضي أبو يوسف[4] هارون الرشيد وهو يقترح عليه كتاب الخراج،الذي قال في مقدمته:"يا أمير المؤمنين،إن الله وله الحمد،قلدك أمرا عظيما،ثوابه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب،قلدك أمر هذه الأمة،فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم،وابتلاك بهم وولاك أمرهم.وليس يلبث البنيان – إذا أسس على غير التقوى – أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه،فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية،فإن القوة في العمل بإذن الله."[5]

---

(1) هو عبد الله بن المقفع ،أحد البلغاء والفصحاء،ورأس الكتاب،وأولي الإنشاء من نظراء عبد الحميد الكاتب.وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح وكتب له واختص به.كان ابن المقفع متهما بالزندقة.وغضب منه المنصور لأنه كتب في توثق عبد الله بن علي من المنصور يقول:ومتى غدر بعمه،فنساؤه طوالق،وعبيده أحرار،ودوابه حبس،والناس في حل من بيعته،فكتب إلى عامله سفيان المهلبي يأمره بقتل ابن المقفع.عاش ستا وثلاثين سنة،وأهلك في سنة خمس وأربعين ومائة(الذهبي:**سير أعلام** 209.208/6)كان فاضلا كاملا ،وهو أول من اعتنى في الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور.ألفاظه حكيمة،مقاصده من الخلل سليمة.ترجم كتب أرسطاليس المنطقية الثلاثة...وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكتاب كليلة ودمنة.وله تواليف حسنة منها:رسالة الصحابة التي وجهها إلى الخليفة المنصور،والأدب الصغير والكبير وغيرها..(القفطي:**تاريخ الحكماء**، ص220)وانظر ابن الجوزي:**المنتظم** 52/8.

(2) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب(ت255هـ):**التاج في أخلاق الملوك**،دار نوبليس، بيروت، لبنان،

(3) الطبري:**تاريخ** 72/8.

(4) اسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة.وهي أمه،وأبوه بجيرة بن معاوية.كان من أكبر أصحاب أبي حنيفة.روى الحديث عن الأعمش وهمام بن عروة ومحمد بن إسحاق ..وغيرهم.وعنه روى محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحي بن معين. يقول أبو يوسف:توفي أبي وأنا صغير،فأسلمتني أمي إلى قصار .فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها.فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار.ثم كنت أخالفها في ذلك أذهب إلى ابي حنيفة.فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة:إن هذا صبي يتيم،ليس له يء إلا ما أطعمه من مغزلي،وإك قد أفسدته علي.فقال لها:اسكتي يا رعناء،ها هو ذا يتعلم العلم وسيأكل بدهن الفستق في صحون الفيروزج فقالت:إنك شيخ قد خرفت.وبعد سنوات تقلد أبو يوسف القضاء للهادي،وأصبح في عهد الرشيد قاضي القضاة،لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة.وهو القاضي الوحيد الذي قربه الرشيد وطلب منه أن يضع كتابا في الخراج بأن يسأل الخليفة والقاضي يجيب.وضع إجاباته في شكل دستور اقتصادي فريد يعمل به في كامل الخلافة.(ابن كثير:**البداية والنهاية** 180/10) وانظر:**النجوم الزاهرة** 193/8،**مرآة الجنان** 382/1،ابن خلكان:**وفيات الأعيان2**/303

ثانيا: إصلاح البطانة(وزراء،أمراء،علماء،كتاب،قادة كبار،مستشارون..)

يبدو أن صلاح كل أمر من الأمور يكون إذا أسند إلى صاحب رأي سديد،وعقل راجح،وعلم واسع،وخبرة نافذة.وهذا ما يكون عليه في الغالب العلماء والمفكرون الذين يتوجب على الحاكم صحبتهم و استنصاحهم واستشارتهم في عظائم الأمور ودقائقها.يلزمه استقدامهم وإحضارهم.وإن لم يحضروا بذواتهم بعثوا برسائلهم،ووجهوا انتقاداتهم.وهم في ذلك يقلبون الأمور ويخبرونها ،ويشخصون مواطن الداء،ويصفون له الدواء.فهؤلاء أحرى باستعمالهم والاستعانة بهم.

وربما تقدم بمثل هذه الدعوات ،من هم في منصب الوزارة[2]– أو الكتابة وغيرها من المناصب الحساسة. وسواء تعلق الأمر بمقترحات علاجية لمشاكل عالقة،أو إجراءات وقائية مخافة الوقوع في الأزمات.

وقد فصل ابن خلدون واجبات الوزير وأعماله في العصر العباسي فقال:"فلما جاءت دولة بني العباس،واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت،وعظم شأن الوزير.وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد،وتعينت مرتبته في الدولة.وعنت لها الوجوه،وخضعت لها الرقاب...[3]

إن الإنسان الواعي لا يسمح لنفسه بمجالسة أي كان ،فضلا عن أنه يصاحبه ويصادقه.والأمر في شؤون الحكم ومقام المسؤولية ،يتطلب حيطة أكثر،ومهارة أوفر.وذلك لما للصديق من بالغ الأثر على صديقه. وكما قيل :"قل لي من تخالل أقل لك من أنت" وكما قال الشاعر قديما:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه، فكل قرين بالمقارن يقتدي.

---

(1) **الخراج** ص 3.

(2) الوزارة اسمها مشتق من معناها،واختلف فيه على ثلاثة أوجه:–إنه من الوزر وهو الثقل ،لأنه يحمل عن الملك أثقاله–والثاني إنه مشتق من الإصر وهو الظهر،لأن الملك يقوى بوزيره،كقوة البدن بظهره.–والثالث:أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى:"كلا لا وزر"أي لا ملجأ.لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته.لأن عليه مدار السياسة،وإليه تفوض الأموال.أدب الوزير، ص 9 ،انظر ابن خلدون المقدمة 270–272.وأضاف المسعودي عن الوزراء"أن بهم نظام الأمور،وجمال الملك،وبهاء السلطان،وهم الألسن الناطقة عن الملوك ،وخزان أموالهم،وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم.المسعودي:**التنبيه والإشراف** ص294.)

(3) ابن خلدون: **المقدمة** ، ص 270–272.

ونظرا لمكانة الحاكم في نفوس الناس،لاعتبارات شتى منها المادية والمعنوية.فقد عنيت كثير من فئات الشعب عبر التاريخ عامة ،وعبر التاريخ العباسي في العصر الأول خاصة.بالتقرب إلى الخلفاء والأمراء،بين راغب في ملك،وطامع في جاه،وبين مريد في نصيحة،وعازم على تبليغ وإرشاد.

فقد خص كثير من العلماء والمصلحين والمفكرين،هؤلاء الخلفاء برسائل ومواعظ،على شكل برنامج إصلاح،وخطة تنمية. فكان من مجالاتها،العناية بإصلاح الصحابة أو البطانة.من وزراء وكتاب وأمراء وقادة كبار وقضاة وغيرهم ممن يوالون عادة قصر الخلافة. لأن"من أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته حرصه على إحياء نفسه،إذ كان بهم نظامه."[1]

فالأحرى بالملك أو الخ أن يحرص على صلاح بطانته وخاصته،وأن يعجل بإحيائها إن كان بها لأن في ذلك إحياء لنفسه. فبطانة الخليفة على حد تعبير ابن المقفع :"بهاؤه وزينته،وخاصة من عامته،وألسنة رعيته،لا تصلح الرعية إلا بهم،ولا تستقيم الأمور إلا على أيديهم."[2]

وهو الذي تناول صحابة الخليفة ورجال البلاط ،وبين ما فيهم من فساد قبل خلافة المنصور إذ كانوا بلا أدب ولا حسب ،وإذ كانوا جماعة فجور وخساسة، فيرى الكاتب المفكر أن يعيد الخليفة النظر في بطانته وأن يتخير ذوي العقل والحسب.[3]

وقد اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بأمر الصحابة،فكان أبو العباس السفاح يحب مسامرة الرجال،وكثيرا ما يقول:"إنما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا.فقال أبو بكر الهذلي :ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟قال :يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك،ويدخل إلى امرأة أو جارية،فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا.."[4]

ما أكبر اهتمام أبي العباس وأكبر همته ، يؤثر مجالسة الرجال من أهل العقل والعلم والدراية على أن تبقى خاليا يشتغل بسفاسف الأمور.فيتخير الخليفة الأعوان ثم يتخير عونا من أولئك الأعوان،يكون مقدما عليهم . ومتصرفا في أمور السلطان،يتولى عنه صرف ما لا يمكن توصله إليه.ويتولى الأعوان الانتقام ممن سخط عليهم. [5]

---

(1) الجاحظ :**تاج الملوك** ص24.

(2) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** ،ص45.

(3) حنا الفاخوري:**ابن المقفع**،دار المعارف بمصر ،ص 24.

(4) المسعودي:**مروج الذهب** 278/3.

(5) أبو حمو الزياني التلمساني(791هـ/1338م) :**واسطة الملوك في سياسة الملوك** ،ص 62.

ودل على جهة الصلاح في ذلك ما ورد في عهد أردشير حيث قال:

"إن لكل ملك بطانة،ولكل رجل من بطانته بطانة،حتى يجتمع في ذلك جميع أهل المملكة،فإذا أقام بطانته على حال الصواب،أقام كل امرئ منهم بطانته على مثال ذلك، حتى تجتمع على ذلك عامة الرعية."[1]

وكان هؤلاء الدعاة النصاح للخلفاء،يركزون على حسن اختيار الخليفة لبطانته.فهذا عمرو بن عبيد–رحمه الله– يقرأ على الخليفة المنصور :"والفجر وليال عشر.." حتى بلغ "إن ربك لبالمرصاد "قال له:"ولمن فعل مثل فعالهم ،فاتق الله يا أمير المؤمنين،فإن ببابك نيرانا تأجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ،وأنت مسؤول عما اجترحوا ،وليسوا مسؤولين عما اجترحت ،فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك...فقال سليمان بن مجالد:اسكت لقد غممت أمير المؤمنين.فقال له عمرو بن عبيد ويلك يا ابن أم مجالد،أكفاك أنك خزنت نصيحتك لأمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه؟

اتق الله يا أمير المؤمنين،فإن هؤلاء قد اتخذوك سلما إلى شهواتهم فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا."[2]

ثم أخذ ينبهه إلى خطر بطانته بأنهم اتخذوه سلما إلى درك إرادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليه.فقال المنصور:فكيف أصنع،ادع لي أصحابك استعملهم ؟

قال عمرو بن عبيد:"ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عند بابك،فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك،لأنهم إن باينوهم ولم يعملوا بأهوائهم أرشوك بهم وحملوك عليهم.والله لئن رأوا عمالك لا تقبل منهم إلا العدل لا يتقربن إليك من لا نية له فيه."[3]

وفي هذا النداء من هذا العالم الفقيه، ما دل المنصور على أن من مواطن الفساد في الدولة ما يحيط بالخليفة نفسه من أعوان ومستشارين .فهو وإن كان الخليفة لم يشعر بفسادهم،فهذا لم يكن دليلا على تبرئتهم من وي الفراسة والخبرة.فدله على أقوم الطرق للخلاص منهم.وهو طردهم نهائيا من أعمالهم.حتى إذا فعل، التحق به أهل الدين والعدل.لأنهم لا يمكنهم أن يقربوا الخليفة،وهؤلاء الأعوان المزيفون يحيطون به.لأن في حال وجود هؤلاء الصلحاء يمكن أن يتغير عليهم الخليفة بفعل هؤلاء وشاية وحسدا من عند أنفسهم.فعمرو بن عبيد يقترح تحديد الطاقم العامل حول الخليفة.

---

(1) الماوردي: **نصيحة الملوك** ،ص 208.

(2) الطرطوشي:**سراج الملوك** ،ص26.

(3) البلاذري:**أنساب الأشراف4**/313.

ومما يدل على تأثر الخليفة بنداءات إصلاح البطانة. أن الإمام الأوزاعي –رحمه الله – صادف وأن وعظ الخليفة المنصور وعظا ذرفت له عين الخليفة.ولما خرج من حصرته،لقيه أبو أيوب المورياني –الذي تخلص منه فيما بعد – فقال للأوزاعي : "يا أبا عثمان،أظنك قد ردعت هذا الرجل؟فقال:نعم،وقد حضضته على أهل الكوفة وأهل البصرة،فإن استطعت أن تعينه بخير فافعل،وكفى بأمة شرا أن تكون أنت المدير لأمرها"[1]

ثم قال عمرو للمنصور:"يا أمير المؤمنين،ما من أحد أعدى لك من ابن مجالد،أيطوي عنك النصيحة ويمنعك ممن ينصحك؟ وإنك لمبعوث وموقوف عن مثاقيل الذر من الخير والشر؟فرمى أبو جعفر بخاتمه. وقال:قد وليتك ما وراء بابي،فادع أصحابك فولهم. قال عمرو:إن أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عملت بالعدل. [2]

وعظ بليغ،ونصيحة جريئة،وجههما الإمام الأوزاعي للخليفة وأحد أفراد بطانته.وهو طابع فريد تميز هؤلاء الدعاة المصلحون في فترة موضوع الدراسة.–132–193هـ –فقد تبرأ سفيان الثوري[3] من بطانة المهدي عندما قال له:"أبا عبد الله اصحبني حتى أسير فيكم سيرة العمرين.قال الثوري:أما هؤلاء جلساؤك فلا.[4] لقد خشي الثوري من انتقال العدوى التي أصابت جلساء المهدي،والذي لم يشعر بها.وهكذا شأن المريض الذي ربما لا يحس بأضرار مرضه،ولا يشخص أعراضه بدقة،وإنما يفعل ذلك كله الطبيب المختص الذي يميز بين السقم والبرء.

—

(1) الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ):**الوزراء والكتاب** ،طبع بمطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ،ط1357،1هـ/1938،ص83.

(2) الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود(282هـ/895م):**الأخبارالطوال**،تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ص352.

(3) هو الإمام أبو سفيان بن سعيد الثوري،كانت له النكت الرافقة،مسلم له في الإمامة،وحثيث به الرعاية،العلم حليفه،والزهد أليفه.قال عنه شعبة:سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.وقال عنه الأوزاعي:لو قيل لي : اختر رجلا يقوم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لاخترت لهم الثوري.(أبو نعيم:**حلية الأولياء** 356/6–357)مولده سنة 97هـ ببلخ ورابط بالشام،كان يأكل من عمل يده كالحصاد والعمل في الطين وحفظ البساتين،توفي سنة 161هـ(ابن الوردي:**تاريخ** 191/1) وانظر ترجمته في الذهبي:**سير أعلام النبلاء**،229/7،البغدادي:**تاريخ بغداد** 151/9،ابن الجوزي:**صفة الصفوة** 87/2، الزركلي :**الأعلام** 104/3.

(4) الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله(420هـ):**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**،دار الكتاب العربي، ط 3 ، 1400هـ/1980م،378/6.

وفي حكم الهند :"لا ينبغي للسلطان إقصاء البعيد إذا قرب نفعه،فلا شيء ينفع أقرب من الجسد.وربما دوي مريض فكان برؤه بالداء يؤتى من بعيد."[1]

وقد حذر الإمام مالك[2] في رسالته لهارون الرشيد من بطانة السوء فقال:"احذر بطانة السوء على نفسك،فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر.وبطانة لا تألوه خبالا."وهو مع التي استولت عليه.ومتى وقى بطانة السوء فقد وقي"[3]

و يشير الإمام مالك على هارون الرشيد بأولى الناس باتخاهم بطانة قال :"واستبطن أهل التقوى من الناس."[4]

فالأولى تقريب العلماء، وذوي الفكر الثاقب،والعلم الواسع، والخبرة الطويلة، والرأي السديد،والضمائر اليقظة.لينتفع بعلمهم ويستنار بفكرهم ويتزود بخبرتهم.ويؤمن منهم سلامة الرأي والمشورة.

وعندما يغيب هؤلاء الصالحون،حل محلهم أعوان السوء،فجرعوا الخلفاء الغش في طعم النصح.وأروهم الضلال في صورة الهدى.وعرضوا عليهم الغي في معارض الرشد.وحجبوهم عن النصحاء الحكماء. وحالوا بينهم وبين العلماء والفضلاء.فضلوا وأضلوا وهلكوا وأهلكوا.

---

(1) الماوردي: **نصيحة الملوك**،ص 392.

(2) هو مالك بن أنس الأصبحي الحميري،أبو عبد الله:إمام دار الهجرة،وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة،وإليه تنسب المالكية،مولده ووفاته في المدينة،كان صلبا في دينه.بعيدا عن الأمراء والملوك.وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي فضربه سياطا فخلعت لها كتفه.ووجه إلى الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه.فقال مالك:يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلال العلم،فجلس بين يديه،فحدثه.وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به.فصنف "الموطأ" وله رسالة في الوعظ وجهها إلى هارون الرشيد.(الزركلي:**الأعلام**258/5) وللمزيد انظر ابن سعد :**الطبقات** 570/7وما بعدها،ابن الجوزي:**صفة الصفوة** 437/1،الأصبهاني:**حلية الأولياء6**/316،ابن خلكان:**وفيات الأعيان** 135/4.

(3) **رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرشيد**، ،المطبعة المحمودية بمصر،1311هـ،ص6.

(4) المصدر نفسه

لذلك نصح عبيد الله بن الحسن العنبري [1]في رسالته للمهدي أن يأخذ برأي العلماء ويقربهم، وأمره بصيغة مهذبة بقوله:

"جرب يا أمير المؤمنين الاهتداء بسنة الأئمة والعلماء الهداة..ذلك بأنهم قاموا بنور الكتاب الذي أنزل الله،وأمالهم على ألسنتهم وأيديهم ولمن يتبعهم عليه.فنعم التابع والمتبوع...[2]

ونظرا لأنه لا يمكن للخليفة أن يستغني عن المشاورة،التي لم يستغن عنها حتى الأنبياء.قال الماوردي:

"قال الله تعالى:"...وشاورهم في الأمر."[3] هذا وهو صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق عقلا ونقلا. فبهذا الاعتبار لابد منها – أي المشاورة –في كل أمر تريده،ولو استشرت أكبر أو أصغر منك . فإياك وترك المشاورة.."[4]

ولم يمنع الصدع بالمشورة،وإبداء الرأي،كثيرا من العلماء والمفكرين أن يدلوا بها إلى الحكام ولو كان الأمر في غير صالحهم.لأن ذلك من صدق النصح،وكمال الرأي.

فقد حدث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي[5] قال:"كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة...فلما ولي الخلافة دخلت عليه فقال:يا عبد الرحمن بلغني أنك كنت تفد لبني أمية. قال:أجل،كنت أفد لهم وأفد إليهم.قال:فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟

---

(1)هو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحر العنبري،ولد بالبصرة سنة100هـ وقيل 106هـ،وبها تلقى العلم وأصبح من سادتها.له قدر وشرف وفقه كبير مأثور عنه.محمود السيرة،عاقلا فصيحا بليغا.ولما كان كذلك اختاره الخليفة أبو جعفر المنصور قاضيا في البصرة في المحرم سنة 157هـ مع إمامة الناس في الصلوات بعد وفاة قاضيها سوار بن عبد الله،فكان محمودا فيه يقضي به.صلبا في الحق،آخذا بما أوصاه به الخليفة،وبما منحه من صلاحيات واسعة في هذا الشأن.وبالفعل كان عند حسن ظن الخليفة،وموضع ثقته،حيث بقي يشغل هذا المنصب عشر سنوات،حتى عزله الخليفة المهدي سنة167هـ وولى مكانه خالد بن طليق الحارثي.(وكيع:**أخبار القضاة** 91/2-95،البغدادي:**تاريخ بغداد** 306/10-307،الزبير بن بكار:**الأخبار الموافقيات** 207/7،وانظر فرقاني محمد: **رسالة العنبري**،مجلة جامعة الأمير عبد القادر،العدد12،105-130)

(2)وكيع :**أخبار القضاة**، 98/2.

(3)**سورة آل عمران 159**.

(4)الماوردي:**التحفة الملوكية** ،ص70-71.

(5)هو عبد الله بن زياد بن أنعم ،القدوة،شيخ الإسلام ،أبو أيوب الشعباني الإفريقي.قاضي إفريقية وعالمها ومحدثها على سوء حفظه.وفد على المنصور بالكوفة،فوعظه وصدعه بالحق.وكان أول مولود ولد في الإسلام في إفريقية.ولي السفاح فظهر جور بإفريقية فوفد ابن أنعم على أبي جعفر مشتكيا.ثم قال:جئت لأعلمك بالجور ببلدنا ، فإذا هو يخرج من دارك؟ فغضب المنصور وهم به.توفي سنة ست وخمسين ومائة.وكان الثوري يعظمه جدا.وقيل إنه مات بالقيروان سنة واحد وستين ومائة.(الذهبي:**سير أعلام النبلاء** 412.411/6)

قال:يا أمير المؤمنين ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيته في سلطانك...فانظر ماذا تفعل؟ قال:يا عبد الرحمن إنا لا نجد الأعوان . قال:يا أمير المؤمنين،السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك.[1]

وفي وصية المنصور لابنه المهدي عند خروجه إلى الحج التنويه بأهمية الرأي والمشورة:"واعلم أن مادة الرأي المشاورة،فاختر لمشاورتك أهل اللب والرأي والصدق وكتمان السر."[2]

ورغم ما عرف عن المنصور من رجحان عقله،وصفاء ذهن،وسداد رأي، إلا أنه لا يستغني أن يستزيد من عرض قراراته على مستشاريه، الذين يختارهم بصفات حميدة،لا يتوفر عليها كل الناس. فمستشار العاقل مرآة للمرء تريه صواب رأيه من عدمه.فالمنصور في موقف الموصي الحريص على تبليغ شيء نفيس لابنه ولي العهد،فهو يعطيه زبدة خبرته في الحياة،فهو ينصحه بأن يكون على رأي صواب مادته مشاورة أهل العقل والرأي حيث كانوا،وإن اضطر إلى استقدامهم من بعيد.وهذا دليل آخر على فكر المرء مهما نصع فهو بحاجة إلى الاستبصار بنور عقول الآخرين.

ورغم شدة المنصور وحدته على المخالفين لسياسته،إلا أنه من حين لآخر يظهر عليه من ينتقد سياسته، في جرأة وصدق."فقد قال مرة لابن أبي ذؤيب:ما تقول في ؟ قال:يا أمير المؤمنين أعفني.قال: والله لا أعفيك . قال:إذا لم تعفني فإنك جائر ظالم.قال:يا ابن الفاعلة،وما علمك بأنني ظالم جائر؟قال:يا أمير المؤمنين،كانت أمي عجوز من عجائز قومك ليس بها بأس.قال:فما علمك أني ظالم جائر؟

قال:"علمت ذاك بتوليك معْنا اليمن يقتلهم ويأخذ أموالهم.ويبلغك ذلك فلا تغير". فاشتد غضب أبي جعفر. ولما رأى ابن أبي ذؤيب شدة غضبه قال له:

"والله يا أمير المؤمنين،لأنا أنصح لك من المهدي.إن أباك العباس بن عبد المطلب-رحمه الله-كان برا بقريش محبا لها.فانكسر أبو جعفر..[3]

---

(1) ابن الجوزي:**المنتظم** 339/7.

(2) البلاذري:**أنساب الأشراف** 363/4.

(3) الأزدي:**تاريخ الموصل**،ص 176-177.

وكان خلفاء بني العباس الأوائل يدركون قيمة العلماء،فكانوا يقربونهم ويطلبونهم."فهم في حاجة إلى بيعة فقهاء المدينة لما لهذه البيعة من الأهمية في تأييد الخلافة وتوكيد البيعة،وكان أهل الورع من الخلفاء لا يقطعون أمرا دونهم."[1]

فهذا أبو العباس السفاح كان يشجع مجالس العلماء ولا يخلو مجلس من مجالسه من حضورهم. وكذلك كان المنصور الذي عرف هذه الحقيقة وعرفها ابنه المهدي وهو يوصيه:"يا أبا عبد الله،لا تجلس مجلسا إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك."[2] لأنه يعرف سداد رأيهم،وسعة أفقهم،وصواب اقتراحهم. فتمثل المهدي ذلك وقرب العلماء وولاهم الوظائف.فقلد عبيد الله وزارته ودواوينه في سنة 159هـ.[3]

ولما أتي بسفيان الثوري،كبير علماء عصره المسلمين،فدخل على المهدي و سلم، ولم يسلم بالخلافة.والربيع قائم على رأسه متكئا على سيفه يراقب أمره،فأقبل عليه المهدي بوجه طلق.وقال له:يا سفيان تفر ههنا وههنا وتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ فقد قدرنا عليك الآن،أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان:إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل.

فقال الربيع له:يا أمير المؤمنين،ألهذا الجاهل أن يسبقك بمثل هذا؟ أتأذن لي أن أضرب عنقه.فقال له ي:اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم.اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم.فكتب عهده ودفعه إليه..."[4]ومات الثوري في البصرة في الاختفاء من المهدي فإنه كان قوالا بالحق،شديد الإنكار."[5]

---

(1) جرجي زيدان:**التمدن الإسلامي**،مراجعة وتعليق:حسين مؤنس،دار الهلال، 35/2.

(2) الطبري :**تاريخ** 71/8،الأزدي :المصدر السابق ،ص 202.

(3) الجهشياري:**الوزراء** ،ص102.

(4) ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري(ت 1089هـ):**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط،دار ابن كثير ، دمشق، 275/2، وانظر البدري:**الإسلام بين العلماء والحكام**،ص85.

(5) الذهبي شمس الدين :**تذكرة الحفاظ**،اعتنى بطبعه السيد علي،186/1.

وأشار العنبري في رسالته للمهدي بصراحة إلى ضرورة تقريب أصحاب ذوي الكفاءات والمؤهلات. فقال:"...فإن رأى أمير المؤمنين أن يكون بحضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار،أهل صدق وعلم بالكتاب والسنة،أولوا حنكة وعقول،وورع لما يرد عليه من أمور الناس وأحكامهم،وما يرفع إليه من مظالمهم فليفعل...ففي ذلك عون صدق على ما هو إن شاء الله."[1]

وقد حذر الإمام مالك في رسالته لهارون الرشيد من بطانة السوء فقال:"احذر بطانة السوء على نفسك،فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر.وبطانة لا تألوه خبالا."وهو مع التي استولت عليه.ومتى وقى بطانة السوء فقد وقي"[2]

وهذه النصيحة من الإمام مالك،تبين لنا مدى خطورة أمر الصاحب على صاحبه،ويعظم الأمر ويزداد أهمية وخطورة،إذا تعلق الأمر بخليفة المسلمين ،فهو يشخص فداحة الحال،إذا تعلق المرء بأصحاب السوء،وجعلهم الخليفة بطانة له،وفي نفس الوقت يأمره بطريقة غير مباشرة،باستبطان أهل الصلاح والمعروف.وأنهم هم أولى الناس باتخاذهم بطانة قال :"واستبطن أهل التقوى من الناس."[3]

ولم تقتصر دعوة الخلفاء إلى اختيار البطانة الصالحة،و تجنب البطانة السيئة،حكرا على العلماء المشهورين، بل كان لأناس بسطاء قسط منها.فقد التقى هارون الرشيد بشيبان الراعي،فقال له:عظني؟ فقال شيبان:"لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف.فقال الرشيد:فسر لي هذا؟

قال:"من يقول لك :أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله،أنصح لك ممن يقول:أنتم أهل بيت مغفور لكم،وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وسلم،فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله.[4]

ومن هذا الموقف نستشف أمرين:

-الأمر الأول:أن الرشيد يستشعر نفسه أنه خليفة مسؤول ،ولا يهمه من حيث إليه الدعوة إلى الإصلاح مهما كان موضوعها ومهما كان مصدرها.

---

(1) وكيع:**أخبار القضاة** 107/2.

(2) **رسالة الإمام مالك** ،ص6.

(3) المصدر نفسه.

(4) السيوطي:**تاريخ الخلفاء** ،ص 272،انظر:علي بن أحمد مشاغل :**الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول1**،مشكلاتها وأساليب مواجهتها132-232ه،دار العاصمة،الرياض،206،1994-207 .

–الأمر الثاني:أن الحقيقة التي أشار إليها الراعي،هي أن الخليفة مطالب باستبطان من يعرفه حقوقه وواجباته،ويخوفه من مغبة التهاون في آداء ذلك،خير له من أن يستعمل من يخفي عنه حقائق الأمور ولا يواجهه بها،ويمالؤه بأنه من أهل بيت مغفور له.فهذا لا ينفع الراعي ولا الرعية في شيء.بل عليه أن يأخذ الأمر بشدة وحزم.

وكان من السهل على الخليفة تأديب بطانته،إن هم حادوا أو ركبوا أهواءهم.وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرية الخليفة في أخذ القرار،وأنه ليس خاضعا لكل ما يملى عليه.وإن كان تأديب الخاصة قد أمر الله به نصا في كتابه فقال:"وآمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها"[1]وقال:"وآمر أهلك يأخذوا بأحسنها"[2] وقال لنبيه الكريم في أول أمره بالإنذار:"وانذر عشيرتك الأقربين"[3]

لهرت دعوات بهدف إصلاح البطانة،وكشف ما هي عليها من عيوب قد تخفى على الخليفة نفسه. فهذه دعوة أعرابي للمنصور في الحج تفضح مساوئ البطانة،وتبصر الخليفة بحقيقة صحابته الذين يستعملهم:"

واتخذت وزراء أعوانا فجرة:إن نسيت لم يذكروك،وإن أحسنت لم يعينوك،وقويتهم على ظلم الناس بالرجال والأموال والسلاح...فلما رآك هؤلاء النفر استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك،وأمرت ألا يحجبوا عنك...وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك...هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك،وأنت غافل،وإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إلى مدينتك،وإن أراد رفع قصة إليك عند ظهورك،وجدك قد نهيت عن ذلك،ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم،فإن جاء ذلك الرجل يبلغ بطانتك،سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك،فإن صرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره.[4]

ولم يكن هذا الموقف من المنصور سوى دليل على اهتمامه بإصلاح العمال،ولو كانوا أولي قربى.لأن في ذلك تحسبا للمسؤولية الملقاة على عاتقه.وتجنبا للمحاباة ،وإبعادا للقريب إذا ظهر شره،وتقريبا للبعيد إذا بان نفعه.

---

(1) **سورة طه** 132.

(2) **سورة الأعراف** 145.

(3) **سورة الشعراء** 214.

(4) ابن الجوزي:**المنتظم** 8/49-50.

ولما كان من عادة الخلفاء تقريب الأطباء والحكماء،وجعلهم من خاصتهم.فكان جرجيس بن بختيشوع الجنديسابوري[1] طبيب المنصور،قد مرض واستأذن في العودة إلى بلده.وخلف تلميذه عيسى ابن شهلافا.الذي بدأ يبسط يده في التشاور والأذية،خاصة على الأساقفة والمطارنة ،ومطالبتهم بالرشى،وأخذ أموالهم.وكان فيه شره وطمع.وكتب في كتابه إلى المطران:"أليس تعلم أن أمر الملك في يدي،إن أردت أمرضته وإن أردت شفيته؟

فلما وقف المطران على احتيال في التوصل إلى الربيع وشرح له صورة الحال.وأقرأه الكتاب،وأوصله الربيع إلى الخليفة ووقفه على حقيقة الأمر.فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملكه عيسى المتطبب وتأديبه ونفيه أقبح نفي.[2]

ويذكر الجهشياري أن خالد البرمكي[3] أكثر الصلات والجوائز والإحسان إلى كافة الناس وخاصتهم. فشغب الجند عليه.فضرب عنق قائد منهم ذي قربة لفرج خادم المهدي،فكثر الفرج فيه عمد المهدي، ونسبه إلى المعصية.فغضب المهدي وحبسه وألزمه مالا جليلا.[4]

"وأمر المهدي بعزل أصحاب يعقوب من الأعمال في الشرق والغرب،وأن يحبس جميع أهل بيته وأقاربه"[5]

---

(1) كانت له خبرة بصناعة الطب،ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج،وخدم بصناعة الطب المنصور،وكان حظيا عنده،رفيع المنزلة.ونال من جهته أموالا جزيلة.وفعل للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية،كان نصرانيا،توفي سنة 152هـ بمرض صعب.(ابن أبي أصيبعة(668هـ):**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،دار الثقافة،بيروت ،لبنان،ط1401،3÷/1981م، 39.37/2)

(2) القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف:**تاريخ الحكماء**،مكتبة المثنى ببغداد، ص 228.

(3) هو الوزير الكبير أبو العباس الفارسي.جد الوزير جعفر ابن الوزير يحي البرمكي العراقي.كان يتهم بدين المجوس.وكان يختلف إلى محمد بن غلي الإمام.ثم إلى ابنه إبراهيم الإمام.وزر خالد للسفاح بعد حفص الخلال.ثم وزر للمنصور سنة وأشهرا.ثم ولاه إمرة بلاد فارس.واستوزر بعده أبا أيوب المورياني.مات في سنة خمس وستين ومائة عن خمس وسبعين سنة.(الذهبي:**سير أعلام النبلاء** 229.228/7)

(4) **الوزراء والكتاب** ،ص111.

(5) الطبري:**تاريخ** 228/8.

وفي سنة 187هـ أوقع الرشيد بالبرامكة [1] ونكبهم النكبة المشهورة. وقد اختلف المورخون في سبب ذلك.[2] ويعلق محمد حلمي على أن النكبة أبعد خطرا على كيان الخلافة العباسية من مصرع أبي مسلم،وقد ظهر هذا الخطر بوضوح عندما تولى الأمين الخلافة بعد أبيه ونشب النزاع بين الخليفة الجديد وأخيه المأمون.[3]

وقتلهم الرشيد قتلة،بحيث أنه تعلق بأستار الكعبة،واستخار في قتل جعفر وقال في مناجاته: اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى،ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين.[4]

رغم أن هذا الإجراء يعتبر تصرفا عاديا من خليفة المسلمين ،الحريص على جلب المنافع ودفع المفاسد.ورغم أن هؤلاء البرامكة تحكموا في كل شيء ، فهم بذلك تجاوزوا الحد فانقلب عليهم الحال إلى الضد.

ومع ذلك ،فقد ندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة.وخاطب جماعة من خواصه بأنه لو وثق بصفاء النية منهم لأعادهم إلى حالهم.وكان كثيرا ما يقول:حملونا على نصحائنا وكفاتنا،وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم،فلما صرنا إلى ما أرادوا منا، لم يغنوا عنا شيئا.[5]

والواقع أن الرشيد يتحمل جزءا من مسؤولية وصول أوضاعه إلى هذا الشكل،لكونه المسؤول عن منح يحيى البرمكي صلاحيات واسعة.فكان يدير ويرأس الديوان،وبيده ديوان الخاتم الذي يعد رمز السلطة والنفوذ ،وقد أشرك الرشيد جعفر البرمكي في النظر في المظالم.وهذه من اختصاصات الخليفة أبدا.[6]

---

(1) والبرامكة قيل أنهم كانوا أهل بيوتات بلخ ممن يقولون البهار وبيت النار،فقيل لهم البرامكة على معنى أنهم سدنة البيت وحجابه.فأول ما ولوا من الأعمال في أيام أبي العباس،ولأبي الخزاج خالد بن برمك،ثم صار يدور فيهم إلى أيام الرشيد.فولي الوزارة يحيى بن خالد بن برمك وولي خراسان وما دون باب بغداد مما يليها لبنه الفضل بن يحيى.وولي ابنه جعفر بن يحيى الخاتم.–مطهر بن طاهر المقدسي:**البدء والتاريخ**،باريس،104/6)

(2) اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا،فقيل أن سبب النكبة هو أن الرشيد ما كان يصبر عن أخته عباسة ولا عن جعفر بن يحيى.فقال له:أزوجكها حتى يحل لك النظر إليها.ثم لا تقربها.فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد عنها ويخلوان بأنفسهما.فجامعها جعفر فحبلت منه فولدت وكتمت الأمر في ذلك حتى علم الرشيد .فكان ذلك سبب النكبة.(ابن الطقطقي:**الفخري**، ص209،ابن القرماني:**أخبار الدول**2/86–87)وقيل إن أعداء البرامكة مثل الفضل بـ الربيع مازالوا يسعون بهم إلى الرشيد.ويذكرون له استبدادهم بالملك واحتجانهم للأموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم.وقيل:إن جعفرا والفضل ابني يحيى بن خالد ظهر منهما من الادلال مالا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك.(**الفخري**، ص209،ابن العماد:**شذرات الذهب** 393/2).ولمزيد من التفاصيل عن النكبة انظر: عبد الله الفياض :**تاريخ البرامكة** ،ص 92.

(3) محمد حلمي ومحمد أحمد: **الخلافة والدولة في العصر العباسي**،مكتبة الشباب، القاهرة،ط1972،2،ص61.

(4) الجاحظ:**التاج في أخلاق الملوك** ،ص60.

(5) الجهشياري:**الوزراء** ،ص207،ابن العماد:**شذرات الذهب2**/393.

(6) عبد الجبار ناجي وآخرون:**الدولة العربية** ،ص104.

والظاهر أن علاقات البرامكة العامة،كانت جيدة جدا.إذ أن المصادر لا تسجل أي نقد لأعمالهم حتى إن كان واضحا أن أعمالهم هذه خاطئة.وطبيعي أن تتناول مسؤوليتهم الرئيسية شؤون الإدارة المالية للإمبراطورية وقد تمكنوا من مراقبتها بفعالية بمعونة موظفيهم في الولايات. ومن المؤكد أنها كانت سياسة محافظة صارمة لم تأخذ الإصلاح بعين الإعتبار [1]

ثالثا: الوصية بالعدل أساس الملك

العدل أهم قاعدة لتحقيق التوازن الاجتماعي بين الأفراد والمجتمعات،وبينهم وبين حاكميهم.فكان نظام الحكم في الإسلام لا يقوم إلا على العدل والشورى.كما قال تعالى:"وأمرهم شورى بينهم"[2]

"ولا يعني الرعية من الحاكم حسبه ولا نسبه.ولا عرقه ولا طبقته الاجتماعية،وإنما يعنيها منه تقوى الله والاستعداد لإقامة القسط بين الناس.[3] مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة.ما أقام فيكم كتاب الله تعالى." [4]

ولهذا ألزم الله كل حاكم في الإسلام العدل بالمطلق بين الناس،كل الناس،لا فرق بين طبقاتهم وأجناسهم وأديانهم،قال تعالى:"وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط،إن الله يحب المقسطين"[5]

قال لماوردي:"فعلى ولي الأمر أن يقابل شكر نعمة الولاية التي أنعم الله تعالى عليه بها باستعمال العدل مع الرعية،واجتناب الجور في كل قضية."[6]

وأمر سبحانه وتعالى بالعدل المطلق فقال:"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين...فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا،وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا."[7]

---

(1) محمد عبد الحي شعبان:**الثورة العباسية** ،ص 50.

(2) **سورة الشورى 38**.

(3) صبحي الصالح:**النظم الإسلامية** ،نشأتها وتطورها،دار العلم للملايين،بيروت،ط 6،1982،474-475.

(4) **صحيح سنن النسائي**،صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي،بيروت،ط1،1409هـ/1988م،باب الحض على طاعة الإمام،حديث رقم3908 ،879/3.

(5) **سورة المائدة 42**.

(6) **التحفة الملوكية**،تحقيق:فؤاد عبد المنعم،مؤسسة شباب الجامعة،1993، ص 72.

(7) **سورة النساء 135**.

كما حذر القرآن الكريم الحكام من التأثر بالشنآن وهو العداوة والبغضاء.فلا يجوز أن تحملهم عداوة قوم على أن لا يعدلوا في حقهم.وفي ذلك يقول بلهجة حازمة:"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط،ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله بما تعملون خبير."[1]

والعدل أساس الملك" كما قرر الإمام الماوردي،والظلم مؤذن بخراب العمران كما بين ابن خلدون.

قال الماوردي:"العدل هو الأساس الذي ينبني عليه نظام العالم،فإذا استعمل الملك العدل عمرت البلاد،وأمن العباد،وتحصلت الأموال،وكثر الرجال،وانتظمت الأحوال،وخصب الزمان،وحصل الأمن والأمان."[2]

وهو الأمر الوحيد الذي إذا كان من الخلفاء والحكام،آتى أكله،وانتفع منه الجميع.ففي عهد أردشير قديما ورد:" فاجتهدوا معشر الملوك في بسط العدل الذي لا تقدر عليه الرعية."[3]

وفي العصر العباسي الأول،ظهرت عدة دعوات إصلاحية ،تنادي بإقامة العدل، وإزالة الظلم.سواء كان مستوى المسؤولين الكبار(الخلفاء)أو الذين يلونهم (وزراء،أمراء،قادة وقضاة..)أحيانا تكون دعوات موجهة مباشرة إلى الخلفاء الذين ظلموا أو الذين يتظلم عندهم من أحد من الرعية أو المسؤولين في الخلافة ، وأحيانا توجه الدعوة في شكل رسالة مخافة البطش والهلاك،وأحيانا أخرى تكون الدعوة إلى العدل هذه في شكل نصيحة وقائية، توجه إلى من يخاف منه عدم إقامة العدل،فتكون له نبراسا ومحفزا عليه.

فأمل الناس في الخليفة أو الحاكم "أن يكون لهم إماما عادلا ،وعدلا مقسطا ،يهدي فيهم بمثل هدي أولئك،ويسير فيهم بمثل سيرهم.فيؤتي بمثل أجورهم أجل الفوز العظيم."[4]

وبإقامتهم العدل بين الناس،والاهتمام لأمور رعيتهم،يعظم بذلك على العباد حقهم،وتلزم محبتهم، والنصيحة لهم،والحفيظة من ورائهم،وتجب مؤازرتهم والسمع والطاعة لهم.[5]

ومن تلك الدعوات الموجهة،موعظة أعرابي للمنصور في الحج.فبينما كان أبو جعفر يطوف بالكعبة إذ به يسمع رجلا عند الملتزم،وهو يقول:اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض،وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع.

---

(1) **سورة المائدة 8**.

(2) **التحف الملوكية** ،ص 105.

(3) محمد كرد علي:**رسائل البلغاء** ،ص 300.

(4) وكيع:**أخبار القضاة** 99/2.

(5) المصدر نفسه، ص98.

فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله.ثم خرج فجلس ناحية من المسجد،ثم أرسل إليه فدعاه وقال له:ما هذا الظلم والطمع ؟ فو الله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني فأقلقني.فقال:يا أمير المؤمنين،إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصلها.فقال:أنت آمن على نفسك.فقال:يا أمير المؤمنين،إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض لأنت.قال:ويحك،كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي،والحلو والحامض في قبضتي؟

فأخذ الرجل يعدد المعايب ويصف المثالب قائلا:

"إن الله استرعاك أمور المسلمين بأموالهم،فأغفلت أمورهم،واهتممت بجمع أموالهم،وجعلت بينك وبينهم حجابا من الآجر والجص،وأبوابا من الحديد،وحجبة معهم السلاح،واتخذت وزراء وأعوانا فجرة،إن نسيت لم يذكروك،وإن أحسنت لم يعينوك،قويتهم على ظلم الناس بالرجال والأموال.وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان،ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف والجائع والعاري،وما من أحد إلا وله في المال حق. فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك،وأمرت ألا يحجبوا عنك،تجبي المال ولا تقسمه،قالوا:هذا قد خان الله،فما لنا لا نخونه،وقد سخر لنا،وائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا،ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم ،إلا أقصوه عنك حتى تسقط منزلته عندك،فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم.

وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك..وامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك،وأنت غافل.وإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إلى مدينتك..وإن جاء الرجل يبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك.فإن صرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره.وأنت تنظر فلا تغير ولا تنكر.فما بقاء الإسلام وأهله على هذا... [1]

---

(1) ابن الجوزي:**المنتظم8** /48-51 وانظر:**العقد الفريد** 159/3،ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر:**تاريخ ابن الوردي**،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1417هـ/1996م،190/1.علي بن أنجب المعروف بابن ساعي البغدادي:**مختصر أخبار الخلفاء**،ط1،المطبعة الأميرية ببولاق،مصر،1309هـ، ص 16 وما بعدها ،الزبير بن بكار:**الأخبار الموافقيات**7/392-398.

فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته،ثم قال:يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا.ثم قال:كيف احتيالي فيما خولت،ولم أر من الناس إلا خائنا .قال الأعرابي:يا أمير المؤمنين،عليك بالأئمة الأعلام المرشدين.قال:ومن هم؟قال:العلماء.قال:قد فروا مني.قال:هربوا منك مخافة أن تحملهم على ظهر ما من طريقتك،ولكن افتح الأبواب،وسهل الحجاب،وانتصر للمظلوم ،وامنع الظالم،وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالعدل،وأنا ضامن لك عن من هرب منك أن يأتيك ويعاونك على صلاح أمرك ورعيتك."[1]

فلو نتأمل في دعوة الأعرابي هذه.فإننا نجد بأن الرجل قد شخص أمراضا وعللا لم يتفطن الخليفة المنصور إلى خطرها.وهي على هذا الشكل:

-اتخاذ المنصور وزراء وأعوان استخلصهم لنفسه،جعل العمال الذين هم دونهم يقربون إليهم بالهدايا والرشى ليتقووا بها على ظلم العامة.والخليفة عن ذلك غافل.

-وقف الخليفة المنصور للناس رجلا ينظر في مظالمهم.وقع تحت ضغط رجال البطانة.فهو يبلغ فقط بالمظالم التي ارتضوها هم.وهو إن بلغ بمظلمة لم يكن من رضاهم ،ضربوه ضربا مبرحا،ليكون لغيره عبرة.

المنصور لموعظة الرجل الذي شخص له المرض،ووصف له العلاج.ويبدو أن أبا جعفر أخذ بهذه المقترحات على حسب ما ظهر من حزمه في محاسبة عماله وعزل و قتل وزرائه.وإنصافه للرعية.

فقد رفع إليه رجل يشكو عامله أنه أخذ حدا من ضيعته ،فأضافه إلى ماله،فوقع إلى عامله في رقعة المتظلم:"إن آثرت العدل صحبتك السلامة،فأنصف هذا المتظلم من هذه الظلامة."[2]

عجز أصحاب الدعوات والرسائل الإصلاحية، أن يدلوا بها مباشرة إلى الحكام، أو حتى يبعثوها مع رسول،فإن منهم من يرسلها بطريقة عجيبة، ولا يهم إلا أن يصل فحوى الرسالة إلى المعني.

يروي المسعودي[3] أن المنصور كان جالسا في مجلسه المبني على طاق باب خراسان(وكان يسمى باب الدولة لإقبال الدولة من خراسان) من مدينته.إذا بسهم يسقط بين يديه،فذعر منه المنصور ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فإذا هو مكتوب عليه بين الريشتين:

---

(1) ابن الجوزي:**المنتظم** 8/48-51 وانظر:**العقد الفريد** 3/159،ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر:**تاريخ ابن الوردي**، 1/190.ابن ساعي البغدادي:**مختصر أخبار الخلفاء**، ص 16 وما بعدها ،الزبير بن بكار:**الأخبار الموافقيات**7/392-398.

(2) الطبري:**تاريخ** 8/97.

(3) **مروج الذهب** 3/ 300-301.

أتطمع في الحياة إلى التناد وتحسب أن ما لك من معاد.

ستسأل عن ذنوبك والخطايا وتسأل بعد ذلك عن العباد.

ثم قرأ عند الريشة الأخرى:

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر.

وسالمك الليالي فاغترت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر.

ثم قرأ عند الريشة الأخرى:

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال.

يوما تريك خسيس القوم ترفعه إلى السماء،ويوما تخفض العالي.

وإذا بها على جانب السهم مكتوب:

"همذان فيها رجل مظلوم في حبسك،فبعث من فوره بعدة من خاصته،ففتشوا الحبوس والمطابق.فوجدوا شيخا في حبس،وهو موثق بالحديد،متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية:" وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[1]

فسألوا عن بلده فقال:همذان.فحمل ووضع بين يدي المنصور،فسأله عن حاله،فأخبره أنه رجل من أبناء همذان أرباب نعمها،وأن واليك علينا دخل بلدنا،ولي ضيعة تساوي الألف درهم،فأراد أخذها مني.فامتنعت فكبلني في الحديد.فقال: مذ كم لك في الحبس؟قال:مذ أربعة أعوام،فأمر بفك الحديد عنه والإحسان إليه،والإطلاق له.ثم قال له:يا شيخ رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا. وأما مدينتك همذان فقد ولياك عليها.وأما الوالي فقد حكمناك فيه وجعلنا أمره إليك.

فقال الشيخ:يا أمير المؤمنين،أما الضيعة فقد قبلتها،وأما الولاية فلا أصلح لها.وأما واليك فقد عفوت عنه. فأمر له المنصور بمال جزيل..بعد أن صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحراف عن سنة العدل، وواضحة الحق."[2]

ويبدو أن المنصور قد تأثر لهذه الدعوات المتكررة والمختلفة في مصادرها المتفقة في هدفها،وهو حفظ الأمن، وبسط العدل.لذلك أوصى المنصور ولي عهده المهدي بجملة من مضامين هذه الدعوات.ولأنه أدرك حقيقة العدل في صلاح الملك ودوامه قال في وصيته لابنه المهدي:

---

(1) **سورة الشعراء 227**.

(2) المسعودي:**مروج الذهب** 300-301.

" ...واحكم بالعدل ولا تشطط ، فإن ذلك أقطع للشغب، وأحسم للعدو، وأنجع في الدواء..[1]

ولما أفضت الخلافة إلى المهدي، قام بإجراءات عملية ، تثبت انصياعه لمثل العدل، ا ي طالما نادى بها المصلحون والمفكرون.وهو يفتتح عهده بالفرج بعد الشدة،إيذانا بعهد جديد من كفالة الحريات الفردية والعامة،فأمر بإطلاق من في السجون،من المعتقلين السياسيين ، وسجناء الرأي،وغيرهم.فأطلق منهم يعقوب بن داود بن طهمان [2]

ولما حج سنة 160هـ نزع المهدي كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة.وقسم بمكة في أهلها مالا عظيما.وفي أهل المدينة كذلك.فذكر أنه نظر فيما قسم في تلك السفرة فوجد ثلاثين ألف ألف درهم،حملت معه،ووصلت إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار،ومن اليمن مائتي ألف دينار.ووسع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم..[3] حيث أمر بشراء ما حول المسجد من المنازل والدور فيوسع بد المسجد.كما أمر باتخاذ المقاصير في جميع مساجد الجماعات.[4] وفي سنة 162 هـ أمر المهدي أن يجري على المجذمين وأهل السجون في سائر الآفاق.[5]

وفي رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد،شدد الإمام على ضرورة العدل وشناعة الظلم فقال:"لا تظلم الناس فإن فيديلهم [6] الله عليك.فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال:"ما ظلمت أحدا أشد علي من أحد لا يستعين علي إلا بالله."[7]

فحرص الرشيد على أن يجعل حكمه عادلا.فقرب قاضيه أبا يوسف وجعله قاضي قضاة الخلافة.ومع جلالة هذا المنصب،إلا أن كل ذلك لم يمنع القاضي الورع من إقامة العدل ولو على الخليفة نفسه.فهذا موقف تحاكم فيه مدع مع هارون الرشيد إلى أبي يوسف القاضي،في بستان.فحكم به القاضي للمدعي،وبعث إلى الرجل في تسلم بستانه.[8]

---

(1) الطبري:**تاريخ** 106/8.النويري:**نهاية الأرب** 104/22.ابن ساعي :**مختصر أخبار الخلفاء** ص21.ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،مؤسسة جمال للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان.205/5.

(2) وكان يعقوب كاتب إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن وكان المنصور حبسه في المطبق.الجهشياري:**الوزراء** ،ص 114.

(3) الطبري:**تاريخ** 133/8،ابن العماد: **شذرات الذهب2**/269.ابن خلدون:**العبر**5/209.

(4) الطبري:**تاريخ8**/142.الدينوري :**الأخبار الطوال**، ص353.

(5) ابن العماد:المصدر السابق ،ص 282.

(6) أدال:الإدالة :الغلبة .(ابن منظور:**لسان العرب16**/1455-1456.مادة "دول"

(7) **رسالة الإمام مالك إلى هارون الرشيد** ،ص 8.

(8) ابن كثير:**البداية والنهاية** 187/10، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي:**التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**(المواقف الأخلاقية) ،دار الدعوة،دار الأندلس،جدة، ط1، 1419هـ/1998م، ص 233-234.

رابعا: تفقد العمال ومحاسبتهم.

وإذا كان الخليفة يحرس ويرقب ما يليه من الأمور ،فإن ما غاب عنه يوكل إليه من يتفقد له ذلك في الأمصار. ويكتب له على الحقيقة بالخبر او يأتيه به شخصيا . فهو وإن كان هذا الإجراء أمنيا فهو وقائي أكثر منه علاجي.قد ظهر في أوائل الدولة الإسلامية .فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث في الأمصار والثغور من يتحسس ويتجسس[1] له الجبر. فيكون أقدر على تحضير نفسه مسبقا للتعامل مع أي موقف يطرأ عليه. ودون أن يجد نفسه مباغتا محاصرا. وقد تفاقمت عليه الأمور.

وفي العصر العباسي فقد عني العباسيون الأوائل ببث عيون[2] لهم يرقبون الأمور عن كثب .ويحملون عنها تقارير للخليفة فيتصرف وفق التقرير.وهو من صالح الخليفة "أن يجعل على الرعية عيونا ممن يداخلون طبقاتهم ،وجواسيس يتجسسون أخبارهم.ويتبعون أنباءهم ولا سيما في مواضع الظنة والتهمة. كما يفعل ذلك مع المنابذين له من الملوك والنظراء والمجاورين له من الأضداد والأعداء وفي كل وقت وزمان".[3]

ففي سنة 135هـ عزل أبو العباس أخاه يحي بن محمد عن الموصل لقتله أهلها وسوء أثره فيها.وقلدها عمه اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس.[4]

واشتهر من الخلفاء العباسيين الأوائل في تفقد شؤون عماله و محاسبتهم – إن قصروا أو أساؤوا –أبو جعفر المنصور فقد "بالغ في المحاسبة حتى قال خالد بن الصلت – وكان على بناء ربع بغداد – :"رفعت إليه الحساب فبقيت علي خمسة عشر درها فحبسني حتى أديتها."[5]

فكان المنصور يحاسب الصناع والأجراء فيقول لهذا :أنت نمت القائلة ،ولهذا أنت لم تبكر إلى عملك ولغيره :أنت انصرفت ولم تكمل عملك ،فيعطي كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه .فلا يكاد يعطي أجرة يوم واحد.[6]

ومما يدل على اهتمام المنصور بأمور عماله في مهامهم أنه ولى بعض العمال على بلد فبلغه أنه قد ـــــ

(1) التجـ س والتحسس:من المجاز الجس وهو تفحص الأخبار والبحث فيها.والتجسس بالجيم أن يطلبه لغيره،وبالحاء أن يطلبه لنفسه.ومعناها واحد في تطلب معرفة الأخبار.(الزبيدي:**تاج العروس من جواهر القاموس**،دار الفكر،بيروت،1414هـ/1994م، 224/8)

(2) العيون بمعنى الجواسيس.

(3) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ):**نصيحة الملوك**،تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، 1988، ص 276.

(4) الأزدي :**تاريخ الموصل** ،ص 156.

(5) ابن تغري بردي :**النجوم الزاهرة** 5/2-6.

(6) حسن إبراهيم حسن :**تاريخ الإسلام** 34/2.

تصدى للصيد وأعد لذلك كلابا وبزاة ،فكتب إليه :"ثكلتك أمك وعشيرتك ،ويحك إنا إنما استكفيناك واستعملناك على أمور المسلمين .ولم نستكفك أمور الوحوش في البراري ، فسلم ما تلي من عملنا إلى فلان.والحق بأهلك ملوما مدحورا." [1]

وقال يوما وهو يحاسب ابنه المهدي وينبهه إلى تحمل كل كبيرة وصغيرة مما تحت يده من مسؤوليات:"كم عندك من دابة؟ فقال :لا أدري.فقال:هذا هو التقصير، فأنت لأمر الخلافة أشد تضييعا .فاتق الله يا بني.[2]

وقد استخدم الخليفة أبو جعفر عمال البريد الذين كانوا عيونا له وعونا على الإشراف على أمور دولته،وبواسطتهم كان يقف على أحوال الولاة،وما يصدره القضاة من الأحكام وما يرد ببيت المال من الأموال،وما إلى ذلك .كما كانوا يوافونه بأسعار الحاجيات من قمح وحبوب ومأكولات،وغيرها.وبلغ من انتظام إدارة البريد في عهده أن عماله كانوا يوافونه بذلك مرتين في اليوم."[3]

وكان على أصحاب البريد أن يقوموا بكل الاستعلامات،رغم أن عملهم كان يتركز في إمداد الخليفة بالمعلومات المتعلقة بقيام الولاة بآداء مهام وظائفهم ،وعن طريق هذه التقارير كانت تعرف حالة المحاصيل فتتخذ الإجراءات المنسبة في الوقت المناسب عندما يكون الوقت وقت جدب.[4]

وجد الخليفة المهدي في إقامة البريد بين بلاد العراق وبلاد الحجاز،فكان أول من عمل فكان أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق،فأقام البريد من المدينة المنورة واليمن ومكة إلى العراق،واستخدم فيه البغال والإبل،وأقام محطات البرد على طول الطريق بين العراق والحجاز،وأمدها بالرجال والحيوانات اللازمة لهذه الخطوط البريدية وذلك سنة 166هـ.[5]

وفي زمن الرشيد خصصت المبالغ الطائلة لتهيئة رسائل النقل السريعة ،كالنوق الخفيفة السير،والبغال النشيطة،والخيول القوية،حتى الحمام الزاجل من اجل الأخبار الخطيرة،وضمان وصولها.[6]

وكان الرشيد يختار صاحب البريد من أصدق رجاله،وأمهرهم وأقربهم إليه لخطورة مركزه،فهو لا يوصل أوامر الخليفة إلى الولاة وينقل إليه أخبار الأقاليم بالتفصيل فحسب،بل يتجسس له على حركات العمال ـــــ

(1) ابن كثير:**البداية والنهاية** 125/10.

(2) الطبري:**تاريخ**72/8، ابن كثير:المصدر السابق ،ص 126.

(3) علي حسني الخربوطلي:**المهدي العباسي**،الدار المصرية للتأليف والنشر ،ص 67،انظر حسن إبراهيم حسن :**تاريخ الإسلام** 206/2.

(4) نبيلة حسن محمد:**في تاريخ الدولة العباسية**،دار المعرفة الجامعية،1995، ص 129.

(5) الطبري:**تاريخ**162/8،جميل نخلة المدور:**تاريخ العراق في عهد العباسيين**،ص89،الخربوطلي:المرجع السابق ،ص66.

(6) عبد الجبار الجرمودي :**هارون الرشيد**–حقائق عن عهده وخلافته– شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،ط1، 1999 ،ص 284.

وتصرفاتهم،وعلى أعدائه وراء الحدود،فينذره عند حدوث الخطر،ويطمئنه حين يستتب السلام. [1]

ولم يكتف العباسيون الأوائل بإرسال عيون ترصد لهم أخبار الولاة والعمال،وإنما وضعوا عيونا على تلك العيون،لعلمهم بعواقب كذب الرسول.فقد حكي عن أردشير انه كان يقول:"كم من دم قد سفك بغير حله،وكم من جيوش قد قتلت،وعساكر قد هزمت،وحرمة انتهكت،وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه.." [2] ويقول في موضع آخر:"..وقد كان من الملوك الأولين ممن كان يرسل على رسله العيون ثم يقابل ما يأتي به العيون،بما يأتي به الرسل،فإن وجد بينهما خللا عاقب المرسل [3]

ولكي لا تذهب هذه الجهود سدى ،فقد كانت هناك صرامة في معاقبة من حمل عنه سوء في عمله أو إدارته لمهامه.فقد ذكر الأزدي رسالة المنصور إلى عامله على الموصل اسماعيل بن عبد الله يقول فيها الخليفة بكل صرامة:

ا بعد فإنها رقعة رفعت إلى أمير المؤمنين،بكورة الموصل لسنة 148هـ وأعوانهم وجباتهم وقساطرتهم وأتباعهم،إن أموالا اقتطعوها.وأمير المؤمنين يحب الشدة على أهل الخيانة والتنكيل بهم.

وقد بعث إليك أمير المؤمنين بدفتر فيه أسماؤهم،ومن رفع عليه من العمال والكتاب والأعوان والقساطرة ومنازلهم.وما شرح عليهم بعد هذا الذي كان يحي ابن عمران أنه استخرج منهم ذلك.فاقبض ما أعلمك أمير المؤمنين في ذلك الدفتر مما رفع عليهم ،ثم احمله إلى بيت المال بمدينة السلام مع من تثق به ،من الخزان.وتكتب لهم منه البراءة ،وإن اعتل عليك أحد منهم قبله،فابسط يدك عليه ولتكن منك في ذلك أشد شدة.ومن أعطاك ما قبله وأداه فلا تعرض له إلا بخير،إلا بخير إن شاء الله."[4]

وقد نصح ابن المقفع للخليفة المنصور بالاهتمام بأمر صحابته ومما يليه من عمال بأن يعمل في ذلك كله رأيه وحزمه "فإن من أولى أمر الوالي منه التثبت والتحير،أمر أصحابه الذين هم بهاء فنائه،وزينة رعيته ،وألسنة رعيته،والأعوان على رأيه ومواضع كرامته والخاصة من عامته ."[5]

ثم إن ابن المقفع قد لاحظ في زمن قبل خلافة المنصور عيوبا في هذه الفئة، تعدت عدواها إلى ما يليهم،فانتشر بهم الفساد واسود وجه الخليفة عند رعيته، وحجبت عنه أمور كثيرة،فيقول ابن المقفع في ـــ

(1) عبد الجبار الجرمودي:**هارون الرشيد** ،ص 284-285.

(2) الماوردي: **نصيحة الملوك** ،ص255.

(3) المصدر نفسه ،ص 256.

(4) الأزدي:**تاريخ الموصل** ،ص 215.

(5) ابن المقفع:**رسالة الصحابة**،ضمن **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة** لأحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية، بيروت،لبنان، 42/2.

ذلك :"فإن أمر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزراء والكتاب من قبل خلافة أمير المؤمنين عملا قبيحا مفرط القبح ، مفسدا للحسب والأدب والسياسة،داعيا للأشرار،طاردا للأخيار، فصارت صحبة الخليط . الشريك والمخالط . أمرا سخيفا، فطمع فيه الأوغاد،وتزهد فيه من كان فيما دونه."[1]

ومما يسهل على الخليفة تفقد العمال،واستقبال التقارير في وقتها،ما عليه من تسهيل حجابه."لأن الشدة في الحجاب تنفيرا لذوي الفضائل الجليلة ،والهمم البعيدة ، وتكديرا للصنيعة،واستفسادا للرعية، ودلالة على الريبة."[2] ذلك أن من الأمور ما يكون في تأخيرها فساد كبير وفتق عظيم،فمنها ما يكون في تأخيره وفوته من الفوائت ما لا يمكن تلافيه،ولا يتهيأ تداركه.[3]

وكان لزاما المزاوجة بين الشدة واللين،وهو ما تقتضيه السياسة الرشيدة في حسن إدارة الأمور العامة،وفي إحكام أمور الحكم.لأن من وراء هذه السياسة ثوابا أو عقابا.في الدنيا والآخرة.

"ولا يجب على الملك المقتدر المعجب بقدرته وأعوانه وجماعاته،وخزائنه وعدته وعتاده ،أنه يقيم الأود،ويسد الخلل في مثل هذه الأمور بالشدة والعنف والغلظة والضرب والقتل البحت. فذلك ربما يزيد النائرة[4] قوة،والعداوة إحكاما،فإن السياسة بين اللين والعنف،والرفق أبلغ من الحرق،والصواب في التدبير والحكمة والمصلحة والسياسة أن يقدم اللين على الشدة..[5]

وقد وعي الخلفاء العباسيون هذه الحقيقة ،وعملوا بها في مواضعها المطلوبة.بحيث إذا اقتضى الأمر اللين قدم على العنف،فكانت مواقف كثيرة يظهر فيها هؤلاء الخلفاء سياسة احتواء الخصم،وشراء ذمته بالعطايا والمنح،دون الاصطدام معه . ويكون لهذه المعاملة أبلغ الأثر الايجابي. فقد ذكر ابن الجوزي أن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب،قدم الأنبار على السفاح مع أخيه عبد الله بن الحسن في جماعة من الطالبيين[6]،فأكرمهم السفاح وأجازهم .ورجعوا إلى المدينة.[7]

---

(1) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** ،ص 43.

(2) الماوردي:**نصيحة الملوك**، ص 280.

(3) المصدر نفسه ،ص 279.

(4) العداوة والفتنة والشحناء، وإطفاء النائرة معناه تسكين الفتنة،انظر:أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(ت770هـ)**المصباح المنير في غريب الشرح** للرافعي،المطبعة الأميرية،القاهرة،1922، 866/2.

(5) الماوردي:**نصيحة الملوك**، ص 289-290.

(6) الطالبيون نسبة إلى علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه-.

(7) ابن الجوزي: **المنتظم** 90/8.

وما كان من أمر المنصور مع عماله المخالفين، وقواده المتآمرين، وبطانته الذين يظهر له منهم شك ريبة،فيسبق بهم عزلا أو قتلا.وهو من الأمور التي دعا إليها أكثر الدعاة في دعواتهم الإصلاحية،فيقول العنبري في رسالته للمهدي وهو يوصيه بإلحاق كل شيء بما هو أهله من جزاء المحسن بإحسانه وتأديب المسيء منهم بإساءته،أو عزله والاستبدال به على قدر ما يستحقون من التأديب والعزل.[1]

وهو وإن كان يشكر لأبي مسلم صنيعه في إنجاح الدعوة وإقامة الدولة،إلا أنه أخذ عليه مؤاخذات،انتهت بقتله بعد الفراغ من استعماله في عظائم الأمور.ولكي يمنع ثورة أصحاب أبي مسلم من الجند وزع على قواد أبي مسلم جوائز سنية،وأعطى جميع جنده حتى رضوا [2] وتفرقوا كأن شيئا لم يقع.

واحتوى المنصور معن بن زائدة الشيباني —وهو من أصحاب يزيد بن هبيرة —كان مستترا حتى كان يوم الهاشمية [3] يوم وثب القوم على المنصور.فتقدم معن ،ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه.فلما أخرجوا وتفرقوا عنه قال"من أنت؟فحسر عن وجهه وقال:"طلبتك يا أمير المؤمنين،معن بن زائدة.فأمنه المنصور وحباه وأكرمه وكساه ورتبه.[4]

غير أن الأمر يختلف إذا تطلب الموقف شدة وتصلبا من أجل الصالح العام،وفي سبيل إقامة النظام وحفظ الأمن العام للدولة.ودرء الفتنة،وقمع المتمردين البعيدين،والمتربصين القريبين.ولا يحقر مع ذلك من مسيء شيئا وإن تقال في عينيه،لأنه ليس شيء من السيئ بقليل.[5]

فقد ضحى المنصور بالكثير من القادة الكبار على رأسهم أبو مسلم الخراساني وعمه عبد الله بن علي،وعدد من الوزراء منهم أبو سلمة الخلال وأبو أيوب المورياني.[6] وغيرهم كثير.

---

(1) وكيع:**أخبار القضاة** 2،105/.

(2) الطبري **تاريخ** 493/7.

(3) وهو اليوم الذي هجم فيه الراوندية وهم قوم من أهل خراسان يقولون بالتناسخ،ويزعمون أن روح آدم حلت في عثمان بن وأن أبا جعفر المنصور هو ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم،فظفر به،وقتلهم عن آخرهم- القلقشندي أبو العباس أحمد(ت820هـ):**مآثرالأناقة في معالم الخلافة**،تحقيق:عبد الستار أحمد فراج،عالم الكتب،بيروت،ص178-179.

(4) المسعودي:**مروج الذهب**، 299/3.

(5) وكيع:المصدر السابق 105/2.

(6) يذكر الجهشياري أن المنصور قلد أبا أيوب الدواوين مع الوزارة وغلب عليه غلبة شديدة وصرف أهله جميعا في الأعمال،حتى قالت العامة،إنه قد سحر أبا جعفر...فكان يقول إني لا أستمتع بما أنا فيه.فقيل له في ذلك:قال:إنه ليس معي أبو أيوب فيحدثني ويؤنسني.غير أنه عندما رأى منه ما يوجب قتله قتله.**الوزراء والكتاب**،65-66.

وعندما خشي المنصور من محمد بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب،الذي استولى على المدينة،بسط يده في النفقة على طلبه أموالا كثيرة.وجهز إليه من قتله في سنته[1]

ولما ولي إبراهيم بن صالح من قبل المهدي مصر في 11 من المحرم 165 هـ فنابذ ومنع الأموال،ودعا إلى نفسه بالخلافة..فبلغ ذلك المهدي،فسخط عليه وعزله عزلا قبيحا وصرفه عمها يوم 07 ذي الحجة سنة 167هـ،وليها ثلاث سنين.[2]

---

(1) الطبري: **تاريخ**531/7، القلقشندي:**مآثر الأناقة** ،ص 179.

(2) الكندي محمد بن يوسف:**ولاة مصر**،تحقيق حسين نصار،دار صادر، بيروت ، 1379هـ / 1959م ، ص 147.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: دعوات الإصلاح الإداري

أولا :إصلاح الجنـدية

ثانيا :إصلاح القضـاء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تقديـم:

كان النظام الإداري في العصر العباسي الأول نظاما مركزيا.وأصبح العمال على الأقاليم مجرد عمال لا ولاة مطلقي السلطة ، بعكس ولاة الأمويين. وكانت الإدارة قائمة على قواعد محددة مماثلة للنظم الحديثة في حضرة.بل قد يمكن القول إنها كانت متقدمة من بعض الوجوه عما هي عليه في أيامنا هذه.فكانت كل مناصب الدولة مفتوحة أمام كل من المسلمين واليهود والنصارى على السواء.وأهم ما المناحي الإدارية التي تعرض لها العلماء المصلحون بالعناية والمعالجة خلال فترة الدراسة، قضيتا الجند والقضاء.

أولا: إصلاح الجندية

من العناصر المهمة في تكوين الدول وإسقاطها،مدى عنايتها بأمور الجند فيها.فقد قامت دول لعنايتها بقضايا جيشها،وسقطت أخرى لضعف أو فساد أحوال جندها.

ة العباسية دولة قامت على أسنة الرماح،وكواهل الجند.بمعنى أنها دولة كان الأساس في قيامها العسكر.الذي تميز بخصائص ومؤهلات جعلت إمام الدعوة العباسية إبراهيم الإمام يوصي أتباعه باستخدام أكثر العناصر كفاءة وإخلاصا وهم جند خراسان:"...ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة ، لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ،وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الحق . [1]

والواقع أن الجنود الذين أخلصوا للدعوة،وقامت على كواهلهم الدولة،بفعل الاستقرار النسبي،ركنت نفوسهم لمتطلبات الحياة الجديدة.فتورطوا في قضايا فساد في الإدارة والتسيير.وأصبح لزاما مراعاة الخلل.وعلاج مواطن الضعف.

لهرت دعوات تنادي بإصلاح الوضع.وجهت إلى الخلفاء،على أساس أنهم المسؤولون الأوائل في هرم السلطة.وفي هذا المبحث سنطرق إلى هذه الدعوات وأهم القضايا العالقة التي طرحت في مقترحات المصلحين، مع تحديد المشكل وافتراض الحل.إلى جانب الحديث عن أثر هذه الدعوات، وماذا طبق منها،وإلى أي مدى عمل هؤلاء الخلفاء على تنظيم الجيش والعمل على تسخيره لخدمة الدين والدولة.

---

(1) **أخبار الدولة العباسية**، ص 205-206. المقدسي :**أحسن التقاسيم** ،ص 293-294.

1_ القضايا المطلوب إصلاحها في الجندية

"الجيش عدة الدولة ترهب به أعداءها.من دون أن يصير كابوسا عليها. يرهب بامتلاك أدوات القوة والغلبة.فعلى الدولة كي يكون هذا الجيش أداتها القوية للردع والضر بأن توليه العناية التامة:إعدادا وتكوينا وتدريبا.ليكون في النهاية قوة مادية ومعنوية منضبطة،محددة المهام العسكرية دون سواها.ليبقى الجيش في كل الحالات درع الدولة وخادمها،منصاعا للأوامر السياسية.لا قوة مرعبة للدولة والمجتمع، خطرا عليها قبل خطرها على الأعداء،فيصير النظام في هذه الحال التي تنحرف فيها مهام الجيش "كراكب الأسد الذي يوجل من رآه والراكب أشد وجلا." على حد تعبير ابن المقفع." [1]

ويعود بنا الحديث حتما في دراسة الجيش في العصر العباسي الأول ،إلى أخذ نبذة عن واقع الجندية في أواخر العصر الأموي خاصة.

فقد كان عرب خراسان في أواخر العصر الأموي مستائين كثيرا.وانسحبوا من قوات المقاتلة رسميا وفعليا. ورأوا بأن الواجب يقضي إعفاءهم من الضرائب لأنهم لم يعودوا مقاتلة ،وحذفت أسماؤهم من الديوان،ولم يكن لهم عطاء.فكانوا ينظرون بعين الحسد إلى إخوانهم المقاتلة أصحاب الامتيازات،الذين كانوا دون شك أحسن منهم حالا،من حيث تسلمهم العطاء واشتغالهم المناصب السياسية والعسكرية.[2]

وفي الجملة فقد عانى الجنود من سوء سياسة الأمويين العسكرية،التي تعتمد على سياسة التجمير،وهي القوات المقاتلة شتاء على خط النار،ومنع عودتهم إلى عوائلهم،أدى إلى اختلافات حادة بين المقاتلة العرب والأمويين،وكان لذلك نتائج سيئة على الدولة الأموية عموما.[3]

طالت الموالي سياسة التمييز العنصري،حتى وهم في الجندية.فرغم أنهم كانوا يتقاضون رزقا،ويأخذون نصيبا من غنيمة،إلا أنهم لم تكن لهم أعطيات ثابتة.ولم يكونوا مقيدين في الديوان،أي في سجل المقاتلة الذين تعرض لهم الأعطيات.ومع أنهم اندمجوا في القبائل العربية،فإنهم كانوا يسمون "أهل القرى"تمييزا لهم عن "أهل القبائل".ومع أنهم كانوا مسلمين ،فإنهم لم تسقط عليهم الجزية.[4]

ولم يكن مصطلح "الجيش" يستخدم بمعناه الفعلي،إلا في العصر العباسي الأول.إذ كان يطلق على الجيش

---

(1) عمر بن قينة:**الرؤية الفكرية في الحكم والرعية لدى:ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي**،دار أسامة، ط1 ، 2000 ، عمان،الأردن،ص 30.

(2) فاروق عمر فوزي:**الثورة العباسية**،ص 102.ولمزيد من التفاصيل عن سياسة الأمويين مع جنودهم في إقليم خراسان خاصة انظر أسباب اختيار بداية الدعوة من خراسان في الفصل الأول من هذا البحث.

(3) المرجع نفسه.

(4) يوليوس فلهاوزن:**الدولة العربية** ،ص 471.

قبل ذلك لفظ "المقاتلة"لأن مصطلح الجيش يعني وجود جيش منظم ودائم.ولم يتوفر ذلك إلا في عهد العباسيين.[1] ففي صدر الإسلام والعصر الأموي،كان المقاتلة من القبائل العربية،مع وجود وحدات مقاتلة من الموالي.إلا أن القبائل هي الأساس في الجيش.وكان المقاتلة في استعداد دائم لإجابة داعي الجهاد ونداء الحرب.[2]

العباسي،فقد اتجه منذ بدء سلطانهم اتجاها جديدا.إذ تخلوا عن القبائل المقاتلة بمجموعها.أحدثوا جيشا نظاميا،محاولين القضاء على العصبية القبلية التي مزقت الجيش الأموي.[3]

من أجل ذلك أخذت الجندية مجالا من اهتمام المصلحين.فأطرقوا جوانب شتى تطرق إليها الفساد.فشخصوها ووصفوا لها العلاج المناسب.وذلك لإدراكهم أهمية الجند في حفظ الأمن وحماية الدولة من الأخطار الداخلية والخارجية.

وكان أكثر من تعرض للجندية بالإصلاح،وعرض النقائص والسلبيات،واضعا حلولا مناسبة لكل ذلك،هو عبد الله بن المقفع في رسالة الصحابة التي توجه بها إلى الخليفة أبي جعفر المنصور. فقد اهتم الرجل اهتماما بالغا بالجيش،وجعله أساسا لرسالته. [4]

وابن المقفع كرجل عاين الأحداث عن كثب وعاش وقائعها يعطي للباحث صورة عن هذا الجيش،فيذكر جند لم يدرك مثلهم في الإسلام،وفيهم منعة بها يتم فضلهم إن شاء الله.أما هم فأهل بصر بالطاعة،وفضل عند الناس،وعفاف نفوس وفروج،وكف عن الفساد،وذل للولاة،فهذه حال لا نعلمها عند أحد غيرهم." [5]

هو مع ذلك يطرح سلبيات هذا الجيش،ويعرض قضايا مهمة يطلب إصلاحها في هذا المجال،**وأهم هذه القضايا:**

ا – **نقص التكوين الخلقي والتهذيب الروحي**،نظرا لضعفهم العقائدي .وللقضاء على هذا العيب اقترح ابن المقفع ضرورة تدخل السلطة من طريق كتابة قانون تتوخى فيه البلاغة والشمولية.ويستوعبه القادة

---

(1) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش في العصر العباسي الأول**، ص17.

(2) المرجع نفسه ،ص 17.

(3) المرجع نفسه.

(4) عمر بن قينة:الرؤية الفكرية في الحكم والرعية لدى:ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي،دار أسامة،ط1،2000،عمان،الأردن،ص 30.

(5) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** ، ص 33.ويقصد بالجيش هنا الجند الخراسانية دون غيرهم.إذ هم الذين تركزت مجهودات الدعوة العباسية فيهم تمهيدا لاستعمالهم حطبا لنار ثورتهم.- بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي للدولة الإسلامية من خلال رسالة الصحابة لابن المقفع** ،ص 41.

أولا،ثم يحاولون تعليمه للجند مع التركيز على تربية أخلاقية،وتعليمهم تعليما دينيا،أكثر مما هو وظيفي".[1]

"فيحدد القانون المسؤوليات ويضبط العلاقة بين الجندي والضابط بمعايير تقوم على العدل والإنصاف.وتتخذ الحجة المنطقية والترتيبات القانونية الواضحة القائمة على المنطق والمساواة مما يضمن حقوق الجنود والضباط،ويردع التجاوزات،وينصف الجادين." [2]

وفي ذلك قال ابن المقفع :" فلو أن أمير المؤمنين كتب أمانا(قانونا) معروفا بليغا وجيزا،محيطا بكل شيء يجب أن يعملوا به أو يكفوا عنه.بالغا في الحجة،قاصرا عن الغلو،يحفظه رؤساؤهم حتى يقودوا دهماءهم، بتهدوا به منهم من دونهم من عرض الناس(عامتهم)، لكان ذلك إن شاء الله لرأيهم صلاحا، وعلى من سواهم حجة." [3]

وحتى نفهم صدق هذه الاعتقادات يكفي أن نشير إلى جماعة الراوندية،التي ألهت المنصور.وهي الفكرة التي كانت تجد رواجا في المعتقد الشعبي للمناطق التي كانت تخضع لحكم ملوك الفرس.مما جعل أمر العقيدة لجند ضرورة ملحة لأية سياسة تهدف إلى تأمين حدود الدولة وأمنها الداخلي.وحتى يتغلب الخليفة على هذا الخطر، اقترح ابن المقفع صياغة بيان تشريعي يكون على شكل كتيب يحفظه قاعدة الجند.ويستوعبونه عيدا،ثم يفهمونه لعساكرهم وما تحت قيادتهم من جنود. وهو أمر يبدو غريبا،إذ لم يرد قبل هذا التاريخ خبر صدور بيان رسمي من الحكام للرعية بهذا الشكل في التاريخ الإسلامي. [4]

فالجهل وترك الأمور من غير قانون يوضح الحقوق والواجبات.ويسير عليه الجند.ويبين لهم ما يجب فعله ، وما يجب تجنبه.ويبين لرؤسائهم حدود سلطانهم،فلا يجورون ولا يرهقون الناس،ولا يغالون في الأمر بالطاعة لأمير المؤمنين، سبب في فساد الجند. [5]

فنحن أمام اقتراح يغير من الأساس الذي كان يقوم عليه كيان الدولة من قبل.فقد اعتمدت الدولة الأموية على ممارسة السياسة القبلية بتوظيف واستغلال الصراع القبلي بين اليمانية والمضرية.فكانت البنية التحتية للدولة بنية قبلية.أما مع هذا الاقتراح الجديد،فإنه تدبير يرمي إلى عزل "القبلية"عن السياسة،أي تحويلها إلى عسكر نظامي ليس له حق المناقشة ولا المشاركة ،وإنما عليه أن يطيع. [6]

---

(1) بشار قويدر: **الإصلاح السياسي والاجتماعي** ، ص 42.

(2) عمر بن قينة:المرجع السابق ،ص 30.

(3) ابن المقفع:**رسالة الصحابة**، ص33.

(4) بشارقويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي** ،ص 29-30.

(5) حنا الفاخوري:**ابن المقفع**،ص22.

(6) محمد عابد الجابري:**العقل السياسي العربي،محدداته وتجلياته**،ط4،بيروت،2000،ص346.

"وقد شكا ابن المقفع من أن عدم وجود قانون واضح يسير عليه القادة والجنود، يضمن حقوقا ويحدد واجبات.مما جر قوما إلى المغالاة في الأمر بالطاعة لأمير المؤمنين،ووجد في القواد من يقول:" إن أمير المؤمنين لو أمر أن تستدبر القبلة بالصلاة لسمعنا وأطعنا" وهذا أثر سيء في النفوس،وقد ساقه هذا القول إلى بحث أوامر أمير المؤمنين وما يطاع منها وما لا يطاع." [1]

فهذا التغيير الجذري الذي اقترحه ابن المقفع على الخليفة المنصور،في وضع قانون يؤطر التبدلات الجديدة في أوضاع المقاتلة ويحولهم من حالة الأمة المقاتلة التي كانت سائدة في صدر الإسلام إلى وضع الجيش النظامي المحترف الذي يدين الولاء للسلطة وعلى رأسها الخليفة [2]

ب- فصل الجنود عن إدارة الشؤون المالية:

مما نصح به أمير المؤمنين في شأن الجند،أن يحول بين الجنود وبين إدارة الشؤون المالية.وقد دعاه إلى ذلك الرأي أن الخليفة كان يولي قوادا خراج بعض الأقطار. فيولي قائدا خراج مصر،وآخر خراج خراسان،وبذلك تصبح مالية هذا القطر في يده يحاسب الناس عليها .ويحاسبه الوالي كذلك. [3]

وقد علل ابن المقفع رأيه هذا:"بأن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة." [4] وهو نظر صائب،فإن كثيرين من هؤلاء القواد اغتروا بسلطانهم وجنودهم فظلموا الناس.فلما أخذوا على ظلمهم اعتزوا بما في أيديهم من مال.وما تحت طاعتهم من جند.فخرجوا على الدولة ،وكانوا في مصائب لا تحصى. [5]

فبقدر ما ينبغي إبعاده عن شؤون السياسة،تنبغي الحيلولة بينه وبين الأمور الاقتصادية التي هي الطريق إلى فساد العسكري وخيانته،ولكي تبقى مهمة العسكري قتالية لا مالية.يحمي أمن الدولة والمواطن ويعمل لأمته،ولا يندفع لجمع المال لحسابه وتنميته مما يفسد الطبائع والضمائر. [6]

وهي توصية على أهمية كبيرة،تؤكد على تقليد القوات العسكرية بالقيام بواجبها وحسب.وعلى عدم تورطها في أي ظرف كان بالقضايا المدنية،ولا سيما بجمع الضرائب وإدارتها. [7]

وقد أدرك قيمة هذه النصيحة فيما بعد الخليفة المهدي،فبعد أن كان والده يترك مصلحة المداخيل ومصلحة الجيش بيد رجل واحد في بغض الأحيان.فصار يعمل بخلاف ما كان عليه أبوه في هذا ـــ

(1) أحمد أمين: **ضحى الإسلام**،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، 206/1.

(2) فاروق عمر فوزي:**الجيش والسياسة** ،ص 109.

(3) أحمد أمين:**ضحى الإسلام** 267/1.

(4) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** 36/2.

(5) أحمد أمين:المرجع السابق ،ص 207.

(6) عمر بن قينة:**الرؤية الفكرية**، ص32.

(7) محمد عبد الحي شعبان:**الثورة العباسية** ،ص38.

الشأن،إذ عين مسؤولين منفصلين ومراقبين مستغلين لهاتين المصلحتين.لتجنب تدخل الجيش أو تورطه في شؤون الضرائب. [1]

والدلائل التاريخية تشير فعلا إلى أن هذه الظاهرة التي أخذت في الظهور منذ رجحان كفة الحرب لصالح العباسيين.فالقائد أبو مسلم حين حقق نجاحا عسكريا على الأمويين ابتداء من سنة 130هـ/747م كلف قواده بتسيير المهام المدنية للأقاليم التي سيطروا عليها،وأصبحوا بمقتضى ذلك يتحكمون في الشؤون الاقتصادية للدولة إلى جانب المهام العسكرية. [2]

ويبدو أن الخليفة المنصور قد فطن إلى خطورة هذه الظاهرة،حيث أخذ في متابعة قواده العسكريين بالأمس،ومحاسبتهم على ما تحت أيديهم من أموال،وكان أبو مسلم أولهم[3] لذلك طالب بصراحة إيقاف هذا المد حتى يتم صلاح الجيش وتأمين مصالح الدولة[4]

ج- مراعاة الكفاءة في القيادة :

فقد لفت نظر الخليفة-في لطف-إلى أن يعيد النظر في الرؤساء ومرؤوسيهم،فكثير من المرؤوسين أكفأ من رؤسائهم.فلو ولي القيادة خيارهم،ووضع الجند في منازلهم.حسب كفايتهم لكان من ذلك خير عظيم. [5]

ويبقى هذا مرتبطا برؤية ابن المقفع في أخلاقيات الجيش المثالية،التي تنمو وتترعرع بحسن تعليمه وتكوينه: علميا ودينيا وأخلاقيا.والسعي لاكتشاف الموهوبين فيه.ممن يصلحون للقيادة ليكونوا عونا لمن هو أعلى،ومثالا لمن هو أدنى [6]

يقول ابن المقفع:" إن من المجهولين من هو أفضل من بعض قادتهم،فلو التمسوا وصفوا كانوا عدة وقوة،وكان ذلك صلاحا لمن فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة.ومن ذلك تعهد أدبهم في تعلم الكتابة والتفقه في السنة والأمانة والعصمة والمباينة لأهل الهوى،وأن يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب زي المترفين وشكلهم.مثل الذي يأخذ به أمير المؤمنين في أمر نفسه." [7]

---

(1) محمد عبد الحي شعبان:**الثورة العباسية** ،ص38.

(2) الطبري:**تاريخ** 98/6، بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي**، ص 43.

(3) أثارت هذه المتابعة شكوك أبي مسلم فقال:"أمين على الدماء،خائن في الأموال-انظر الطبري:المصدر السابق127/6.

(4) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي** ،ص 44.

(5) أحمد أمين:**ضحى الإسلام** 207/1،وانظر فاروق عمر فوزي :**الجيش والسياسة**، ص207-208.

(6) عمر بن قينة:**الرؤية الفكرية** ،ص33.

(7) ابن القفع: **رسالة الصحابة** ،ص36.

ولأن هذا الإجراء من شأنه قتل الغيرة من نفوس المغمورين،وحسم الزهو من نفوس الذين واتاهم الحظ وليسوا بأكفاء. [1]

لفت ابن المقفع نظر الخليفة إلى مسألة الترقية، شار إلى أن هناك من المجهولين من هم أحسن من بعض قادتهم،وأن ترقيتهم كفيلة بإعادة الثقة إلى نفوس القوات العسكرية والتحامها كتلة واحدة قيادة وجندا. [2]

د – تعليم الجند :

تثقيف الجند ثقافة علمية وخلقية ،فيعنى بتعليمهم الكتابة والتفقه في الدين،كما يعنى بتعويدهم الأمانة والعفة والتواضع ،واجتناب الترف في الزي والعطر واللباس، وما إلى ذلك . [3]

هـ – العناية بأرزاق الجند ومواقيتها:

تعيين وقت محدد للجند يقبضون فيه أرزاقهم،فإن ذلك أدعى لطمأنينتهم ،وأمنع للشكوى والاستبطاء. [4]

ثم يلفت نظره إلى قضية رواتب الجند،التي لم تكن حتى ذلك العهد منتظمة،فمنذ أن تنصل الجند الإسلامي من صفة المجاهدين والمرابطين في سبيل الله،وأصبح موظفا شأنه شأن بقية الموظفين،ابتداء من العصر الأموي فيما يبدو. [5]

ويوضح ابن المقفع أن مرد ذلك يرجع إلى أن رواتب الجند العالية كانت سببا لارتفاع الأسعار لانعدام ضبط رواتب الجند،فألح على أن حسم هذه المعضلة وشل خطر استفحالها، يمكن إقامة ديوان وتحديد وقت معين لدفع الدولة من استغلال جندها في قضايا جوهرية بدل انشغالهم في منازعات مادية لا معنى لها. [6]

غير أن مشكلة الأجور في نظر هذا المصلح لا تتوقف عند الإجراءات الإدارية فحسب،بل القضية أعمق من ذلك.إذ أشار إلى أن سبب ارتفاع الأجور مرده إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية المتأثرة بالإنتاج الزراعي المتقلب،فألح على ضرورة ربط الجند،بالدورة الاقتصادية،فيأخذ جزءا من رواتبهم

---

(1) عبد اللطيف حمزة:**ابن المقفع** ،ص 103.

(2) بشار قويدر:المرجع السابق، ص 44.

(3) أحمد أمين:**ضحى الإسلام** 1/207-208.

(4) أحمد أمين :المرجع السابق 2/208.

(5) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي**، ص 44.

(6) المرجع نفسه، ص45-46.

النقدية وتحول قيمته عينا ، أي مواد غذائية حتى تتمكن الخزينة العامة من ضبط أموالها.فإذا زاد الإنتاج زيد في مرتبات الجند،وإذا نقص تأثروا بذلك أيضا. [1]

ومهما يكن من أمر،فإن استقراء تاريخ الجنود في أي مكان ينبئ بأنه "لا يصلح الجند إلا بإدراك أرزاقهم وسد حاجاتهم،والمكافأة لهم على قدر غناهم وفقرهم"[2]

وقد فطن هارون الرشيد لهذه المسألة،فكان يتولى أمور الجند بنفسه تنظيما وتوجيها وقيادة،ونراه يوصي ابنه المأمون عندما أنفذه إلى خراسان- يوصيه بتنظيم دفع أرزاق الجند،تداركا للخطأ الكبير الذي ذهب بالدولة الأموية.فقال له :"...وإن أمرت لأهل عسكرك بعطاء أو رزق ،فليكن الفضل بن الربيع[3] المتولي لإعطائهم ،على دفاتر يتخذها لنفسه،بمحضر من أصحاب الدواوين..."[4]

، هذه الوصية شخصية الرشيد الحريصة على وضع الأمور في نصابها،وتوقي الضرر قبل حصوله.وذلك بتنظيم العطايا والأرزاق في سجلات تحفظ عند رجل مختص أمين،ويشهد على ذلك موظفو الدواوين منعا لأي تزوير،وتجنبا للصفقات المشبوهة التي تبدد فيها الأموال بغير حساب.

و –الاستخبار عن أحوال الجند:

أن يتقصي أحوال الجند ويعرف أخبارهم وحالاتهم،وباطن أمرهم حيث كانوا،وأن يعين لذلك الثقات الذين يخلصون له،ولا يكتمون عنه شيئا،وألا يستكثر ما ينفق في هذا السبيل،وإن عظم.فإن في ذلك الحزم واستئصال الشر قبل استفحاله. [5]

فالكاتب ينصح الخليفة بضرورة المتابعة لأوضاع هذا الجيش،وعدم ترك الأمور كلها لقواده.كما يرى من المنطق العسكري-الأمني ذاته حسن الرعاية لأبناء المصرين:فارس والعراق[6]

---

(1) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي**،45-46.

(2) ابن العنابي محمد بن محمود:**السعي المحمود في نظام الجنود**،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983، ص 211.

(3) هو الفضل بن الربيع بن يونس،أبو العباس،وزير أديب حازم.كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي.استحجبه المنصور لما ولي أباه الوزارة.فلما آل الأمر إلى الرشيد،واستوزر البرامكة ،كان الفضل من كبار خصومهم.وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد..ولما استخلف الأمين أقره في وزارته.فعمل على مقاومة المأمون،ولما ظفر المأمون،استتر الفضل سنة196هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله.(الزركلي:**الأعلام**148/5،وللمزيد انظر ابن خلكان412/1،**البداية والنهاية**263/**10**،**تاريخ بغداد**343/**12**،**مرآة الجنان** 42/2)

(4) الجهشياري:**الوزراء** ،ص 223.

(5) أحمد أمين :**ضحى الإسلام** 2/ 208.

(6) عمر بن قينة:**الرؤية الفكرية** ،ص 31.

فيقول :

"من جماع الأمر وقوامه بإذن الله أن لا يخفى على أمير المؤمنين شيء من أخبارهم وحالاتهم،وباطن أمرهم بخراسان والعسكر والأطراف،وأن يحتقر في ذلك النفقة.ولا يستعين فيه إلا بالثقات النصاح،فإن ترك ذلك وأشباهه أحزم بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة..." [1]

ولا شك أن الخليفة المنصور استفاد من هذه الآراء في هيكلة هذا الجيش الجديد،بحيث أصبح أداة فعالة استطاع من خلالها أن يقضي على حركات خطرة عصفت بالدولة،وهي في بداية عهدها. [2]

ولم تقتصر الدعوة إلى إصلاح الجندية وما تابعها مقتصرة على ابن المقفع.بل إننا نلمس دعوة صريحة إلى العناية بالجند.لأن به وحده تحمى الأرض ويحفظ العرض من كيد وغزو الأعداء في الخارج.ومن فوضى وتمرد الداخل.

فهذا الإمام العنبري في رسالته إلى الخليفة المهدي يوصيه بالاهتمام بالثغور وحمايتها.فيقول:

"فأما الثغور فقد علم أمير المؤمنين أن قوامها بإذن الله أهل النجدة والشجاعة.من أهل الحنكة والتجربة. [3]

ويذكره بأن مع وجود هذه الأوصاف الحميدة فيهم،إلا أنه لا ينبغي أن يفرط فيما يصلح حالهم. فقال:

" وإن مما يصلح أولئك ما استعين بهم أن يسبغ عليهم من العطاء والأرزاق.وأن لا يوكلوا إلى ما يصيبون من غنائمهم،بل يجلب لهم ولجندهم عندما يحدث الله لهم وعلى أيديهم من ذلك العطاء والألطاف.ويخص بجمال ذلك أهل النجدة والبأس والنكاية في العدو منهم.." [4]

لاحظ أن كلا من العنبري وابن المقفع ،رغم اختلافهما الفكري وتكوينهما العلمي،إلا أنهما يتفقان في أن صلاح الجند بإسباغ العطاء وضمان الأرزاق،وأن فساده بإخراجه من مهمته العسكرية وتوكيله إلى القضايا المالية من الغنائم وغيرها.

---

(1) ابن المقفع: **رسالة الصحابة** ،ص37-38.

(2) فاروق عمرفوزي:**الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي**،مجدلاوي، عمان، الأردن،ط1 ،1425 هـ/2005م،ص 109.

(3) وكيع :**أخبار القضاة** 100/2.

(4) المصدر نفسه 101/2.

2/ تكوين الجيش النظامي

إن التحول الذي شمل جميع جوانب الحياة في العصر العباسي الأول، قد مس بالضرورة جانبا مهما هو المؤسسة العسكرية.فبعد أن كان سائدا في صدر الإسلام مبدأ "الأمة المقاتلة"(nation at war) بحيث يكون كل مسلم قادر مسجل في ديوان العطاء مستعدا للقتال ينضم إلى الحملات العسكرية لنشر الدعوة الإسلامية وحمايتها.أو الدفاع عن حدود الدولة إذا ما تعرضت لخطر خارجي أو تمرد داخلي. وبعد انتهاء فترة الحرب يعود المقاتلة إلى عوائلهم في المدن بوادر تشكيل جيش نظامي محترف.[1]

وقد أصبح الجيش يتكون من فرق من الجند المحترفين الذين لم يكن لديهم عمل آخر غير العسكرية،فهم يتدربون أثناء السلم،ويتقاضون عطاءهم ويقاتلون أثناء الحرب. وبهذا انفصل مفهوم الجيش المحترف عن مفهوم الأمة المقاتلة،رغم أن لأمراء الأمة الحق في التطوع في أية حملة من الحملات العسكرية،ومن هذا المطلق يعتبر الجيش العباسي أول جيش نظامي محترف في الإسلام .منهيا بذلك الفكرة السابقة التي تقول أن الأمة هي الجيش. [2]

ـ التفت العباسيون منذ بدء دعوتهم إلى هذه المساوئ في العصر الأموي.وتنبهوا إلى ضرورة وجود الترابط بين المقاتلة.ولذلك سارع العباسيون إلى تسجيل المقاتلة في ديوان شيعة بني العباس) حسب قراهم ومدنهم وأقاليمهم لا حسب قبائلهم وعشائرهم.[3]

فأصبح "الجند الهاشمية" أول نواة لجيش نظامي يعتمد على الانتماء للدعوة،ثم للدولة لا للقبيلة.فقد تكفل العباسيون بتدريبهم وتموينهم وتزويدهم بعطائهم. [4]

وانتظم الجند في الديوان كأفراد لا كقبائل.وكان ولاؤهم للدولة التي تعني بتدريبهم وتجهزهم بأرزاقهم .[5]

ويظهر تنظيم الجيش العباسي وإصلاحه في تعدد عناصره و تنوع أصنافه حسب المهام والوظائف.

---

(1) فاروق عمر فوزي:**الجيش والسياسة** ،ص 99.

(2) المرجع نفسه.

(3) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش**، ص 94،وانظر فاروق عمر:**نشأة الجيش النظامي في الإسلام وتطوره حتى منتصف القرن الثالث هـ/التاسع م**،ندوة النظم الإسلامية،أبو ظبي،11-13نوفمبر 1984، 2/248-249.

(4) المناصير:المرجع السابق ،ص 94.

(5) فاروق عمر فوزي:**الجند الأموي والجيش العباسي**،مجلة المورد،العدد8،1979،ص238.

أ/ عناصر الجيش العباسي:

. العـرب:

يشكل العرب القوة الضاربة من حيث الموارد البشرية المشكلة للجيش العباسي، مثلما كان الحال في صدر الإسلام والعصر الأموي،لأن العرب لا يزالون هم العنصر المحارب والمقاتلة المستوطنون في الأمصار بفعل الهجرات والفتوحات[1] ويؤكد أبو جعفر دور العرب في الثورة العباسية،وقيام الدولة بقوله:"فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرتهم لنا،وقيامهم بدعوتنا،ونهوضهم بدولتنا."[2] وقد كان الجيش العباسي في أغلبه يتكون من مضر واليمن والخراسانية وربيعه [3]

"ورغم أن القوة الضاربة للجيش العباسي خراسانيون بالمعنى الجغرافي للكلمة،إلا أنها في الحقيقة عربية تتكون من العرب الذين نزلوا خراسان.وإن الدولة العباسية وقبلها الثورة العباسية، لم تنجح إلا بالجيوش العربية القبلية التكوين،وظل الجيش العباسي الأول ما بين عهد أبي العباس وأبي جعفر يشكل مجموعة عسكرية واحدة.حتى كانت فتنة الراوندية،واستبان لأبي جعفر أنه مكشوف الجانب،فلا موئل من المدن له ولا الجند بالآلة الطيعة في يده.."[4]

وكان من حسن تدبير أبي جعفر أن أبقى جيشه مقسما إلى قسمين :عربي وفارسي.وكان العرب مقسمين إلى فرق يمانية ومضرية.ولحفظ التوازن بينهما كان المنصور يجعل أكثر من معسكر للجيش في آن واحد.يستفيد من ضرب أحدهما بالآخر عند الحاجة.إن شعر بتمرد أحدهما أو عصيانه.[5]

وفكر أبو جعفر المنصور بتأسيس الكرخ جنوبي بغداد ليبتعد عن خطر جنده من اليمانية والمضرية [6] وجعلهم أصنافا متعددة،كل صنف على حدة. وهذا ما يقتضيه حسن السياسة في تدبير أمر الجند.تحرزا من الاختلاف وافتراق الهمة.لما في خلط الفرق المختلفة من تعريضهم لثوران الفتنة بينهم،بسبب اختلاف طباعهم،وميل كل فريق إلى من انتسب إليه بمقتضى الطبع البشري.

---

(1) فاروق عمر فوزي:**الجيش والسياسة** ،ص100.

(2) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش** ،ص 97،وانظر شاكر مصطفى:**دولة بني العباس**،وكالة المطبوعات، الكويت، 621/1-622.

(3) الأزدي:**تاريخ الموصل**، ص 222.

(4) الطبري:**تاريخ** 38/8،عبد العزيز الدوري:**الجذور التاريخية للشعوبية**،دار الطليعة،بيروت، ص32.

(5) المناصير:المرجع السابق ،ص 100.

(6) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام2**/274-275.

"ولأنه أدعى للجد والاجتهاد ،لما جبلت عليه النفوس من حب الانفراد بالمآثر،واعتياد كل أحد بمأثرة تنسب لفريقه،وأنفته لمعرة تنسب إليهم،وتخصه ونهم.ولأنه أسرع للإجابة عند وقت الحاجة،وأرهب للعدو عند كثرة الجمع.وأمكن من التعاون وعبور المسالك الضيقة،وتقديم المعروفين بالشدة والبأس، وأبعد عن عموم الهزيمة،وأدعى للكر والفر.[1]

. المـــوالي:

الموالي عموما من أهل البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام.[2]ومنهم العبيد الذين يمن عليهم صاحبهم ويفك رقابهم ويعتقهم فيصير المملوك بذلك مولى لمن أعتقه.فلما دخلت العجم على العرب بعد انتشار الإسلام سموا موالي.[3]

ومنهم حوالي الجيش العباسيين ،وهم مجموعة من عناصر متعددة،جمعها الخلفاء من حولهم وأقاموا بينها رابطة أو ولاء الاصطناع،ومنهم عبيدهم السابقون وبعض من متفرقة الناس من عرب وعجم.ولم يكن لهم أول الأمر دور عسكري أو علاقة بالجيش،فقد تولوا مناصب إدارية في البلاط والولايات،ثم ما لبث الموالي أن وجدوا طريقهم إلى الجيش.[4]

وقد حرم الموالي من المساواة السياسية والاجتماعية بالعرب،وحرموا من الوظائف الكبرى في الدولة،ومن العطاء الذي يستحقونه نظيرا لالتحاقهم بالجيش،بل فرضت عليهم الجزية رغم إسلامهم في العصر الأموي،عدا عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أمر عماله بأن يضعوا الجزية عمن أسلم.[5] وقد انتشر التذمر الاقتصادي والاجتماعي بين الموالي،وتطور إلى أن أصبح حركة اجتماعية عرفت بحركة الشعوبية،التي كانت تطالب بالمساواة بين الشعوب.[6]

---

(1) ابن العنابي:**السعي المحمود** ،ص 83.

(2) أحمد مختار العبادي :**في التاريخ العباسي والفاطمي**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 14.

(3) أنور الرفاعي:**الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاقتصادية والفنية** ، دار الفكر،ط3، 1986، ص 250.

(4) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش**، ص 104، شاكر مصطفى:المرجع السابق 626/1،عبد العزيز الدوري: **العصر العباسي الأول**، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،ص 29.العبادي:المرجع السابق، ص 14.

(5) أحمد مختار العبادي:المرجع السابق،ص14.

(6) أنور الرفاعي:المرجع السابق،ص253،العبادي:المرجع السابق،ص15.

واتجه الموالي إلى الثورة والعنف،فكانوا وقودا لثورات كثيرة،واجتمعوا في النهاية حول الدعوة العباسية.إذ تمكن أبو مسلم الخراساني من استقطاب الموالي من الأعاجم في الدعوة للرضا من آل محمد.[1]

وكان أغلب الموالي في الدولة العباسية من الفرس أو غير العرب عموما،وهم مزيج من أجناس عديدة يربطها (ولاء الإخلاص)أما في الجيش فقد استخدم العباسيون الموالي غير العرب غالبا.وقد شعر الخليفة أبو جعفر المنصور بالحاجة إلى مثل هؤلاء سواء في البلاط أو في الإدارة أو في الجيش.فجلبهم بطرق التجارة أو الحرب.وقد اعتنى المنصور بتدريب البعض من مواليه على السلاح.وتطورت هذه الفرقة إلى أن أصبحت وحدة كبيرة في الجيش.[2]

وكان الخليفة المنصور أول خليفة عباسي استعمل مواليه وغلمانه في أعماله.وأوصى ولي عهده بهم واستخدمهم في البلاط والإدارة والجيش.فقد أوصى المنصور ولي عهده بثلاثة أشياء هي:المال والموالي ومدينة السلام.[3]

وفي عهد الخليفة المهدي ازداد الاهتمام بالموالي لطاعتهم التامة،وقد كافأهم بالأموال.[4] ومنذ عهده أصبح الموالي يرسلون على رأس بعض الحملات.فقد أرسل الحسن الوصف على مقدمة العباس بن محمد لغزو بيزنطة سنة 159هـ وأرسل الربيع بن يونس مع ابنه الرشيد سنة 163هـ وسنة165هـ وقد أسست فرقة من الموالي[5]

وكان الخليفة أول المنصور أول خليفة عباسي استعمل مواليه وغلمانه في أعماله. وأوصى ولي عهده بهم واستخدمهم في البلاط والإدارة والجيش.فقد أوصى المنصور ولي عهده بثلاثة أشياء هي: المال والموالي ومدينة السلام.[6] وفي عهد الخليفة المهدي ازداد الاهتمام بالموالي لطاعتهم التامة،وقد كافأهم بالأموال.[7]

---

(1) محمد عبد الحفيظ المناصير:المرجع السابق،ص106.

(2) المرجع نفسه،ص 106-107.

(3) فاروق عمر:**النظم العسكرية،نشأة الجيش النظامي في الإسلام** ،ندوة النظم الإسلامية أبو ظبي،1984،ص261

(4) البغدادي:**تاريخ** 393/5.

(5) شاكر مصطفى:**دولة بني العباس** 626/1.

(6) فاروق عمر فوزي: **النظم العسكرية**، ص261.

(7) البغدادي:**تاريخ بغداد** 393/5.

وقد بلغ الأمر بالمهدي أن أشركهم بالحكم،ففي سنة 169هـ حيث رحل المهدي إلى جرجان ترك مولاه الربيع بن يونس ينوب عنه في بغداد،وقد تقلد الكثير من المناصب الهامة في عهد المهدي وأولاده.وقد عينوا في مناصبهم العالية بسبب مهاراتهم الإدارية وولائهم السياسي للعباسيين.[1]

. الخراسانية:

يدخل في تسمية الخراسانية أهل الأحواز،وفارس وكرمان ومكران وسجستان وقوهستان وخراسان من عناصر عربية وفارسية.[2] وهم القوة الضاربة الخراسانية الذين حققوا النصر العباسي على الأمويين، وتتكون هذه القوة بشكل رئيسي من العرب من أهل خراسان الذين عاشوا في خراسان ومع أهلها ، وتكلموا لغتهم الفارسية بالإضافة إلى العربية، وتزوجوا نساء فارسيات ،ولبسوا الملابس الفارسية . بالإضافة إلى اعتزازهم بقيمهم وتقاليدهم العربية الإسلامية.[3]

وقد حافظ العباسيون على وحدة الفرقة الخراسانية وتماسكها منذ بداية الدعوة،وسجل المقاتلة من أهل خراسان حسب قراهم ومدنهم،سواء كانوا عربا أم غير عرب من فرس وغيرهم.[4]

وقد ذكر ابن المقفع الخليفة المنصور برعايتهم لأنهم :" جند لم يدرك مثلهم في الإسلام،وفيهم صفة بها يتم فضلهم إن شاء الله ،أما هم فأهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس ،وكف عن الفساد ،وذل للولاة ، فهذا حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم."[5]

وهم الذين أوصى بهم الخليفة المنصور ولي عهده المهدي حيث قال:"...أوصيك بأهل خراسان خيرا فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك.."[6]

---

(1) المناصير:**الجيش** ،ص107-108.

(2) المرجع نفسه، ص 107-108،شاكر مصطفى:المرجع السابق 626/1.نعمان ثابت:**العسكرية في عهد العباسيين** ،ص 174.

(3) المناصير :المرجع السابق ص 108.

(4) فاروق عمر:**الجيش** ،ص101.

(5) **رسالة الصحابة**، ص 33.

(6) الطبري :تاريخ 103/8، شاكر مصطفى:**دولة بني العباس** 614/1.

ولم يكن اصطلاح أهل خراسان هو الاصطلاح الوحيد الذي عرفت به هه الفرقة من الجيش،بل كان يطلق عليهم نعوت تدل على المدن التي استوطنوها أو عاشوا فيها مثل : المروزية والجرجانية والبخارية والبلخية والفرغانية وغيرها.[3]

وحين أسست بغداد سكنوا مع قادتهم في سكك داخل المدينة أو في أرباض في شمالي المدينة وخاصة في الحربية،وكان تأثيرهم في سياسة الدولة وإدارتها كبيرا.[2]

وكان للخراسانية دور كبير في الدفاع عن النظام العباسي ضد الثوار والخارجين على الدولة.وقد اعتاد الخلفاء على إرسال قوات خراسانية إلى المناطق المضطربة أو تلك المعروفة بميولها المضادة للعباسيين كالبصرة والموصل والشام وأفريقية . وقد استغاث بهم المنصور أثناء ثورة الحسنيين،كما شارك المروزية في قتال الملبد الخارجي سنة 138هـ واشترك الخراسانية في الجهاد ضد البيزنطيين. [3]

وقد اتخذت الدولة العباسية سياسة حاولت من خلالها الاحتفاظ بأهل خراسان،أيا كانت قبيلتهم وأصلهم أو منطقتهم .ككتلة واحدة أو فرقة واحدة في الجيش العباسي.[4]إلى أن أصبحوا من أهم العناصر المقاتلة في الجيش .وعمود القوة الضاربة .فهم حرس الخليفة ،وبيدهم زمام الجيش.ولم تفقد الخراسانية أهميتها إلا في أواخر عهد الرشيد،وفي عهد الأمين الذي استعان بفرق الأبناء.[5]

---

(1) فاروق عمر فوزي:**طبيعة الدعوة العباسية**،دار الإرشاد،بيروت ،1970،ص 174.

(2) فاروق عمر فوزي:**الجيش والسياسة**، ص102،محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش**، ص110.

(3) المناصير:**الجيش**، ص 110،وانظر فاروق عمر فوزي :**النظم العسكرية، نشأة الجيش النظامي في الإسلام** ،ندوة النظم الإسلامية،ص 256.

(4) المناصير:المرجع نفسه.

(5) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف:**العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول** ص151.

. الأبنـــاء:

منذ عهد الخليفة المهدي ظهر اصطلاح جديد في تشكيلات الجيش العباسي ،تمثل في "الأبناء" وهو مصطلح يدل على أبناء أهل خراسان . والأبناء في هذا الباب لا يجرون مع الأتراك والخراسانية لأن الغالب على الأبناء المطاعنة على أبواب الخنادق وفي المضايق،وهؤلاء أصحاب الخيل والفرسان وعلى الخيل والفرسان تدور الجيوش لهم الكر والفر. [1] ولما كان أهل خراسان عربا وعجما ،فالأبناء سيكونون مزيجا من الجنسين. وهنا تصدق تسمية ابن طيفور لهم :"أبناء أهل خراسان المولدون"[2]

وكانت هذه أهم العناصر التي تشكل منها الجيش العباسي النظامي.غير أن هناك عناصر أخرى قليلة استعملهم العباسيون الأوائل في الجندية،مثل الأفارقة والسودان ،الذين استعملهم أبو جعفر المنصور حين أعلن محمد النفس الزكية ثورته في الحجاز.وكان عددهم ألف وخمسمائة.[3] فقد ورث هؤلاء عن آبائهم حرفة الجندية والولاء للعباسيين،وصارت كلمة الأبناء من عهد الخليفة هارون الرشيد على الأجيال المتعاقبة من نسل الخراسانية [4]

ب/ فئات (أصناف) الجيش العباسي:

. الجيش النظامي:

ويتكون أساسا من الجند المثبتة أسماؤهم في الديوان،وتدفع لهم رواتبهم من بيت المال.[5]وهم الذين يفرض لهم العطاء بحسب الغنى والحاجة،ويتلقون الرواتب لقاء خدمتهم العسكرية في الدولة.[6]

ومنذ العصر العباسي الأول بدأت أعداد كبيرة من الجند تؤلف الجيش النظامي للدولة،وكانوا يتقاضون أجورا ثابتة.تدفع لهم بانتظام.[7]حيث لم يكن للخلافة قبل العصر العباسي جيش نظامي معدود ومدرب على الأسس العسكرية.إذ لم يكن الجند النظامي قبل العباسيين يضم سوى حرس الخليفة.أما الجند النظامي العباسي فهم يتعاطون الجندية حرفة دائمة .وقد عرفوا بالمرتزقة ،لأن أرزاقهم على الدولة [8]

---

(1) الجاحظ :**مناقب الترك ضمن رسائل الجاحظ**،تحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1384هـ/1964م1/ 53.

(2) فاروق عمر فوزي: **الجيش والسياسة**،ص 102.

(3) شاكر مصطفى: **دولة بني العباس** 629/1.

(4) فاروق عمر فوزي :**الجيش**، ص 150.

(5) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش**، ص132.

(6) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام** 223/2.

(7) فيليب حتي:**تاريخ العرب** 403/2.

(8) عبد العزيز السلومي: **ديوان الجند**، ص338.

على أن الجيش العباسي "النظامي المحترف" لم يظهر بين عشية وضحاها.فقد كان هناك فترة انتقالية توسطت بين نظام الأمة المقاتلة،وبين نظام الجيش المحترف اتصفت بوجود تنظيمات قبلية على مبدإ الأمة المقاتلة،وبوجود فرق عسكرية أخرى سجل فيها المقاتلة على أساسا مدنهم وقراهم.بغض النظر على أنسابهم وقبائلهم،وبذلك لا تندمج في هذه الوحدات القبائل فحسب،بل اندمج فيها العرب وغير العرب في تشكيل عسكري واحد.[1]

. جيش المتطوعة:

وهم المقاتلة الخارجون عن الديوان.والذين لا ديوان لهم من المتطوعة الذين ينضمون إلى القتال بجانب الجيش النظامي في النفير تلبية لواجب الجهاد أو الدفاع عن الدولة .(4) ولهم رواتب يأخذونها مدة الخدمة العسكرية فقط يدخلون السلك العسكري اختيارا.[5]

وكان معظم هؤلاء المتطوعة من العرب البوادي والأعراب،وسكان القرى والأمصار،الذين يخرجون في النفير،ولم يكونوا قد سجلوا في الديوان.[6] مدفوعين بعوامل دينية أو مادية[7]

وكان المتطوعة يوجهون إلى الصفوف التي تحتاج إلى الدعم في الجيش النظامي، وقد كان لهم أثر واضح في تحقيق النصر.وغالبا ما يضع قادة الجيش النظامي المتطوعة في نهاية الجناحين من جيوشهم،لئلا يؤثروا على الجند النظاميين.أو يسببوا الإخلال في الضبط العسكري،أو إعاقة تنفيذ الخطط الحربية.[8] ويوكل للمتطوعة مهمات حفظ الحدود الإسلامية من غارات الأعداء.وكان الخلفاء والولاة يمنحون الإقطاعيات لهؤلاء المتطوعة،وخاصة في منطقة الثغور.[9]

وقد شارك المتطوعة في الغارات التي نظمها الخليفة العباسي هارون الرشيد على حدود البيزنطيين.فكانوا يملأون الربط العسكرية في الثغور.وقد أعطى المتطوعة لسكان الثغور طابعا دينيا جهاديا خاصا للنظام الثغري العسكري الإسلامي.[10]

---

(1) فاروق عمر فوزي:**الجيش والسياسة** ،ص 99.

(2) عبد العزيز السلومي:**ديوان الجند** ، نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون،مكتبة الطالب الجامعي،مكة المكرمة، العزيزية، 1406هـ/1986م،ص 206.

(3) ابن الطقطقا:**الفخري في الآداب السلطانية** ،ص 83-84.

(4) ابن خلدون:**المقدمة**، ص 230.

(5) نعمان ثابت:**العسكرية في عهد العباسيين**،مراجعة وتعليق حامد أحمد الورد،بغداد 1978، ص 169.

(6) فيليب حتي:**تاريخ العرب** 403/2.

(7) الماوردي:**الأحكام السطانية** ،ص 36 ، محمد عبد الحفيظ المناصير:المرجع السابق ،ص 100.

(8) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام2**/223.

(9) محمد عبد الحفيظ المناصير:المرجع السابق، ص 135.

(10) محمد عبد الحفيظ المناصير:المرجع نفسه ،ص 135،السلومي:المرجع السابق ،ص 341.

. الحرس(والحرس الخاص):

من صنوف الجيش في العصر العباسي الأول،الحرس الخاص للخليفة،أو الحرس للأمراء والقادة.وقد كان للخليفة المنصور حرس خاص من جنده.وعندما بنى بغداد سنة 145هـ خصص مقاصير لجماعة من قادته تطل أبوابها على رحبة المسجد. [1]

وكان حرس الخليفة الشخصيون رجالا مختارين من الجيش سواء من العرب أومن العجم.[2]

وقد ثاروا ضده سنة 151هـ للمطالبة بزيادة الرواتب.ثم تطور ذلك إلى عداء الخليفة فهاجموا قصره للدخول عليه.إلا أنهم اختلفوا بين مضري ويمني وربيعي وعادوا إلى معسكراتهم خارج سور مدينة السلام.ومن يومها فرق المنصور جيشه ليضرب بعضه ببعض فبنى الرصافة لابنه المهدي ومعه جزء من العسكر.[3]

واتخذ الخليفة المهدي حرسا من عرب الحجاز بتوزيع الأموال عليهم.وإعادة الغلات والحبوب إليهم من مصر والشام ،بعدما أوقفه عنهم المنصور لوقوفهم إلى جانب محمد النفس الزكية في ثورته.وضم إلى حرسه الخاص خمسمائة رجل منهم ،أثبتهم في حرسه الخاص وأجرى عليهم الأرزاق سوى أعطياتهم.وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم.[4]

وجرت العادة أن يختار الرشيد رئيسا خاصا لحرسه يكون من أقرب الناس إليه،وأكثرهم ثقة.وربما يشارك الخليفة رئيس حرسه هذا في اختيار أعوانه واحدا واحدا،لصلتهم كلهم بشخصه ،وحراستهم له.[5]

وكان حرس الخليفة يتناولون رواتب أعلى ممن سواهم ويجهزون بأفضل الأسلحة والألبسة.وكان راتب الجندي من المشاة في عهد الخليفة العباسي الأول نحو تسعمائة وستين درهما في السنة علاوة على الطعام والمخصصات.[6]

---

(1) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش** ،ص 152.

(2) أنور الرفاعي: **الإسلام في حضارته ونظمه** ،ص 188.

(3) ابن الطقطقي:**الفخري**، ص 174،عبد الجبار الجرمودي:**داهية العرب** ،ص 305-306.

(4) الطبري:**تاريخ** 133/8،عبد العزيز الدوري:**العصر العباسي الأول**،ص86،أحمد مختار العبادي:**في التاريخ العباسي والفاطمي** ،ص 67.

(5) عبد الجبار الجرمودي:**هارون الرشيد** ،ص 286.

(6) فيليب حتي:**تاريخ العرب** 404/2.

. الشرطة:

"الشرط هي أول كتيبة من الجيش تشهد الحرب وتتهيأ للموت.فهم رأس الجيش ومقدمته.ومن يبدأون الحرب،وهم الحرس الخصوصيون."[1]

وفي العصر العباسي الأول،كان الخليفة أبو جعفر المنصور لا يسير إلا وصاحب الشرطة بين يديه.[2]وكان من مهام صاحب الشرطة،أنه يتولى إقامة الحدود،ومعاونة عمال الحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وتأديب أصحاب المنكرات،وتنفيذ أوامر السلطان.ومساعدة عمال الخراج،وإدارة السجون.[3]

وكان صاحب الشرطة مسؤولا عن حفظ الأمن والهدوء.وعن مواجهة أية فعاليات مخلة بالأمن.وقمع الشغب،وكشف ومتابعة الأشخاص والجماعات المشبوهة.ومن صلاحياته فرض العقوبات .فكانت الشرطة تقوم بدوريات في الليل للحفاظ على الأمن ولمنع الجرائم .[4]

ومن مهام الشرطة حماية كبار رجال الدولة،والحفاظ على أمنهم وحياتهم.وتعتمد الدولة على الشرطة في استتباب الأمن وحفظ النظام،والقبض على الجناة والمفسدين،وتتبع الخارجين على الحاكم والخراجين على أنظمة الدولة. وقام الخليفة المهدي –وكان أول من فعل هذا– بتنفيذ مبدأ التجنيد للعمل في مجالات الشرطة المدنية المعروفين.لكن هذه السياسة للأسف لم تدم بعد وفاة المهدي".[5]

فقد أقام المهدي على الشرطة من تبين فيه حسن النظر والتدبير فاستوثق له الملك من الوجه الذي يرومه في استمالة الناس إليه.[7]

وكان صاحب الشرطة بإمكانه معاقبة الوزراء،وجلد أبناء القادة الكبار،الذين يعتنقون المذاهب المعادية للدولة.كما كان يعاقب من يزور توقيع الوزير ، وطريقة المعاقبة في مثل تلك الحالة، هي أن يضرب المزور بالسوط ثم يطاف به في المدينة على جمل ليكون عبرة لغيره.[8]

---

(1) محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش** ،ص155.

(2) المرجع نفسه.

(3) فيليب حتي:**تاريخ العرب** ، 399/1.

(4) عبد العزيز الدوري:**أوراق في التاريخ الاقتصادي** 118/2.

(5) دريد عبد القادر نوري:**الشرطة في العراق خلال العصر العباسي الأول**،مجلة المؤرخ العربي،عدد29،بغداد 1986، ص215-216.

(6) جميل نخلة المدور:**تاريخ العراق في عهد العباسيين** ،ص70.

(8) محمد جمال الدين سرور:**تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري**،دار الفكر العربي،القاهرة،ص106 .

وكانت الدولة تنفق عن سعة على رجال الشرطة.فتمنحهم الرواتب الكبيرة،حتى كان منصب رئيس شرطة بغداد لا يقل عن منصب الوالي. وكان صاحب الشرطة يتخذ مقره في حاضرة الدولة ويعاونه في كل مدينة فريق من الجند،يخضعون لرئيس منهم .[1]

3/ مظاهر اهتمام الخلفاء بالجندية

حرص الخلفاء العباسيون الأوائل على تكوين جيش قوي ومنظم.فشكلوا جيشا مراعين فيه العناصر المختلفة والكفاءات المتنوعة.واهتموا مع ذلك بإصلاح كل خلل قد ترد فيه نصيحة أو توجيه.وبناء عليه يراجعون الحساب ويعيدون التنظيم. سواء أكان ذلك استجابة لهذه النصائح والمقترحات،أو كان عن نظر وفكر عسكري من قبل هؤلاء الخلفاء.

فلما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور أحس بعدم ارتياحه في مدينته الجديدة بغداد،وبتوجيه من أحد مستشاريه بنى مدينة الرصافة لابنه المهدي.وذلك لغرض عسكري بحت،بحيث حول معه مجموعات من الجند، فأصبح هناك طرفان إذا شغب طرف واجهه بالطرف الآخر.وهو الأمر الذي تم بإشارة من قثم ابن العباس[2] عندما اقترح على أبي جعفر المنصور :"..يا أمير المؤمنين،الرأي أن تعبِّر ابنك إلى الجانب الشرقي،وتعبِّر معه قطعة من العسكر.وتبني له مدينة،فيصير هو في مدينة وعسكر بالجانب الغربي،وأنت في مدينة وعسكر بالجانب الآخر.فقبل قوله وبنى الرصافة.[3]

وكان اهتمام الخلفاء العباسيين الأوائل بشحن الثغور،وبناء ما يمكن تسميته بالمدن العسكرية متواصلا. فلما استخلف أبو العباس فرض بالمصيصة [4]لأربع مائة رجل زيادة في شحنها،وأقطعهم.ثم لما استخلف المنصور فرض لأربع مائة رجل .ثم لما دخلت سنة 139هـ أمر بعمران مدينة المصيصة،فبنى سورها الذي كان قد تشعب من الزلزال وأسكنها أهلها سنة 140هـ[5]

---

(1) محمد جمال الدين سرور:**تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري**،دار الفكر العربي، القاهرة،ص106 .

(2) هو قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب،أمير،ولاه المنصور العباسي إمرة اليمامة سنة 143هـ.فأقام فيها إلى أن توفي المنصور .وولي المهدي،فكتب المهدي بعزله.فوصل الكتاب إلى اليمامة بعد وفاته.(الزركلي:الأعلام 190/5)

(3) ابن الطقطقي:**الفخري**، ص 174.

(4) المصيصة:مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم،تقارب طرسوس.انظر الحموي: **معجم** 169/5. البلاذري:**فتوح البلدان** ،ص 227.

(5) المصدر نفسه ص227.

عمل المنصور على تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها.وبنى ما احتاج إلى البناء منها.وفعل مثل ذلك بمدن الثغور.يقول البلاذري:"جد الناس في في العمل حتى إذا فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر،وبني للجند الذين اسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعلويان فوقهما،واصطبل (والعرافة نفر إلى خمسة عشر رجلا)وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلا منها.ومسلحة على نهر قباقب يدفع في الفرات.وأسكن المنصور ملطية[1] أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ..ووضع في شحنتها من السلاح وأقطع الجند المزارع."[2]

ثم لما استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها.(3) وفرض بها لألفي رجل ولم يقطعهم،لأنها كانت شحنت من الجند والمطوعة.ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام ،فكثر من بها وتقووا.[4]

وقد تابع المهدي نفس الاتجاهات التي وضحت في عهد المنصور من بناء الحصون وحشد الجند.بل كان إحساسه بالمشكلة البيزنطية، لم يقل عن إحساس معاوية أو عبد الملك بن مروان.فتصدى للإمبراطور البيزنطي ليو الرابع، والحملات التي قام بها على منطقة الثغور.فقد وجه الحسن بن قحطبة فساح في بلاد الروم، وثقلت وطأته على أهلها، حتى صوروه في كنائسهم.[5]

وفي سنة 163هـ قطع المهدي البعوث للصائفة على جميع الأجناد، من أهل خراسان وغيرهم.وخرج فعسكر بالبردان[6] فعسكر به نحوا من شهرين يتعبأ فيه ويتهيأ ويعطي الجنود،وأخرج بها صلات لأهل بيته الذين شخصوا معه.[7]

كما قرر المهدي تركيز الجهد الحربي لمواجهة البيزنطيين.فبدأ منذ 161هـ/778م سلسلة من الحملات الصيفية. سرعان ما تطورت إلى حرب عامة بين الدولتين.(8)وفي عام 165هـ/781م وجه

---

(1) ملطية:بلدة من بلاد الروم مشهورة ومذكورة ، تتاخم الشام . وهي للمسلمين.قال خليفة بن خياط:في سنة 140هـ وجه أبو جعفر عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام محمد بن علي لبناء ملطية ،فأقام عليها حتى بناها وأسكنها الناس وغزا الصائفة.(الحموي:معجم البلدان 223/2).

(2) المصدر نفسه ص 264،الدوري:**العصر العباسي الأول**، ص 74.

(3) البلاذري:**فتوح** ،ص 223.

(4) المصدر نفسه ،ص 227.

(5) حسين أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**،ص 130، محمد عبد الحي شعبان :**الثورة العباسية** ،ص 41.

(6) البردان:من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها،وهي من نواحي دجيل.سميت بالبردان لأن ملوك الفرس كانوا إذا أتوا بالسبي فنفوا منه شيئا قالوا:برده أي اذهبوا به إلى القرية.وكانت القرية بردان فسميت بذلك. (الحموي :**معجم1**/447)

(7) الطبري:**تاريخ** 144/8،فاروق عمر :**الجيش** ،ص111.

(8) صابر محمد دياب حسين:**الدولة الإسلامية في العصر العباسي**، ص 75.

الخليفة المهدي ابنه هارون الرشيد على رأس جيش.وأنشأ قاعدة جديدة في الرقة.حيث قاد هارون الرشيد حملة ناجحة على الأراضي البيزنطية.[1]

وفي العام نفسه 165هـ وجه الرشيد جيشا قوامه نحو مائة ألف من المرتزقة سوى المتطوعة وأهل الأسواق.وقد بلغت هذه القوة الشاطئ المواجه للقسطنطينية حيث نجحت في إجبار الروم على طلب الصلح.وتقديم جزية قدرها خمسة آلاف رأس وست مائة وثلاث وأربعين رأسا[2]

ثم عقدت هدنة لثلاث سنوات قبل البيزنطيون بموجبها أن يدفعوا جزية قدرها سبعون ألف دينار مرتين في السنة،وقبلوا بالإضافة إلى ذلك بتقديم المرشدين لجيش الرشيد.كما وعدوا بإنشاء أسواق في طريق سيره لشراء المؤونة اللازمة له.[3]

كما اعتنى الرشيد ببناء مدن عسكرية،فبنى عين زربة،وحصنها وندب إليها ندبة من خراسان وغيرهم وأقطعهم المنازل سنة 180هـ.[4] ثم لما كانت سنة 183هـ أمر الرشيد ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتلة.ومن خرج إليها من المتطوعة ونسب إليها.كما بنى الرشيد مدينة الكنيسة السوداء ، وحصنها وندب إليها المقاتلة وزادهم في العطاء.[5]

وفي سنة 188هـ خلع الروم ملكتهم زيني وملكوا بدلها نقفور.فكتب إلى الرشيد كتابا[6] فسار إليه الرشيد في سنة 190هـ في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا سوى المتطوعة والأتباع ، وحاصر هرقلة يوما وفتحها في شوال وسبى أهلها وبث العساكر في الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية ، فبعث نقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه ورأس ولده وبطارقته.[7]

---

(1) الأزدي :تاريخ الموصل، ص 245-246،صابر حسين:المرجع السابق ص 75-76، محمد شعبان :**الثورة العباسية** ،ص 41.وانظر : طه خضر عبيد :**حملتا الأمير هارون الرشيد ضد الدولة البيزنطية 163-165هـ /779-781م** ،مجلة الثقافة والتراث،عدد66،رجب 1430هـ/يوليو 2009م

(2) الطبري:**تاريخ** 153/8،النويري:**نهاية الأرب** 115/22، صابر حسين:المرجع السابق ،ص 76.

(3) الطبري:**تاريخ** 152/8.

(4) البلاذري:**فتوح** ،ص 224.

(5) المصدر نفسه ،ص 225.

(6) ورد في هذا الكتاب:"من نقفور ملك الروم إلى هارون الرشيد ملك العرب،أما بعد:فإن الملكة التي كانت قبلي..حملت إليك من أموالها ما كانت حقيقا بحمل أمثاله إليها..فاردد ما حصل قبلك من أموالها،وافتد نفسك،وإلا السيف بيننا وبينك.فلما أن قرأ هارون الرشيد استفزه الغضب،حتى لم يمكن أحدا أن ينظر إليه دون أن يخاطبه..فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب:"بسم الله الرحمن الرحيم:منهارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم.قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة،والجواب ما تراه دون أن تسمعه،والسلام"(ابن الجوزي:**المنتظم** 138/8)

(7) ابن الوردي:**تاريخ1**/199-200.

ورغم ذا الاهتمام المتزايد بالجيش من قبل الخلفاء العباسيين الأوائل،إلا أن ذلك لا يعفيهم من أنهم في أثناء ذلك قد بادروا إلى تشجيع الجيش للتدخل في الأمور السياسية. ومع ذلك فقد كانوا خلفاء أقوياء ث لم يستطع الجيش أن يتجاوز حدوده.ولعل أسوأ ظاهرة يمكن أن نستشهد بها هي استغلال الجيش أو إقحامه في النزاع حول ولاية العهد.إذ استغل الخلفاء تشكيلات الجيش من أهل خراسان والعرب والموالي وقادتهم في سبيل تنفيذ رغباتهم فيما يتعلق بولاية العهد.[1]

(1) الطبري:تاريخ 16/8،فاروق عمر فوزي:**الجيش والسياسة** ،ص 110.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: إصلاح القضاء

القضاء في اللغة:من قضى يقضي فهو قاض،إذا حكم وفصل.وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه.[1]

وشرعا:تبين الحكم الشرعي والإلزام به،والفصل في الخصومات.[2] والأصل فيه قوله تعالى:"يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.."[3]

ويعرفه الفقهاء بأنه :"قول ملزم يصدر عن ولاية عامة.أو كما يقول ابن فرحون المالكي:"الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام"[4]

وهو كما يقول قدامة ابن جعفر :"أمر بالمعروف ونهي عن مضرة المظلوم،وآداء الحق إلى مستحقه،ورد للظالم عن ظلمه،وإصلاح بين الناس ،وتخليص لبعضهم عن بعض.فإن الناس لا يستقيم أمرهم بدونه.[5]

ويعرفه يقول ابن خلدون :"الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع،إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة.[6]

وإذا لم يكن هذا الفصل ملزما ،فلا حاجة إذا لهذا الفصل البتة.ولكن طالما أن هناك سلطات أخرى تعين القاضي على الالتزام بحكمه الفصل.فإن القاضي سينفك من عناء عدم جدوى قضائه.ولا سيما وأن هذا الحسم يكون وفق الأدلة الشرعية.مما يجعل القبول ممكنا في جميع الحالات،وأمن الحيف والجور.وتدخل الاعتبارات الشخصية التي تخول للإنسان تطويع القوانين الوضعية لصالحه أو لصالح جهة يتبناها،على حساب جهة الخصم.

---

(1) ابن منظور:لسان العرب، مادة قضى(ص3665).

(2) عبد الله بن مطلق الفهيد:**مزيل الداء عن أصول القضاء** ،مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،1372 هـ /1983 م ، ص11.

(3) سورة ص 26.

(4) ابن فرحون المالكي:**تبصرة الحكام في الأقضية ومناهج الأحكام**،المكتبة الأزهرية، ط1،1406 هـ /1986م،1 /11 . ابن خلدون: **المقدمة** ، ص 252.

(5) موفق الدين بن قدامى (ت630هـ)وشمس الدين بن قدامى المقدسي (ت682هـ) :**المغني والشرح الكبير**، دار الكتاب العربي،بيروت،1403هـ/1983م،373/11.)

(6) ابن خلدون: المصدر السابق،ص 252.

وقد عرف القضاء منذ زمن بعيد.إذ لا يمكن لحكومة من حكومات العالم أيا كان نوعها الاستغناء عنه.إذ لابد منه للفصل فيما لا يخلو منه المجتمع البشري من النزاع.وهو مقدس عند جميع الأمم رغم اختلافها رقيا وانحطاطا.[1]

فقد كان القضاء في العصر الأموي مستقلا .ولم يكن الخليفة يتدخل فيه.وكان القضاة يحكمون بحسب جتهاداتهم.وكان طبيعيا أن تختلف هذه الاجتهادات.[2] لذا فإن العباسيين لم ينشئوا الجهاز القضائي إنشاء،بل هم استكملوه.وقام الخلفاء شخصيا بتعيين القضاة.حتى لا يمنعوا عنهم تحكم الولاة،وحتى يحسنوا رقابة كفاءتهم.[3]

فتطور النظام القضائي بسبب تطور الحياة،وظهور المذاهب الفقهية.وتدوين الفتاوى والأحكام الفقهية.وأصبح القاضي يعين على أن يلتزم في أحكامه المذاهب الفقهية السائدة في الدولة.[4]

وفي العصر العباسي شهد القضاء تطورا ملحوظا.بسبب العناية التي أولاها الخلفاء والقضاة والعلماء على حد سواء،في سبيل السعي إلى الرقي بالقضاء،وجعله مؤسسة خاصة أو جهازا مستقلا،يحفظ به الحقوق، وتصان به الدماء والأعراض . ويحقق العدل بين الناس حاكمين ومحكومين.

1/ القضايا المطلوب إصلاحها في القضاء

رغم أن القضاء أخذ يتبلور في صورته المؤسساتية الرسمية منذ العصر العباسي الأول،إلا أن هذا لم يمنع وجود عيوب ونقائص في نظام القضاء عامة.من أجل ذلك ظهرت بعض الدعوات التي تنادي بإصلاح جوانب الفساد هذه.مقترحة في الآن نفسه حلولا علاجية.

وقد تقدم هؤلاء المصلحون بهذه الدعوات إلى أصحاب القرار في الدولة، وهم الخلفاء ومن في منزلتهم. وربما عهد بعض الخلفاء لبعض قضاتهم بالتكفل بإصلاح مواطن الفساد أينما ظهرت. سواء في القضاء أو في غيره.كما كان شأن الخليفة هارون الرشيد مع القاضي أبي يوسف.

---

(1) محمد سلام مذكور:**معالم الدولة الإسلامية**،مكتبة الفلاح،الصفاة، الكويت،ط1،1403هـ/1983م ، ص325.

(2) محمد عابد الجابري:**العقل السياسي**،ص 349.

(3) صابر حسين:**الدولة الإسلامية في العصر العباسي**، ص 298.

(4) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي**، ص 30.

ومن أهم الدعوات التي نادت بإصلاح القضاء في العصر العباسي الأول،دعوة ابن المقفع،في رسالة الصحابة للخليفة المنصور.ورسالة العنبري للمهدي.وبعض الإشارات في كتاب الخراج لأبي يوسف الذي كتبه للرشيد.

وقد تناولت هذه الدعوات الإصلاحية – فيما تناولته –عيوب القضاء ،فحددت مواطن الخلل،ووصفت العلاج المناسب.ومن أهم هذه القضايا :

أ / اختلاف الأحكام والأقضية :

فقد أشار ابن المقفع إلى مشكلة القضاء،إذ تناول جوانب عديدة بالنقد،وأسهب في تحديد إصلاحه.وقد أعطى صورة صادقة عن النظام القضائي للدولة الإسلامية وقت ذاك.كما عبرت آراؤه في ذلك عن نظريته الداعية إلى استحالة ضمان قيادة سليمة للدولة بدون تحقيق قضائي وظيفي تشريعي هو تشريع الدولة.[1]

وذكر ابن المقفع المنصور بمشكل فوضى القضاء[2] التي أوعزها إلى افتقار البلاد إلى قانون.وإلى ترك الأمور لرأي القضاة واجتهادهم.ومظاهر الفوضى كثيرة منها : التناقض في الآراء،والخلاف القائم في القضية الواحدة،والبلدة الواحدة.[3]

وظاهرة اختلاف الأحكام هذه، مردها إلى تباين بيئة القاضي وثقافته ومذهبه الفقهي واتجاهه العقدي.فالمعروف عند الفقهاء تباين الفتوى باختلاف المكان والزمان.وينزل العرف مكان التشريع إذا لم يخالف شيئا مشروعا.

والحق أن هذه مشكلة عسيرة.تظهر لها آثار وخيمة.كما يقول ابن المقفع:"..فيستحل الدم والفرج بالحيرة،وهما يحرمان بالكوفة،ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة،فيستحل من ناحية منها ما يحرّم في ناحية أخرى غير أنه على كثرة ألوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرمهم،يقضي به قضاة جائر أمرهم وحكمهم."[4]

---

(1) أحمد أمين:ضحى الإسلام208/1.

(2) عبد اللطيف حمزة:**ابن المقفع** ،ص100،الفاخوري:**ابن المقفع**، ص23،بشار قويدر:المرجع السابق، ص31.

(3) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** ،ص 39.

(4) المصدر نفسه، ص39-40.

ويبدو أن السؤال المهم يتصل أساسا بمصدر فكرة تقنين الدولة لقانون وخصوعه لرقابتها المباشرة التي طرحها هذا المصلح.وقد افترق القضاة في نظر ابن المقفع إلى قسمين يمثلان اتجاهين تشريعيين مختلفين:

-الإتجاه الأول:

اتخذ السنة مرجعا لأحكامه.فيكر ابن المقفع أن هذا النوع يزعم أنه يلتزم السنة،وقد تغالى فيما سماه سنة. فكثيرا ما يسفك دماء من غير بينة ولا حجة ويزعم أنه سنة،و"إذا سئل عن ذلك لم يستطع أن يقول هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أئمة الهدى من بعده.وإذا قيل له:أي دم سفك على هذه السنة التي تزعمون؟ قالوا:فعل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من أولئك الأمراء.."[1]

-الإتجاه الثاني:

في حين اعتمد أصحاب هذا الاتجاه الرأي.يقول ابن المقفع:" فيبلغ به الاعتزام برأيه، أن يقول في الأمر الجسيم – من أمر المسلمين- قولا لا يوافقه عليه أحد.ثم لا يستوحش لانفراده بذلك.وإمضائه الحكم عليه، وهو مقر أنه رأي منه لا يحتج بكتاب ولا سنة".[2]

والجميع في نظر ابن المقفع لم يحسنوا الاستعمال.مما أدى إلى تناقض مقيت في الأحكام. لا صلة لها بالشريعة الإسلامية.وحاول ابن المقفع توضيح أسباب ومصادر الخلط. فالصنف الأول أظهر خطأهم في ء استعمالهم لمفهوم السنة. فبين أنهم يسفكون الدماء بغير بينة ولا حجة على الأمر الذي يزعم أنه سنة.فإذا سئل عن مصدر هذه الأحكام تعلل بفعل عبد الملك بن مروان وبعض الأمراء الآخرين.[3]

وابن المقفع لا يترك القضية تمر دون أن يوح سبب ذلك وكيفية معالجته.فبين أن مصدر خطأ أهل السنة يكمن أساسا في القضايا المأثورة عن السلف غير المجمع عليها. مما ترتب عن اختلاف وجهات نظر القضاة وأحكامهم تبعا لذلك.فطالب بإعادة النظر في هذه الاختلافات وبيان أوجه الصواب والخطأ.[4] فقال ابن المقفع :"...فينظر فيه إلى أحق الفريقين بالتصديق وأشبه الأمرين بالعدل.."[5]

---

(1) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** ،ص 40.

(2) المصدر نفسه.

(3) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي** ،ص31.

(4) المرجع نفسه.

(5) ابن المقفع :المصدر السابق.

ثم اقترح لها علاجا.وهو أن يرفع إلى أمير المؤمنين كل الأقضية والمسائل التي يحدث فيها الخلاف.ويذكر ما يحتج به كل فريق من المخالفين من نص أو رأي، فيعمد أمير المؤمنين إلى هذه الحجج والبراهين ويختار ما يراه صوابا،ثم يدون ذلك في كتاب وتعمل منه نسخ ترسل إلى الأمصار،ويلزم القضاة بالحكم به.فإذا جدت حوادث سير فيها هذا السير.ووجب على كل إمام يأتي بعد أن يدخل على هذا القانون ما يجد وما تدعو إليه الحاجة.(1)

تمهيدا لقيام قانون جامع يثرى تدريجيا وفق التطور الدولة،حتى يصبح مرجعا تشريعيا متكاملا،يعتمد عليه جميع القضاة في الدولة الإسلامية للحيلولة دون وجود اختلافات قضائية في المجتمع الإسلامي بعد ذلك.(2)

ب/ سوء استعمال الرأي :

أما عن خطأ أهل الرأي فمصدره سوء استعمال القياس، الناتج عن الخطأ في أصل المقايسة أو ملازمة القياس دون النظر إلى تشابك القضايا وغموضها.(3) وابن المقفع لا ينتقد القياس من منظور فقهي أو بني.ولا أنه ينتصر لأصحاب الحديث ضد أصحاب الرأي. كلا،إنه ينظر إلى المسألة من جانبها السياسي المحض. لأن العمل بالقياس معناه –في نظر ابن المقفع–إعطاء القاضي الحرية.وهذا بمثابة إشراك له في السلطة مع الخليفة، بينما يجب أن تكون السلطة بجميع أنواعها للإمام وحده.(4)

لذلك ينصح ابن المقفع أن يتولى الخليفة إصدار الأحكام.وذلك بأن يقتصر القضاة على اقتراح الحكم الذي ينبغي أن يحكم به فيما يعرض عليهم من قضايا ثم يبعثوا بها اقتراحاتهم وحججهم إلى الخليفة الذي يراجع تلك الأحكام ويصدر القرار.(5)

ومن الخصال التي نصح بها الوزير أبو عبيد الله العنبري في رسالته للخليفة المهدي. والتي هي بمثابة برنامج إصلاح،وأشبه بخطة تنموية،ضمنها الدعوة إلى إصلاح جوانب مهمة يلزم إصلاحها منها القضاء.

أوصى العنبري في رسالته بأن صلاح القضاء يكون بأمرين اثنين:

-الأمر الأول:التقيد بمصادر الأحكام:

---

(1) أحمد أمين:**ضحى الإسلام** 209/1.

(2) المرجع نفسه، ص31.

(3) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي**، ص31.

(4) محمد عابد الجابري:**العقل السياسي** ،ص 350.

(5) المرجع نفسه.

يقول العنبري:"...فأما الأحكام،فإن الحكم بما أنزل الله،ثم بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،إن لم يوجد ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،إن لم يوجد ذلك في كتاب الله،ثم ما أجمع عليه الأئمة الفقهاء إن لم يوجد ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم اجتهاد الحاكم،فإنه لا يألو إذا ولاه الإمام ذلك، مع مشاورة أهل العلم."[1]

وهذه الأصول التي ذكرها العنبري هي الأصول نفسها التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل –رضي الله عنه– إلى اليمن،بعد أن أجابه معاذ إلى الحكم بها على الترتيب.[2]

والواقع أن هذه الأصول تحصن القاضي من اختلاط الأحكام،وتتبع الهوى.وفي هذا الترتيب في الأحكام دليل على أن هناك قضايا حكم فيها الله تعالى،و تطبيق حكمه فيها أولى وأحق.وقضايا أخرى فصل فيها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته قولا أو فعلا أو تقريرا.وحكمه فيها صلى الله عليه وسلم مقدم على حكم كل بشر. وقضايا أخرى فرعية تركت برحمة الله لاجتهاد الفقهاء والعلماء والقضاة، والفصل فيها حسب القياس والمصلحة ،ومراعاة للمكان والزمان والغاية. دون مخالفة نص أو قاعدة فقهية متفق عليها وجرى العمل بها.

وهذه الأصول التي تبنى عليها الأحكام،هي في الحقيقة بمثابة القانون الذي دعا ابن المقفع إلى تكوينه ، وتشكيل مواده وأحكامه في القضايا المختلفة ، وتوزيعه على الأمصار ، منعا للاختلاف ودرءا للفتنة.

وما أشار إليه العنبري من ضرورة التقيد الملزم بمصادر الأحكام ، فيه تجنب لفوضى القضاء التي أشار إليها ابن المقفع من أن كل القضاة يختلفون في أحكامهم من مدينة إلى أخرى بل في البلدة الواحدة تصدر أحكام متناقضة في القضية الواحدة.

هذا على أن معايير الرأي الشخصي للقاضي محددة كما حدده عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– في رسالته إلى أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– بقوله : "..الفهم الفهم عندما يختلج في صدرك مما ليس في القرآن والسنة .واعرف الأمثال والأشباه،ثم قس الأمور عند ذلك،واعمد إلى أحبها إلى الله،وأشبهها إلى الحق فيما ترى..."[3]

—

(1) وكيع:**أخبار القضاة** 101/2.

(2) إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم حينما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قاضيا.فقال له:يا معاذ،بم تحكم؟ قال:بكتاب الله.قال:فإن لم تجد قال:فبسنة رسوله.قال:فإن لم تجد.قال:أجتهد رأيي.فقال:الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم.(انظر:ابن قدامى المقدسي:**المغني** 375/11.)

(3) الجاحظ:**البيان والتبيين**،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة لجنة التأليف،القاهرة ،ط2،1380 هـ، 1960 م ،49/2، الطرطوشي:**نصيحة الملوك**، ص363.

ج/ اختيار القضاة :

ثم ينتقل العنبري إلى اقتراح من شأنه إصلاح القضاء وهو:

– الأمر الثاني:حسن اختيار القضاة

فوضع لذلك أوصافا وصفات تطلب فيمن يتولى القضاء.فقال:

"فأما الحكام ، فقد علم أمير المؤمنين–إن شاء الله–أدنى مأموله في الحاكم:الورع والعقل، فإن أحدهما إن أخطأه لم يقمه أهل العلم،واختيار خيار ما يشار به عليه في ذلك،فإن كان له مع ذلك فهم وعلم من الكتاب والسنة كان بالغا،فإن كان مع ذلك ذا حكم وصرامة وفطنة بمذاهب الناس وغوامض أمورهم التي عليها يتظالمون فيما بينهم..."."(1)

وهذه الصفات الواجب توافرها في القاضي الذي يريده العنبري،لخصها الإمام علي –كرم الله وجهه– بقوله:" لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضيا حتى يكون فيه خمس خصال:عفيف،حليم،عالم بما كان قبله،يستشير ذوي الرأي،ويكتب له الإمام عهدا يأمره فيه بتقوى الله والتثبت في القضاء ومشاورة أهل العلم، وتصفح حال الشهود وتأمل الشهادات..."(2)

ويعلق الطرطوشي على قوله تعالى :"إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا"(3)

"أي ظلوم لنفسه،وجهول بعاقبة أمره.وهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضاء: أحدهما لبطشه وظلمه،والآخر لجهله."(4)

2/ مظاهر إصلاح القضاء

يبدو أن القضاء في العصر العباسي الأول قد تأثر بدعوات التغيير والإصلاح.شأنه في ذلك شأن الجوانب الأخرى.وأصبح الخلفاء يهتمون شخصيا بالقضاء لما له من أثر في إحلال العدل ونشر الأمن.

فالقضاء كما يقول مصطفى الشكعة :"مرتبط بالعدالة،فإن صلح صلحت العدالة وترعرعت،وأمن الناس على أرواحهم،وأموالهم،وأعراضهم.فصلح أمر الدولة والناس.وإن فسد القضاء اختفت العدالة،

---

(1) وكيع:**أخبار القضاة** 101/2–102،وانظر محمد فرقاني: **رسالة العنبري–عرض وتحليل–** ،مجلة جامعة الأمير عبد القادر،العدد ،12ص 105–130 .

(2) ابن قدامى المقدسي:**المغني** 375/11.

(3) الأحزاب 42.

(4) الطرطوشي:**سراج الملوك**،ص35.

وباختفائها تعم الفوضى وينتشر الفساد ولا يأمن الناس على أنفسهم فتضيع هيبة الدولة ،ويتقلص سلطانها إنذارا لها بالزوال."(1)

ومن مظاهر إصلاح القضاء في فترة البحث (132-193هـ):

اهتمام الخلفاء العباسيون الأوائل بمسائل القضاء،ورد المظالم.وقامة هيئة خاصة تشرف على ذلك هي ولاية المظالم،و"موضوعها قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة،وزجر المتنازعين عن التجاحد بالرهبة".(2)

وقد كان في بداية الخلفاء والأمراء في بداية الدولة العباسية يقومون بأنفسهم بهذه المهمة. فقد جلس أبو جعفر المنصور حينما كان أميرا بأرمينية لأخيه أبي العباس. فدخل عليه رجل يتظلم قال:"إن لي مظلمة وإني أسألك أن تسمع مني مثلا أضربه قبل أن أذكر مظلمتي". قال المنصور:قل.قال الرجل:"إني وجدت الله تبارك وتعالى اسمه،خلق الخلق على طبقات.فالصبي إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه،ولا يطلب غيرها.فإن فزع من شيء لجأ إليها.ثم يرتفع عن ذلك طبقة فبعرف أن أباه أعز من أمه، فإن أفزعه شيء لجأ إلى أبيه.ثم يبلغ فإن أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه.فإن ظلمه ظالم انتصر به منه،فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربه فاستنصره.وقد كنت في هذه الطبقات.وقد ظلمني ابن نهيك في ضيعة لي في ولايته،فإن نصرتني عليه وأخذت لي بمظلمتي وإلا استنصرت الله عز وجل ولجأت إليه.فانظر لنفسك أيها الأمير أو دع".

و جعفر وقال أعد علي الكلام.فأعاده فقال:" أما أول شيء فقد عزلت ابن نهيك من ناحيته."وأمر برد ضيعته.(3)

ولما ولي المهدي جلس للناس في النصف من المحرم وقال:"إن أمير المؤمنين المنصور كان بما حمله من أموركم.وقلده من رعايتكم،يدبر عليكم كما يدبر الوالد على ولده.وكان أنظر لكم منكم لأنفسكم.وكان يحفظ عليكم ما لا تحفظون على أنفسكم فحرص أمير المؤمنين من إبطائها عنكم."(4)

ثم أمر بإخراج من في المحابس من الطالبيين وغيرهم من سائر الناس.فأطلقهم وأمر لهم بجوائز وصلات وأرزاق دارة...(5)

---

(1) **معالم الحضارة الإسلامية**،ص71.

(2) القلقشندي أبو العباس أحمد:**صبح الأعشى**،دار الكتاب المصرية،1346هـ/1928م، 277/3.

(3) ابن الجوزي:**المنتظم7**/311-312.

(4) اليعقوبي:**تاريخ** 394/2،ابن الجوزي:**المنتظم8**/228،الجهشياري:**الوزراء والكتاب**، ص114.

(5) اليعقوبي: **تاريخ**،ص395.اليعقوبي:المصدر نفسه،ابن الجوزي:المصدر السابق،ص 227،محمد عبد الحي شعبان:**الدولة العباسية** ،ص 36.

وكان الخليفة المنصور معروفا بسياسة الشدة والقبض.فكان يلقب بالدوانيقي أو أبا الدوانيق[2] ومع ذلك فقد كان يهيئ ابنه للخلافة لكي يبسط فيظهر بسطه. وكان المهدي أول الخلفاء العباسيين الذين جلسوا للنظر في المظالم.فكان ينظر في المظالم بنفسه.وبين يديه القضاة وهو يقول كلما جلس للمظالم:"أدخلوا علي القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إلا حياء منهم لكفى "

فكان المنصور يصادر الأموال ويكتب على كل منها اسم صاحبها.وكان يوصي ابنه المهدي لما ودعه عند خروجه إلى مكة بقوله:"إني تركت الناس ثلاثة أصناف: فقيرا لا يرجو إلا غناك،وخائفا لا يرجو إلا أمنك،ومسجونا لا يرجو إلا الفرج منك.فإذا وليت فأذقهم طعم الرفاهية".(1)

وكان المهدي في بداية الأمر لا يسمح لأصحاب المظالم بالدخول عليه.والاكتفاء بعرض مظالمهم في رقاع من الورق.فينظر المهدي في كل رقعة بعناية واهتمام. ثم علم أن بعض أتباعه يأخذون رشوة من أصحاب المظالم في مقابل عرض مظالمهم على الخليفة.فأمر المهدي بفتح شباك من حديد في قصره فيلقي كل صاحب مظلمة بالورقة التي عرض فيها مظلمته من هذا الشباك إلى داخل القصر.ثم كان يسمح بدخول المظلومين إلى مجلسه يعرضون عليه مظالمهم.(2)على أن المهدي ما برح مستمرا إلى انقضاء خلافته،منوالا يحتذى ،بحيث لم يول القضاء إلا أهل العلم ومن لا يميل به طمع النفس إلى الخروج عن جادة العدل.(3)

---

(1) لمحاسبته للعمال والصناع على الدوانيق والحبات:القرماني:**أخبار الدول 2**/72.والدوانيق جمع دانق وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية،ومقداره سدس درهم.ومقداره عند الحنفية:3.125÷6=0.521 جراما.وعند الجمهور: 2.975÷6=0.496جراما . علي محمد جمعة:**المكاييل والموازين الشرعية**، القدس،القاهرة،ط3، 1421هـ /2001م ،ص24.والحبات جمع حبة وهي وزن للنوع من الحبوب التي يتركب منها الدرهم والدينار وباقي الأوزان.عند الحنفية تساوي واحد من المائة من الدينار.فالحبة عندهم4.25÷100=0.0425 جراما.وعند الجمهور:الحبة تساوي واحد من اثنين وسبعين من الدينار.فالحبة عندهم:4025÷72=0.059 جراما تقريبا.(محمد علي جمعة:المرجع نفسه ،ص22) .

(2) الطبري:**تاريخ** 172/8،ابن الجوزي:المصدر السابق218/8،القلقشندي:**مآثر الأناقة**، ص185، النويري:**نهاية الأرب** 119/22،ابن الطقطقا:**الفخري**، ص179.

(3) الخربوطلي علي حسني:**المهدي العباسي**، ص 37.

ولما ولي الخليفة الرشيد أحدث نظاما جديدا بتعيينه رئيسا أعلى للقضاة يسمى "قاضي القضاة"ويشبه منصب وزير العدل في يومنا الحاضر.وربما كان أخطر منه،لأنه لم يكن يعنى بشؤون القضاة في جوانب الدولة فحسب،بل كان أيضا يفتي للخليفة في شؤونه الخاصة،وأعماله وتصرفاته في أخطر الشؤون العامة.(1)

وهذا المنصب الذي استحدثه الرشيد ،لا يعني اختصاصا قضائيا أعلى من اختصاص سائر القضاة،بل كان له حق الإشراف على الهيئة القضائية.باعتبار قاضي القضاة يمثل الخليفة عند النظر في مؤهلات المرشحين.(2)

وقد حرص الرشيد على أن يجعل حكمه راشدا.فقرب قاضيه أبا يوسف وجعله قاضي قضاة الخلافة.ومع جلالة هذا المنصب،إلا أن كل ذلك لم يمنع القاضي الورع من إقامة العدل ولو على الخليفة نفسه.فهذا موقف تحاكم فيه مدع مع هارون الرشيد إلى أبي يوسف القاضي،في بستان.فحكم به القاضي للمدعي،وبعث إلى الرجل في تسلم بستانه.(3)

وهو الذي كان دائما يعظ الرشيد وينصحه ويشير عليه بما يصلح حاله وحال دولته.فكان الرشيد يستشيره في عظائم أموره،ويستجيب لمشورته ورأيه.

فقال له أبو يوسف يوما وهو ينصحه في إصلاح القضاء،ويدعوه إلى الجلوس للمظالم:

" ...فلو تقربت إلى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم،ورجوت ألا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته.ولعلك لا تجلس إلا مجلسا أو مجلسين حتى يسير ذلك في الأمصار والمدن،فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه ،فلا يجترئ على الظلم.ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه".(4)

وعن أثر جلوس الخليفة للمظالم في نفوس الولاة والعمال يقول أبو يوسف:

"ومتى علم العمال والولاة أنك تجلس للنظر في أمور الناس يوما في السنة ليس يوما في الشهر،تناهوا بإذن الله عن الظلم،وأنصفوا من أنفسهم."(5)

---

(1) جميل نخلة المدور:**تاريخ العراق في عهد العباسيين**، ص89.

(2) الجرمودي:**هارون الرشيد**، ص 289.

(3) صابر حسين:**الدولة الإسلامية في العصر العباسي**، ص 298.

(4) ابن كثير :**البداية والنهاية10**/187،عبد العزيز بن عبد الله الحميدي:**التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**، ص 233-234.

(5) **الخراج** ،ص 111-112.

3/ استقلالية القضاء:

يعتبر الخليفة المنصور أول من فصل القضاء عن سلطة عماله،"فكان أول من ولى القضاة الأمصار من قبله"[1] وكان القضاة الذين يختارهم الخلفاء يكتسبون الاستقلال في الرأي ولا يستطيع الولاة أن يتدخلوا في شأنهم.[2]

ومن مظاهر استقلالية القضاء في اتخاذ الأحكام،وتقدير الأمور بقدرها.مما يدل على الانفصال البين في شخصية القاضي عن قبضة الخلفاء والولاة والأمراء.فتارة يشتد القاضي في الحكم بين يدي الخليفة،وتارة يحكم بحكم في صالح خصوم الخليفة ذاته،وتارة يعتذر القاضي عن تولي القضاء أصلا ويكون لذلك دوافع وموانع شتى.

فالخليفة المنصور دعا أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع.فقال له المنصور:"أترغب عما نحن فيه؟ قال:لا أصلح.قال:كذبت.قال أبو حنيفة:فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح.فإن كنت كاذبا فلا أصلح.وإن كنت صادقا فقد أخبرتكم أني لا أصلح.فحبسه،وظل أبو حنيفة على امتناع تولي القضاء إلى أن مات."[3]

هذا واحد من مواقف الإباء التي درج عليها أبو حنيفة-رحمه الله-يرفض تولي منصب القضاء،حيث يؤتمر بأمره وينتهى بنهيه.ذلك مخافة الوقوع في حرج ضغط سياسي أو أن تطوع له نفسه حكما بغير العدل.وهو من لم يعرف عنه غير العدل.فرفض مع ما في هذا المنصب من امتيازات وأولويات. والأمثلة في فترة البحث كثيرة عن العلماء والقضاة الذين رفضوا تولي القضاء،بل وهربوا منه هروبا.

---

(1) **أبو يوسف** :**الخراج** ، ص 112.

(2) اليعقوبي:**تاريخ** 122/2،عبد العزيز الدوري:**العصر العباسي الأول** ،ص 79.

(3) ابن تغري بردي:**النجوم الزاهرة2**/13-14،حسن محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**،ص 123 ، حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام2**/239.

ومما يدل على سلطة القاضي،التي ربما كانت توازي سلطة الخليفة أو تزيد. ما ذكره الخطيب البغدادي من موقف القاضي شريك بن عبد الله النخعي الكوفي مع أمير المؤمنين موسى بن عيسى [1] موقفا أظهر فيه الحق،ورد إلى المرأة المظلومة بستانها ولم يقبل شريك [2] إلا بمجيء الأمير إلى دار القضاء وجلوسه إلى جانب خصمه واعترافه بخطئه ورده البستان إلى المرأة.[3]

وما كان من عظم نفس القاضي في هذه الفترة،مواقف مشهودة تبرز بإيضاح انفصال القضاة بشكل فعلي عن أي تبعية وتنصلهم من أي ضغط كان.

فقد دخل سوار القاضي[4] على أبي جعفر المنصور فجلس ولم يقبل يده.وعطس أبو جعفر ولم يحمد الله،فلم يـ مته.ثم عطس فحمد الله فشمته ثم نهض سوار فأتبعه أبو جعفر بصره.فقال:أتزعمون أن هذا يحابي؟والله ما حابى في عطسة.[5]

وقال سوار في موقف آخر:"ما تركت في نفسي شيئا إلا كلمت به أبا جعفر."[6] ولم تكن شدة القاضي سوّار في إحقاق الحق إلا دليلا على مكانة القاضي في الدولة الإسلامية.فقد كتب أبو جعفر المنصور مرة إلى سوّار في شيء عنده خلاف الحق فلم ينفذ سوار كتابه.وأمضى الحكم عليه.فاغتاظ أمير المؤمنين عليه وتوعده.فقيل له:يا أمير المؤمنين،إنما عدل سوّار مضاف إليك وتزيين خلافتك .فأمسك.[7]

---

(1) هو موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي الهاشمي:أمير من آل عباس.كان جوادا عاقلا،ولي الحرمين للمنصور والمهدي.ثم ولي اليمن للمهدي.وولي مصر للرشيد.ثم رجع إلى بغداد فأقام فيها إلى أن توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.(ابن تغري بردي:**النجوم الزاهرة**2/66، الزركلي :**الأعلام** 289/7)

(2) هو شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي الكوفى القاضي أدرك عمر بن عبد العزيز وسمع أبا إسحاق السبيعي .. ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى وإسحاق الأزرق ... وكان شريك ولد ببخارى بأرض خراسان وكان جده قد شهد القادسية. ولد سنة خمس وتسعين . يقول ابن المبارك يقول كان شريك أحفظ لحديث الكوفيين من سفيان يعنى الثوري(البغدادي:**تاريخ بغداد** 279/9-281) وانظر الذهبي :**سير أعلام النبلاء** 159/6.

(3) البغدادي :**تاريخ بغداد** 291/9.

(4) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة، من بني العنبر، من تميم، أبو عبد الله العنبري، من أهل البصرة، نزل بغداد وولِيَ بها قضاء الرصافة، له علم بالفقه والحديث، وكفّ بصره في أواخر أعوامه، توفي ببغداد سنة 245.انظر ترجمته في: البغدادي:**تاريخ بغداد**: 9/ 210،ابن سعد:**الطبقات**9/260، الزركلي:**الأعلام** 213/3.

(5) وكيع:**أخبار القضاة** 61/2.

(6) المصدر نفسه ،ص 62.

(7) المصدر نفسه ، ص60.

وقد روى المؤرخون روايات كثيرة تبين عدل المهدي وحرصه على إصلاح قضائه،ولكن ما روي في حرص قضاته على ذلك كان أشد وأظهر.

فقد تقدم المسور بن مساور بشكواه فقال:ظلمني وكيل المهدي،وغصبني ضيعة لي فأتيت سلاما[2] صاحب المظالم وأعطيته رقعة مكتوبة فأوصلها إلى المهدي وعنده عمه العباس بن محمد وابن علاثة وعافية المهدي بإدخاله،وسأله عن مظلمته فأخبره بها.فقال له المهدي:ترضى بأحد هذين؟فقال:نعم.فقال:تكلم. فقال مساور:أصلح الله القاضي،إن هذا ظلمني في ضيعتي وأشار إلى المهدي.فقال:ضيعتي في يدي.فقال مساور:أصلح الله القاضي،سله صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها؟ فقال المهدي:بعد الخلافة.فقال القاضي:أطلقها له.فقال المهدي:قد فعلت."[3]

ويذكر ابن واردان موقفا للقاضي أبي يوسف نعتبره من الأدلة على انفصال سلطة القاضي عن سلطة البلاط.وفي هذا الموقف رفض قاضي القضاة شهادة جعفر البرمكي[4]،فاشتكى هذا الأخير إلى الخليفة هارون الرشيد،وقال له:حيث كنت لا أصلح شاهدا،فالوزارة علي حرام.وأخبره الخبر.فأمر بإحضار أبي يوسف من ساعته.فجاء.فقال له الرشيد لم تقبل شهادة وزيري؟قال:يا أمير المؤمنين،سمعته يقول لك:"أنا عبدك يا أمير المؤمنين" فإن كان عبدا حقيقة،فالعبد غير مقبول الشهادة،وإن كان غير ذلك فقد أخبر بما ليس بواقع فلا تقبل شهادته.فأعجب الرشيد بجوابه الظريف وتخلصه به.وقال له:" مثلك من لا تأخذه في الله لومة لائم.وعظمه غاية التعظيم.[5]

---

(1) هو القاضي سلام بن مسكين بن ربيعة،الإمام الثقة.أبو روح الأزدي،النمري،البصري.روى عن الحسن،ويزيد ابن عبد الله بن الشخير،وعقيل بن طلحة،وثابت البناني.حدث عنه:ابن المهدي،والأصمعي ،وأبو نعيم وموسى ابن داود الضبي.كان من أعبد أهل زمانه.مات سلام سنة سبع وستين ومائة.(الذهبي:**سير أعلام النبلاء** 7/414-415)

(2) الطبري:**تاريخ** 8/173-174،الخربوطلي:**المهدي العباسي**، ص 58-59.

(3) هو أبو الفضل جعفر بن يحي بن خالد البرمكي.وزير هارون الرشيد.كان من علو القدر ونفاذ الأمر وعظم المحل عند هارون الرشيد بحالة انفرد بها.ولم يشارك فيها.غير أن الرشيد عندما لأضمر السوء بالبرامكة أوقع بهم في الحادثة المشهورة بنكبة البرامكة سنة 187هـ(ابن خلكان:**وفيات الأعيان** 1/328 وما بعدها).

(4) واردان:**تاريخ العباسيين**،تحقيق:المنجي الكعبي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، ط1،1993، ص103-104.

الفصل الثالث : دعوات الإصلاح الاقتصادي

أولا : الإصلاح الزراعي.

ثانيا : السياسية المالية للخلفاء العباسيين الأوائل.

ثالثا : مظاهر الإصلاح المالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تقديـم:

دعا العباسيون الأوائل إلى المساواة والإصلاح والقضاء على الفساد الذي استشرى في العصر الأموي.وحتى لا يشعر الناس بأن ما نادى به أصحاب الدعوة العباسية حقيقة قائمة فعلا،وليس مجرد كلام أطلق في موجة الحماس من أجل الوصول إلى الحكم لا أكثر.فقد بدأ الخلفاء العباسيون الأوائل في تنفيذ سياسة الإصلاح الاقتصادي بطريقة فعالة.لا سيما الإصلاحات الخاصة بالخراج وتنظيم جمعه بأسلوب عادل.

في ذلك ابنه المهدي بإجراءات تنظم الاقتصاد وتجنبه الفوضى.وسار على نهج الإصلاحات الاقتصادية الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد،فطلب من قاضي قضاته أبي يوسف أن يحل له جملة من الإشكالات الاقتصادية.فأجابه عنها في كتاب بمثابة دستور اقتصادي تسير عليه الدولة.

والملاحظ أن هؤلاء الخلفاء العباسيين الأوائل،قد وجه إليهم أكثر من تقرير،وأكثر من دعوة كل منها تمثل برنامج عمل،وخطة تنموية اقتصادية تعالج المشكل وتقترح الحل.وتستشرف المستقبل.

فوجهت للمنصور رسالة الصحابة من قبل ابن المقفع،ووجهت للمهدي رسالة عبيد الله بن الحسن العنبري،ولهارون الرشيد كان كتاب الخراج لأبي يوسف.

أولا: الإصلاح الزراعي

 ن الكريم قد وضع الأساس العملي للنشاط الاقتصادي بمختلف نواحيه ، خاصة المجال الزراعي .على أنه من المعروف أن التعريف الحديث للزراعة ما هو إلا استغلال الأرض واستقرار المجتمع،وايجاد سبل القوة المادية والاقتصادية،وخدمة الأرض وتوجيه الإنتاج الزراعي واستغلاله بعقلانية.بغية تجنب الأزمات الاقتصادية ، والتي في معظمها ليست ناتجة عن قلة ما تنتجه الأرض من خيرات،ولكنها ناتجة عن سوء التوزيع.

 وفي العصر العباسي الأول،نماذج عن المشاكل التي عانى منها قطاع الزراعة .مما استدعى وجود مصلحين يرصدون هذه المشاكل ويشخصون المساوئ،ويقترحون لها الحلول.ويتوجهون بها إلى أولي الأمر من الخلفاء والأمراء وغيرهم.

1/ نظام المقاسمة.

فطن العباسيون الأوائل إلى أن الزراعة هي أهم مورد من موارد الدخل في الدولة. وكانت فلاحة الأرض يقوم بها السكان المحليون الذين تحسنت حالتهم إلى حد كبير في ظل الدولة العباسية.[1]

لما زاد في انتباه الخلفاء وصرف نظرهم إلى خدمة الأرض،والعناية بها وبمن يخدمها كمصدر اقتصادي ساس،وجود بعض المقترحات العلمية التي تحمل في طياتها تقارير ميدانية عن الزراعة والمزارعين وعمال الضرائب الفلاحية وغيرهم.

ومن أهم هذه الإصلاحات الاقتصادية المبكرة التي باشرها الخليفة المنصور واستكملها خلفاؤه من بعده،نظام المقاسمة.الذي اقترحه عليه كاتبه عبد الله بن المقفع،فصارت الضريبة على الإنتاج الفعلي.[2]

ومعنى المقاسمة أن المزارع يقدم إلى الحكومة نصف غلة الأرض. وإذا صعب عليه إرواؤها دفع الثلث أو الربع أو الخمس تبعا لحالة الأرض.أما الكروم والبساتين والنخيل فكانت تقوم بالمال،ويدفع عنها النصف أو الثلث[3]

يقول ابن رجب الحنبلي:"ولم يزل السواد على الخراج، إلى دولة بني العباس.فجعله المنصور مقاسمة.حيث رخصت الأسعار،فلم تف الغلات بخراجها.وخرب السواد فجعله مقاسمة،ثم تبعه على ذلك ابنه المهدي.وجعله مقاسمة بالثلث فيما سقي بالدوالي،وبالربع فيما سقي بالدواليب والنواضح."[4] فخراج المساحة يتناسب وثبات الأسعار،أما في حال تقلب الأسعار فالأمر مختلف.[5]

---

(1) الخربوطلي:**المهدي العباسي**، ص70.

(2) صابر حسين:**الدولة الإسلامية في العصر العباسي**، ص 74 ،محمد عبد الحي شعبان:**الدولة العباسية** ،ص39.

(3) الخربوطلي:المرجع السابق.

(4) أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(ت795هـ):**الاستخراج لأحكام الخراج**،دار الكتب العلمية، ط1 ،1405 هـ /1985م،ص 18.

(5) غيداء :المرجع السابق، ص 187.

ويفهم من الطبري أن الدافع للإصلاح كان الزيادة في ضمان وارد ثابت للجزية تحسبا للطوارئ.[1] وهذه النسب واختلافها تثير التساؤل،إذ يبدو الحد الأعلى للمقاسمة على الثلث منسجما مع الفقهاء. وبموجبها يكون الثلث الثاني لمعيشة الفلاح وأسرته،والثلث الثالث للصيانة والحرث.[2]

و الثابت تاريخيا أن المنصور توفي قبل أن يتم هذا الإصلاح فقاربه المهدي ووسع نظام المقاسمة ليشمل جميع المنتجات الزراعية في أرض السواد. كما أمر الخليفة المهدي باقتطاع نفقات الزراعة قبل تحديد نصيب بيت مال الخلافة.وأدخلت بعض التعديلات لاعتبار البعد عن الأسواق عند التقدير.[3]

والظاهر أن المهدي لم يقدم على تطبيق هذا النظام إلا بعد الوقوف على مساوئ النظام السابق،وفعالية النظام الجديد.من خلال الدراسة التي قام بها كاتبه ووزيره معاوية بن يسار عن أوضاع أهل الخراج.والحيف الذي يصيبهم إن ألزموا مالا معلوما أو طعاما محددا.نظرا إلى تذبذب الأسعار،وتضمنت الدراسة اقتراحات عملية عدة لإصلاح أوضاع الخراج مع مراعاة أوضاع الفلاحين وظروفهم المعيشية.[4]

الأمر الذي أشار إليه ابن المقفع من قبل محذرا من أن التذبذب في الأسعار ينعكس على الخراج وبالتالي يؤثر في الخزينة بشكل مباشر فقال:

"وإن هذا الخراج وإن لم يكن رائجا لغلاء السعر،فإنه لابد من الكساد والكسر،وإن لكل شيء درة وغزارة،وإنما درور خراج العراق بارتفاع الأسعار[5]

وفي ذلك تنبيه لانخفاض الأسعار آنذاك وتأثير ذلك في الخراج.فقد رخصت الأسعار في أيام المنصور فكانت الغنم تباع بدرهم والحمل بأربعة دوانق،وينادى على لحم الغنم كل ستين رطلا بدرهم،ولحم البقر كل تسعين رطلا بدرهم،والتمر كل ستين رطلا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم،والسمن ثمانية أرطال بدرهم...[6]

---

(1) عبد العزيز الدوري:**أوراق في التاريخ الاقتصادي 2**/151.

(2) أبو يوسف:**الخراج**، ص 48.يحي بن آدم القرشي(ت 203هـ):**الخراج**،تحقيق حسين مؤنس،دار الشروق، ص 58. عبد العزيز الدوري:المرجع السابق /151

(3) الجهشياري:**الوزراء** ،ص 151.صابر حسين: المرجع السابق، ص75.عبد الحي شعبان:المرجع السابق، ص40.

(4) غيداء خزنة كاتبي:**الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري**،مركز دراسات الوحدة العربية،ط 2، بيروت،1997، ص 185.

(5) ابن المقفع:**رسالة الصحابة**، ص 37.

(6) ابن الجوزي:**المنتظم** 348/7.

كما عني المنصور إلى جانب ذلك بتنظيم ديوان الخراج،حتى أصبح من أهم دواوين الدولة وأكبرها أثرا.وكان رئيسه يؤخذ رأيه في كافة الأمور المتعلقة بالخراج قبل أن يتخذ الخليفة أو الوزير فيه قرار.وبلغ من اهتمام المنصور بهذا الديوان الهام أن خصص له مكانا في بغداد ليكون على مقربة منه،خاضعا لإشرافه المباشر.[1]

وربما كانت هذه العناية التي أبداها المنصور بشؤون مملكته،أحد العوامل المباشرة في زيادة الثروة الأهلية.وظهور تباشير الغنى،واتساع موارد الخراج،والرخاء العام الذي تعددت مظاهره بين الناس.وفي خلافة المهدي اقترح الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار[2]على الخليفة ابتداء،أن يسير في معاملة أهل السواد بمثل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر" فإنه سلمها أهلها بالنصف".[3]

كما اقترح مقاسمة أهل السواد وفقا لوسائل الري،حيث أشار أبو عبيد الله على المهدي أن يجعل أرض الخراج مقاسمة بالنصف إن سقي سيحا.وفي الدوالي[4] على الثلث،وفي الدواليب[5] على الربع،لا شيء عليهم سواه.وأن يعمل في النخل والكرم والشجر مساحة خراج.[6]

ا في ما يخص كري الأنهار والعناية به.فقد اقترح معاوية بن يسار على الخليفة الإنفاق عليها من بيت المال.وقال: "إنما وجبت هذه النفقة منه لأن الحافة لا مالك لها.فالنفقة من ذلك ،فإنما هو عائد على بيت المال،فالنفقة واجبة منه"[7]

---

(1) حسن أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**،ص153.

(2) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار،الأشعري بالولاء،أبو عبد الله،من كبار الوزراء.أصله من طبرية.من بلاد الأردن.اشتغل بالحديث والأدب. واتصل بالمهدي العباسي قبل خلافته.فكان كاتبه ووزيره.وكان المهدي يطيعه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه.ولما آلت الخلافة إلى المهدي فوض إليه تدبير المملكة والدواوين.فنهض بالأعباء وجعل للوزارة شأنا.وكان أوحد الناس في عصره حذقا وخبرة وكتابة.وصنف كتابا في الخراج،ذكر أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده.وهو أول منصنف كتابا في الخراج.استمر إلى أن تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي.فأفسد ثقة المهدي به.فعزله بعد أن قتل ابنا له،بتهمة الزندقة.وقبض عليه المهدي فسجنه،فما زال في السجن حتى توفي سنة 170هـ (الزركلي:**الأعلام** 262/7وانظر الذهبي:**سير أعلام** 398/7)

(3) أبو الفرج قدامة بن جعفر:**الخراج وصناعة الكتابة**،شرح وتعليق:محمد حسين الزبيدي،دار الرشيد للنشر،بغداد ، 1981، ص223.

(4) الدوالي:مفردها دالية وهي دولاب يشغله رجال.انظر:عبد العزيز الدوري،**تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري** ،ص 62.

(5) الدواليب:مفردها دولاب،وتشبه النواعير،وهي الساقية عند العامة.انظر:مرتضى الزبيدي ، **تاج العروس** 247/10.

(6) الماوردي: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**،دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان،ط1، 1410هـ/1990م ، ص97-98.

(7) قدامة بن جعفر:**الخراج وصناعة الكتابة**، ص248،غيداء:**الخراج** ،ص 186.

لكن يظهر أن المهدي لم يأخذ بالاقتراحات جميعها فقد زاد حصة بيت المال بنسبة عشرة بالمائة على ما كان مقترحا.فأصبحت ستين بالمائة بدلا من خمسين بالمائة.كما لم يأخذ باقتراح كاتبه بخصوص كري نهار.بل اشترط على المزارعين المستفيدين من النهر الذي حفره-نهر الصلة- أن يقاسموا عليه على الخمسين،خمسين سنة،فإذا انقضت الخمسون لم يجروا على الشرط المشترط عليهم.[1]

وفي خلافة الرشيد أشار القاضي أبو يوسف على الخليفة الرشيد بنظام المقاسمة هذا، وقال:" لم أجد شيئا أوفر ببيت المال،ولا أعفى لأهل الخراج من التظالم فيما بينهم،وحمل بعضهم على بعض،ولا أعفى لهم من باب ولاتهم وعمالهم،من مقاسمة عادلة حفيفة للسلطان فيها رضى،ولأهل الخراج من التظالم فيما بينهم وحمل بعضهم على بعض راحة وفضل.[2]

كما أشار أبو يوسف بمقاسمة الحنطة والشعير وفقا لوسائل الري،فعلى الخمسيْن للسيح، وعلى خمس ونصف للدوالي.وأشار بمقاسمة الكروم والنخل والرطاب والبساتين على الثلث، وغلال الصيف على الربع.على ألا يؤخذ بالخُرْص[3] في شيء من ذلك. ولا يحزر [4] عليهم شيء منه يباع من التجار،ثم تكون المقاسمات في أثمان ذلك أو يقوّم ذلك قيمة عادلة. لا يكون فيها حمل على أهل الخراج،ولا حزر على سلطان."ثم يؤخذ منهم ما يلزم من ذلك. أي ذلك كان أخف على أهل الخراج فعل ذلك بهم،وإن كان البيع وقسمة الثمن بينهم وبين السلطان أخف فعل ذلك بهم"[5] ويبين الجدول التالي النسب التي اقترحها أبو يوسف[6]:

---

(1) قدامة بن جعفر:**الخراج وصناعة الكتابة**، ص248 ،غيداء:**الخراج** ،ص 186.

(2) أبو يوسف :،ص49-50.

(3) الخرص:تقدير ما على النخل من الرطب تمرا.انظر ابن منظور،لسان العرب 21/7، و اسماعيل ابن حماد الجوهري،:**تاج اللغة وصحاح العربية**،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت، 1979،1035/3.

(4) الحرز:التقدير والخرص.قال ابن سيدة:حرز الشيء يحرزه حرزا:أي قدره بالحدس.انظر :أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي،**مفاتيح العلوم**،حققه ووضع فهارسه:إبراهيم الأبياري،دار الكتاب العربي،بيروت، 1404 هـ/1984م،ص 87.

(5) أبو يوسف:**الخراج** ،ص 50.

(6) محمد محمد مرعي:**النظم المالية والاقتصادية** ،ص 131.

أنواع الأرض	النسب في عهد المهدي	النسب كما اقترحها أبو يوسف
-الأراضي التي تسقى بالدوالي سيحا وهي معظم أراضي العراق	النصف	الخمسان
-أراضي النخل والشجر	خراج محاسبة	الثلث
-غلال الصيف وهي تسقى بالدواليب	الربع	الربع
-الأرض التي تسقى بالدواليب	الثلث	ثلاثة أعشار

وهكذا اقترح أبو يوسف نسب المقاسمة تختلف عن النسب التي اقترحها معاوية بن عبيد الله، مع ملاحظة أن أبا يوسف دعا إلى تطبيق المقاسمة في جميع الغلات والأشجار،فلم يستثن شيئا منها.[1]

أما النهي عن الخرص والحزر،فقد يعطي الانطباع بالتوسع في استعماله،ليشمل الغلات جميعها. فقد كان مألوفا خرص النخيل والكروم.فعن مالك قوله:"السنة أن لا تخرص من الثمر إلا النخل والعنب."

أما خرص الحنطة والشعير والحبوب الأخرى فكان واردا.[2]

وتابع أبو يوسف اقتراحاته لإصلاح أوضاع الخراج وجبايته.فأخذ بعين الاعتبار صنف الأرض لتحديد الضريبة المفروضة على بعض الغلات،كالزعفران والجوز والبندق واللوز والفستق وقصب السكر وقصب الذرة.فإذا كانت في أرض خراج فعليها الخراج،وإن كانت في أرض عشر فتدفع العشر.[3]

واستثنى أبو يوسف بعض المنتجات الحيوانية كالحطب والحشيش والتبن من ضريبتي العشر والخراج.[4]

---

(1) غيداء:**الخراج** ،ص188.

(2) أبو عبيد بن سلام(ت224هـ):**الأموال**،تحقيق وتعليق محمد خليل هراس،دار الفكر،القاهرة،1401هـ/1981م،ص 433.

(3) غيداء:المرجع السابق ، ص191.

(4) أبو يوسف :**الخراج**،ص 55-56.

ويلاحظ أن أبا يوسف نبه للمخالفات،وحاول وضع التدابير المالية.على أسس مقبولة أو عادلة. ولكن يبدو مرة أخرى أن الدولة لم تأخذ بالاقتراحات جميعها. وبالتحديد في ما يخص النسب المقترحة للمقاسمة.[1]

فيذكر الطبري أن في أحداث سنة 172هـ فيشير إلى أن الخليفة هارون الرشيد وضع عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف.[2]

وهذا يعني تخفيف حصة بيت المال إلى النصف أي 50 % بعد أن كانت 60 % واستمر هذا الإجراء قائما حتى سنة204هـ حيث أمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين أو40 % وكان ذلك بعد عودته إلى بغداد قادما من خراسان.[3]

والملاحظ أن الدولة أوكلت مهام التعديل إلى الفقهاء،لأسباب قد تعود إلى مقدرة الفقهاء على التمييز بين الأراضي الخراجية والعشرية في وقت أصبح التمييز بينهما أمرا صعبا. ومن جهة أخرى،لإضفاء مزيد من الشرعية على إجراءات التعديل.[4]

ومهما يكن من أمر، فإن هذه المقترحات تضاف إلى سابقتها.لتعطي لنا صورة عن المنجزات التي أخذت بها الدولة الإسلامية وتبناها ضميرها الحي بالتفكير فيها ومحاولة تحقيقها تدريجيا.[5]

2/ تخفيف الضرائب على الفلاحين.

يبدو أن خدمة الأرض ليست مسؤولية الفلاح وحده.فهو وإن كان المسؤول المباشر عن الزراعة بمراحلها المختلفة.إلا أنه وجب أن يجد يد العون من الدولة.سواء بالمساهمة المالية أو العينية أو المعنوية لتشجيعية.فهو وإن لم يلق اهتماما كافيا سيتنصل هو الآخر من خدمة أرضه،ويضعف اهتمامه بها حتى يهجرها كليا.

وفي العصر العباسي الأول،فقد كان خلفاء بني العباس الأوائل يهتمون بالزراعة وأمور المزارعين.بل ويقبلون مشاريع وخطط تنموية تهدف إلى إصلاح الزراعة.وربما ألح بعضهم على تفصيل مسائل الزراعة في صيغة إشكالات يطلب الإجابة عنها.كما فعل الخليفة هارون الرشيد مع قاضيه أبي يوسف،أهم ما كان يشغل بال الفلاحين هو أمر الضرائب.

---

(1) غيداء:**الخراج** ،ص191.

(2) الطبري:**تاريخ** 236/8، ابن الجوزي :**المنتظم** 343/8.

(3) الطبري:المصدر نفسه ،ص 576،غيداء:المرجع السابق ،ص192.

(4) المرجع السابق ،ص 202.

(5) بشار قويدر:**الإصلاح السياسي والاجتماعي** ،ص58.

فقد سعى العباسيون الأوائل إلى تخفيف الضرائب التي كانت ترهق كواهل الفلاحين.مما يهجرهم من راضيهم. نازحين إلى المدن وإلى قطاعات الشغل الأخرى.مهملين زراعاتهم ومواشيهم بسبب الضرائب باهضة لا سيما في نهاية العصر الأموي.ومع حلول العصر العباسي تحسنت أحوال الفلاحين إلى حد ما من هذا الجانب. غير أن هناك نقائص لم تزل حاصلة تشكل خللا في منظومة الدولة الاقتصادية.

فهذا ابن المقفع ينطلق من نقد الوضع القائم في ميدان الجباية.فيلاحظ أن الخراج يجبى على غير قانون. وإن لكل وال أو عامل يقدر على النواحي التابعة له مقادير تختلف عن التي يفرضها آخرون في مناطق أخرى.[1] فقال:" فليس للعمال أمر ينتهون إليه ويحاسبون عليه، ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الأرض..."[2]

ولهذا ينصح ابن المقفع بإصدار قانون ضريبي واحد يطبق في النواحي ويعتمد سجلات مضبوطة.[3] فهو يشكو في رسالته للخليفة المنصور الفوضى في الخراج. وابن المقفع من عادته أن يحدد المشكل ثم يصف له الحل المناسب.فاقترح للإصلاح أن تمسح الأرض ويفرض عليها المال المناسب.ويعرف كل مالك ما عليه ويدون ذلك في سجلات تحفظ أصولها في دواوين الدولة.[4] فيقول:"فمع اختلاف الأراضي جودة،ليس مقررا على كل وحدة منها مبلغ معين،ولا سجل ذلك في دفاتر يحفظ أصلها، ويحصل بمقتضاها."[5] فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والأرضين وظائف معلومة، وتدوين الدواوين بذلك،وإثبات الأصول، حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها وضمنها،ولا يجتهد في عمارة إلا إذا كان له فضلها ونفعها.."[6]

---

(1) محمد عابد الجابري:**العقل السياسي** ،ص 347، بشار قويدر:المرجع السابق ،ص 56.

(2) ابن المقفع :**رسالة الصحابة** ،ص 45.

(3) محمد عابد الجابري:المرجع السابق ،ص347.

(4) أحمد أمين:**ضحى الإسلام** 213/1، محمد محمد مرعي:**النظم المالية والاقتصادية** ،ص60.

(5) ابن المقفع :المصدر السابق، ص45.

(6) المصدر نفسه ،ص45-46.

وفي هذا " صلاح للرعية، وعمارة للأرض،وحسم لأبواب الخيانة وغشم العمال."[1]وهذا الإصلاح الجبائي الجذري يرمي –كما هو واضح- إلى الانتقال باقتصاد الدولة من الاقتصاد الريعي(غنائم الفتوحات وخراج الأراضي المفتوحة والجزية) إلى الاقتصاد الخراجي (الذي قوامه ضريبة موحدة تفرض على الجميع وبالتساوي) ويكون مقدارها في الغالب مستوعبا لما يفضل من انتاج الفلاحين بعد إسقاط المقادير الضرورية لعيشهم.[2]

فالمشكل إذن ليس مشكل أرض أو إنتاج،وإنما هو مشكل تسيير وإدارة.فمسح الأرض وتسجيل مابها يحدد حدود الأراضي فيتجنب مساوئ الخصومات من جهة،ومن جهة أخرى تحدد مسؤولية الفلاح على أرضه بحيث تلزمه خدمتها.

فكان من أهم الإجراءات التي اتخذها المنصور أنه عزل موسى بن مصعب لتقاعسه عن إخماد ثورة الأكراد في المنطقة.وعين خالد بن برمك واليا على الموصل والجزيرة سنة 158هـ /774م فبدأ ولايته بتطبيق تعليمات للدولة تقضي بإعفاء الفلاحين من سداد ديونهم القديمة والجديدة،وبهذا أعفت الدولة نفسها من مسؤولية النظر في أي شكوى تقدم في هذا الخصوص.[3]

هذا من جهة ،ومن جهة أخرى ولتجنب أعمال الشغب التي قد تحصل بسبب إرهاق كواهل الفلاحين بالضرائب.كما ذكر ثيوفانس في إشارته إلى أحداث سنة 140هـ/757م حصول ثورة،ويوضح أن سببها زيادة الضرائب على المسيحيين.[4]

فقد ألغى الخليفة المنصور الضريبة التي كانت تفرض على الحنطة والشوفان وأحل محلها ضريبة نوعية فرضت بنسبة خاصة من المحصول مع بقاء الضريبة النقدية على النخيل والفواكه وأشباهها.[5]

---

(1) ابن المقفع:**رسالة الصحابة** ،ص46.

(2) الجابري:المرجع السابق ،ص347-348.

(3) غيداء:**الخراج** ،ص 221.

(4) المرجع نفسه ،ص202،وانظر: The confessor theophanes the cronologicle of theophanes an english translation and notes by harry turtledove (philadilphia university of pennsylvania press 1981 p 119.) ،

(5) علي إبراهيم حسن :**التاريخ الإسلامي العام**،مكتبة النهضة المصرية،ط3، 1963،ص 575.

وأضاف أبو جعفر إجراء آخر هو أن أرسل المعدلين إلى الشام لمسح الأراضي. والتمييز بين أراضي الخراج وأراضي العشر،في محاولة لوضع حد للتجاوزات على حقوق بيت المال.[1]

وكان الخليفة المنصور لا يقبل من دافعي الضريبة إلا النقود الجيدة.وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية.ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها.[2]

وفي خلافة المهدي وسع تطبيق نظام المقاسمة،فقد حققت فوائد كثيرة من هذا الإصلاح.إذ توحد النظام في جميع البلاد وضمنت الدولة دخلا ثابتا.واستفاد الزراع وتجنبوا الأزمات التي تنجم عن الانخفاض المفاجئ في أسعار الغلة،ولا ريب أن ذلك كله أدى إلى اطمئنان الناس وزيادة الإنتاج وارتفاع مستوى الدخل. وحال بين الفلاحين وبين عبث العمال وتشددهم.[3]

روى الجهشياري أن المهدي أمر العمال بالكف عن إلحاق الأذى بالناس أثناء الجباية. كما نهى عن تحصيل المتأخرات .واستجابة لهذا الاتجاه قام خالد بن يحيى البرمكي حين ولي أمور فارس في عهد المهدي بتقسيط الخراج وأعفاهم من خراج الشجر.[4]

قال جعفر بن يحيى:

"الخراج عمود الملك،وما استغزر بمثل العدل،ولا استنزر بمثل الظلم.وأسرع الأمور في خراب البلاد تعطيل الأرضين،وهلاك الرعية،وانكسار الخراج بالجور والتحامل."[5]

واهتم المهدي بتخفيف الأعباء عن المزارعين بتخفيض الضرائب.وتنظيم جبايتها.[6]فكان أهل الخراج يعذبون في صنوف من العذاب.فيذكر ديونيسيوس أن العمال فرضوا على الفلاحين وعلى غيرهم من العاملين تقديم مواد عينية.فكتبوا على بعضهم تقديم ألف جريب من القمح وعلى غيرهم ألفين وعلى بعض آخر خمسة آلاف جريب أو عشرة آلاف...[7]

---

(1) غيداء:**الخراج** ،ص 202.

(2) البلاذري:**فتوح**، ص 657.

(3) حسن أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**،ص 154-155.

(4) الوزراء ،ص 111،حسن أحمد محمود:المرجع السابق.

(5) ابن العنابي:**السعي المحمود في نظام الجنود**،ص 214.

(6) الخربوطلي:**المهدي العباسي**، ص 72.ويعتبر المهدي أول من أنشأ ديوان زمام الأزمة.وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر.فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان.فاتخذ دواوين الأزمة وولى على كل منها رجلا.ولم يكن لبني أمية دواوين أزمة.)الطبري:**تاريخ** 167/8،الجهشياري:**الوزراء** ،ص 106.

(7) غيداء:الخراج ،ص 223.

فقد بالغ عمال الجباية في التقدير،فزادوا في المساحة كثيرا،فإن كانت مساحة حقل مثلا مائة جريب كتبوها في سجلاتهم ثلاثمائة.وهذا أمر لم يقو عليه المزارعون عموما.وإن باعوا غلالهم وأراضيهم.وأدى هذا الإجراء في الوقت نفسه إلى انتشار نظام الضمان،وتأثيراته السيئة في دافعي الضرائب.(1)

ويعطي ديونيسيوس بعض التفاصيل عن هذا الموضوع.فيذكر أن على الفلاح أن يقدم من خمسين إلى ستين جريبا من الحنطة،وأحيانا سبعين من أجل الحصول على دينار.في حين كانت الحنطة تباع بدينار لكل ثلاثين جريبا.ولم تصل ثمن أربعين جيبا من الحنطة إلى دينار إلا نادرا.(2)

واتخذت الدولة تدابير حازمة شملت مدن الجزيرة،للحد من ظاهرة الهجرة وإعادة الجالين إلى قراهم.إذ يشكل ترك الأرض،مهما كانت الأسباب عبئا على بيت المال،لما ينشأ من تراجع في الوارد،ولكنه يعني بالنسبة إلى العديد من دافعي الخراج.ممن ترد أسماؤهم في سجل الأماكن الجديدة التي هاجروا منها، التخلص ابتداء من دفع الخراج. وبالتالي زيادة العبء على دافعي الضريبة الباقين.(3)

ولما تقلد المهدي الخلافة شاور محمد بن مسلم فيهم.فقال له محمد:

"يا أمير المؤمنين هذا موقف له ما بعده،وهم غرماء المسلمين،فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء" فتقدم إلى أبي عبيد الله بالكتاب إلى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج.(4)

وإن كانت هذه التدابير رفيقة متساهلة،فإن الأساليب المتزامنة،التي كانت تصحب جمع الضرائب كانت تعوض عن أية خسارة تلحق بالخزينة.(5)وعندما أكثر المهدي من الإنفاق والصلات،فرغت الخزائن،حتى كانت بيت المال عرضة للإفلاس، فاحتاجت الخلافة إلى موارد إضافية لتعمير الخزينة.فأشار أبو عبيد الله وزير المهدي بوضع ضريبة الأسواق على الحوانيت.(6)

---

(1) غيداء:**الخراج**، ص 218.وانظر : (cahen fiscalité.propriété antagonismes sociaux en haute mésopotamie au temps des premies abbasides d'aprè denys de tell-mahré"arabica janvier 1954.p 138)

(2) ديونيسيوس التلحمري:**التاريخ المنحول**،ترجمة عن السريانية يوسف متى إسحاق،بيروت،الجامعة الأمريكية ، 1979،ص73.

(3) غيداء:**الخراج**، ص 219، وانظر:cahen fiscalité.propiété p147

(4) الجهشياري:**الوزراء**، ص 103.

(5) محمد عبد الحي شعبان:**الدولة العباسية** ،ص 50.

(6) ياقوت الحموي:**معجم البلدان** 4 /103،البغدادي:**تاريخ** 81/1،ابن الجوزي:**المنتظم** 195/8.

وذلك لما كثر الناس وضاقت عليهم المدينة وقالوا:قد ضاقت علينا هذه الصفوف، ونحن نتسع ونبني لنا أسواقا من أموالنا ونؤدي عنا الإجارة،فأجيبوا إلى ذلك.[1] ومضت هذه الثورة الإصلاحية التي حققت أمل الجماهير،وتمشت مع الشعارات التي رفعها الدعاة في عهد الرشيد الذي عمل على بعد توليه الخلافة على تخفيف عبء الجباية أكثر مما خففه المهدي.فأمر بإلغاء ضريبة العشر التي كانت تجبى من أهل العراق بالإضافة إلى النصف المقرر بحكم نظام المقاسمة.[2]

وكان أمام هارون الرشيد مشكلات مالية،وقضايا اقتصادية،وتساؤلات إدارية ،فطرحها على قاضي قضاته أبي يوسف ،وطلب منه دراستها،واقتراح الحلول لها.ووضع نظم ثابتة دائمة.تحقق العدالة،وتحفظ مصالح الدولة،وأصبح كتاب الخراج دستورا اقتصاديا للدولة العباسية،ومصدرا تاريخيا مهما.[3]

وفيما يتعلق بأمر الضرائب،وجه أبو يوسف نظر الخليفة الرشيد إلى التعسف في جباية الخراج.فيقول:"..ولا يضربن رجل في دراهم خراج،ولا يقام على رجله،فإنه بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد،ويعلقون عليهم الجرار،ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة،وهذا عظيم عند الله،شنيع في الإسلام.[4]

ثم أوصى أبو يوسف بأن يلاحظ في تطبيق التخفيف عن أهل الخراج قدر الإمكان.وعدم الإضرار بالسلطان،ثم يؤخذ منهم ما يلزمهم من ذلك.أي ذلك كان أخف على أهل الخراج فعل ذلك بهم،وإن كان البيع وقسمة الثمن بينهم وبين السلطان أخف،فعل ذلك بهم.[5]

أبو يوسف يرى أن لا يكلف الفلاح بحمولة طعم السلطان ويفترض أنها رسوم نقل طعام السلطان.إذ يجمع الحاصل بعد الدياس والتذرية في مكان قريب ثم يحصل الكيل.[6] ويواجه دافعو الضريبة عبئا آخر هو أجور الكيالين.فكانت تؤخذ من أهل الغلة قبل القسمة وتعني فرز حصة السلطان وحصة الفلاح. [7]

---

(1) الحموي:**معجم البلدان** 103/4،اليعقوبي:**تاريخ** 374/2.

(2) حسن أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ص 155.

(3) محمد محمد مرعي:**النظم المالية والاقتصادية**، ص 11.

(4) أبو يوسف:**الخراج** ،ص 109.

(5) المصدر نفسه، ص 50،غيداء:**الخراج** ،ص 187.

(6) المصدر نفسه ،ص108.

(7) غيداء:المرجع السابق، ص 227.

ويبرر قدامة بن جعفر جعل أجور الكيل على الفلاح فيقول:

"وكذلك الحكم في أجور الكيالين وهو أن تؤخذ من أهل الغلة قبل القسمة و إن كان حكما كتابيا فأصله مردود إلى الفقه،لأنه إذا كان بالكيل يتحصل حصص الجميع كانت أجور الكيالين مأخوذة من أصل الكيل.[1]

 وهكذا فقد حصلت انحرافات في أمور الجباية وتوسع في جباية الرسوم الإضافية لفترات طويلة.أعيت الخلفاء في أمرها رغم تشديد المراقبة على الجباة ومحاسبة العمال.بل لقد أصبح تقليدا أن يضمن الخلفاء في عهود تالية إشارات إلى الرسوم الباطلة.[2] وأصبحت الدولة العباسية في حاجة إلى نظم مالية ثابتة.ودستور اقتصادي محدد،ينظم الايرادات والمصروفات،ويحدد الحقوق والواجبات.ويحل المشاكل القائمة،والتراكمات الماضية.والعلاقات المتشابكة.

غير أن ما يؤخذ على إصلاحات الرشيد أن الأمور ربما زادت تعقيدا.لفرضه ضريبة نقدية ثابتة.[3] لأن فرض ضريبة ثابتة ومحددة على جريب الحنطة والشعير يعني نظريا ثبات الأسعار والإنتاج. ولما كانت الأمور عرضة للتغيير في أغلب الأحيان فإن الأسعار قد ترفع أو تنخفض . والناتج الزراعي قد يزيد حجمه أو يقل تبعا لعوامل بعضها يعود إلى ظروف طبيعية كالجوائح والآفات.وبعضها يعود إلى طبيعة الأرض والبذر والزرع.ومن هذا المنطلق،فإن فرض ضريبة ثابتة على الإنتاج إجحاف بحق المزارعين وبعد عن العدالة.[4]

ومهما يكن من أمر،فإن الإجراءات الجديدة كانت استهداء بتعاليم الثورة.فكان تخفيف الخراج تحريرا لجمهرة الفلاحين من الموالي الذين صنعوا الثورة وأقاموا الدولة.وكما تقدموا سياسيا باشتراكهم في القوات المسلحة وتوليهم وظائف الدولة.انتعشوا اقتصاديا نتيجة هذه السياسة.وأصبحت الحياة الزراعية تقوم على أكتاف الفلاح الحر وإسقاط القيود الاقتصادية التي وضعها الأمويون .وبدأت الطبقات التي تحررت تستغل خبراتها في النشاط الزراعي إلى أبعد الحدود.[5] ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو :هل نفذ الرشيد اقتراحات أبي يوسف؟

---

(1) قدامة بن جعفر:**الخراج وصناعة الكتابة** ،ص 224.

(2) غيداء: **الخراج** ،ص 231.

(3) المرجع نفسه ،ص 224.

(4) غيداء:المرجع السابق،ص224.

(5) حسن أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ص 156.

والحق أن أبا يوسف قد أدى واجبه،ومن العسير أن نحدد مدى تنفيذ الرشيد لمقترحات قاضي قضاته.ولكن الرشيد فعلا بدأ في وضع كثير منها موضع التنفيذ العملي.ولا شك أن نكبة البرامكة سنة 187 هـ قد ساعدته على استرداد سلطته المسلوبة،فنجح في تنفيذ المزيد من وسائل الإصلاح.[1]

3/ استصلاح الأراضي.

استصلاح الأراضي اصطلاح اقتصادي معناه تحويل الأراضي البور إلى تربة صالحة للزراعة.وهو بذلك صورة من صور الجهود التي تبذل للاستفادة الكاملة من الامكانات الطبيعية للبلاد في سبيل تنمية اقتصادها.ويكون إما بتجفيف الأراضي من مستنقعات،أو توفير امكانات الري والصرف لها."[2]

وقد عني خلفاء العصر العباسي الأول بالزراعة وفلاحة البساتين التي قامت على دراسة علمية.بفضل انتشار المدارس الزراعية التي كان لها أثر كبير في إثارة عقول المسلمين.فتوسعوا في البحث النظري.ودرسوا أنواع النباتات،وصلاحية التربة لزراعتها.[3] ملوا على تهيئة الأراضي الزراعية،وحفر الآبار ومد ار،وتوفير المياه،وتوصيلها في قنوات.وعرفت أول قناة بقناة عيسى أو نهر عيسى لأن عيسى قريب المنصور أعاد شقها. وكانت تربط الفرات عند الأنبار شمال غرب دجلة عند بغداد.وكان من فروعها الرئيسية نهر الصراة[4]،وكانت القناة الثانية الكبرى نهر صرصر[5]،الذي ينتهي إلى درجة فوق المدائن[6]

---

(1) محمد محمد مرعي:**النظم المالية والاقتصادية** ،ص89.

(2) **موسوعة السياسة** ، أسسها عبد الوهاب الكيالي،مدير التحرير:ماجد نعمة وآخرون،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1990،13،1/172.

(3) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام** 2/250.

(4) أوله نهر عيسى فوق قرية المحول الكبير بشيء يسير.يمر هذا النهر فيسقي ضياع وبساتين بادوريا،ويتفرع منه أنهار كثيرة،ويدخل بغداد فيمر يقنطرة العباس..إلى أن يصب في دجلة أسفل الخلد بشيء يسير.(سهراب:**عجائب الأقاليم السبعة التي بها العمارة**،اعتنى به هانس فون شريك،طبع في فيينا،بمطبعة أدولف هولزهون،سنة 1347هـ/1929م،ص 132)

(5) وهو نهر كبير،يسقى منه بالدوالي والشواديف وعليه جسر وضياع وقرى،ومصبه في دجلة بين بغداد والمدائن.وهو فوق المدائن بأربعة فراسخ في الجانب الغربي.(سهراب:المصدر نفسه،ص124)

(6) المدائن:مدينة صغير جاهلية كسروية.آثارها عظيمة آياتها قائمة.وقد نقل عامة أبنيتها إلى بغداد.وهي مدينة على مرحلة من وكانت مسكن الأكاسرة ،وبها ايوان كسرى المشهور.(ابن حوقل :**المسالك والممالك** ،طبع بمدينة ليدن المحروسة،سنة1872 م،ص 167)

والثالثة نهر الملك.وهو نهر كبير أضعاف نهر صرصر،وعليه جسر تجري فيه السفن كان يصب في دجلة .[1] ومد المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة.وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات،وجرها إلى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها.محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها.وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض،وتجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في وقت واحد.[2]

ولما كان ماء الفرات لا يكفي لري أراضي السواد أو يساعد على خصبتها،عمل أبو جعفر على تنظيم وسائل الإرواء بشق كثير من الجداول والترع.على حين أمكن الاحتفاظ بماء دجلة لإرواء الأراضي الواقعة على شاطئه الغربي.وعلى ساحل الخليج الفارسي.مما أمكن في إرواء جميع الأراضي الممتدة بين الصحراء العربية وجبال كردستان وتحويلها إلى أرض نضرة تدر على أهلها الخير والماء.[3] وأنشأ المنصور في بغداد شبكة من القنوات،وعقد فوقها جسور،وشيد من المنشآت المائية والتحصينات،ما يشير على الناس سبل العيش الأمين هناك[4]

ومما زاد في ربط الفلاح بأرضه،وتشجيعه على خدمتها.أن حراثة الأرض واستثمارها واستغلالها ظل بأيدي أهل البلاد الأصليين الذين أخذت أحوالهم تتحسن نوعا ما بعد هذا العهد الجديد.فعاد العمران إلى المزارع المهجورة،والقرى الخربة في كثير من أنحاء الدولة.وأخذت تنتعش هذه الزراعة تدريجيا.[5]

غير أن اهتمام المنصور وانشغاله في تهدئة الأوضاع السياسية واستصلاح الأراضي إلا ما كان مما ذكرنا.

أما في عهد الخليفة المهدي،فقد مهد له أبوه المنصور جميع السبل لخلافة مستقرة ومزدهرة.فاهتم المهدي بإصلاح جميع القطاعات التي حصل فيها الخلل،أو ورد فيها اقتراح بإصلاحها.كما أعاد حفر كثير من الأنهار التي كانت موجودة في عصر البابليين ثم اندثرت وعفا عليها الزمن.[6]

---

(1) ابن حوقل:**المسالك والممالك**،ص166.

(2) البغدادي:**تاريخ بغداد** 79/1.

(3) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام** 249/2.

(4) بروكلمان:**تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ص178.

(5) فيليب حتي:المرجع السابق .

(6) فيليب حتي:المرجع السابق ، ص 429.،الخربوطلي:**المهدي العباسي**، ص 74.

وكانت حاصلات العراق الرئيسية في عصر المهدي تتكون من الشعير والقمح والأرز والبلح والسمسم والقطن.وأخصب بقعه أرض السقي في السهل الجنوبي. وتعرف بالسواد حيث كانت تنتج مقادير وافرة من الأثمار والبقول مما ينمو في المناطق الحارة والباردة على السواء.وكانت هذه الأراضي تنتج بكثرة البندق والبرتقال والباذنجان.والورد والبنفسج وغيرها فقد كانت تنمو بكثرة في تلك المناطق.(1)

وكان الخلفاء يهتمون بأخبار الزراعة.فأوكلوا إلى أصحاب البريد المسؤولية عن جهاز الاستعلامات كله في الحكومة.فكان واجبهم الرئيس إبقاء الخليفة على إطلاع دائم بمسالك عماله في الحكم. وكانت تقاريرهم الدقيقة ذات فائدة كبيرة للمصلحة العامة.فالأنباء التي اعتادوا على إرسالها عن أحوال الزرع،كانت تساعد على اتخاذ الاحتياطات المناسبة ضد أي نقص في الغلال.(2)

يقول الطبري:" كان ولاة البريد في الآفاق كلها يكتبون إلى المنصور أيام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم.وبسعر كل مأكول..وكانوا إذا صلوا المغرب يكتبون إليه بما كان في كل ليلة إذا صلوا الغداة.فإذا وردت كتبهم نظر فيها،فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك،وإن تغير شيء منها عن حاله،كتب إلى الوالي والعامل هناك.وسأل عن الغلة التي نقلت ذاك عن سعره،فإذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقة حتى يعود سعره ذلك إلى حاله."(3)

وقد واجه الرشيد في بداية خلافته أمر على قدر من الأهمية.وهو هجر أصحاب الضياع في فلسطين ضياعهم.والافتراض أن الدولة قررت على الضياع خراجا.ربما كان مجحفا أمرا وارد.إذ أثار هذا الإجراء أصحاب الضياع،فتركوا ضياعهم وهجروها ثم رجعوا إليها بعد التخفيف من خراجهم.(4)

وكان العمل يجري على ربط الفلاح بأرضه.وتشجيعه على التمسك بخدمتها.فكانت هناك سجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة.وبها التخفيف والردود.وذلك أن ضياعا رفضت في خلافة الرشيد وتركها أهلها.فوجه أمير المؤمنين هرثمة بن أعين لعمارتها.فدعا قوما من مزارعيها.وأكرتها إلى الرجوع إليها.على أن يخفف عنهم من خراجهم.ولين معاملتهم.فرجعوا فأولئك أصحاب التخافيف.وجاء قوم منهم بعد،فردت عليهم أرضوهم على مثل ما كانوا عليه فهم أصحاب الردود.(5)

---

(1) فيليب حتي:المرجع السابق ، ص 429.،الخربوطلي: المرجع السابق ،ص74.

(2) كارل بروكلمان:**تاريخ الشعوب الإسلامية** ،ص 180.

(3) الطبري:**تاريخ** 96/8.

(4) غيداء:**الخراج** ،ص200.

(5) البلاذري:**فتوح** ،ص 136.

وفي إطار التخفيف دائما،يشير الطبري إلى إجراء قام به الرشيد أيضا،وهو أنه وضع عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف.[1]

وكان أن دعا أبو يوسف الرشيد إلى إجراء لاستصلاح الأراضي واستغلالها فقال:

"فإذا لم يكن في هذه الأرضين أثر بناء ولا زرع،ولم تكن فيئا لأهل القرية ولا مسرحا ولا موضع مقبرة ولا ع مرعى دوابهم وأغنامهم،وليست بملك أحد ولا في يد أحد.فهي موات فمن أحياها أو أحيا منها شيئا فهي له.[2]

وروى يحي بن آدم عن جابر بن عبد الله قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من أحيا أرضا ميتة فله أجر فيها،وما أكلت العافية منها فهو له صدقة."[3] واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم:" من أحيا أرضا ميتة فهي له.وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين."كما روى أبو يوسف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر:"من أحيا أرضا فهي له،وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين."[4]

اء الموات عند اللغويين:"الأرض التي لم يجر عليها ملك أحد،وإحياؤها مباشرتها بتأثير شيء فيها من إحاطة أو زرع أو عمارة ونحو ذلك تشبيها بإحياء الميت."[5] وينطبق هذا المعنى عندهم أيضا على الأراضي حيثما ينسب الإحياء.فلو تم نقل الأرض الموات من حالتها هذه إلى حالة الخصب والنماء.قيل لهذه العملية "إحياء"في اللغة.[6]

أما عند الفقهاء فهي مرحلية،يراد بها بعث النشاط والحياة في الأرض المجدبة الموات،وإعدادها للقيام بمهمتها الأصلية وهي الإنتاج.[7]

---

(1) الطبري:**تاريخ** 236/8.

(2) أبو يوسف:**الخراج**، ص 63-64.

(3) يحي بن آدم القرشي(ت 203هـ):**الخراج**،تحقيق حسين مؤنس،دار الشروق، ص 115.

(4) أبو يوسف:الخراج ، ص70.

(5) ابن منظور:لسان العرب ، مادة حيا 13/ 1077.

(6) محمد مرعي:النظم المالية والاقتصادية ، ص 144.

(7) المرجع نفسه.

وصفة الإحياء معتبرة بالعرف،فيما يراد له من الإحياء.لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلق ذكره إحالة على العرف المعهود فيه.[1]

ويفسر أبو يوسف الحديث النبوي الشريف فيقول:

"معنى هذا الحديث عندنا على الأرض الموات التي لا حق لأحد فيها ملك.فمن أحياها وهي كذلك فهي له:يزرعها ويزارعها[2] وجرها،ويكري منها الأنهار ويعمرها بما فيه مصلحتها.فإذا كانت في أرض العشر أدى عنها العشر،وإن كانت في أرض الخراج أدى عنها الخراج،وإن احتفر لها بئرا أو استنبط لها قناة كانت أرضا عشر"[3]

أما التحجير :فهو في اللغة:وضع العلامات أو ضرب الأعلام على حدود قطعة الأرض المراد حيازتها.[4]

جاء في المعجم الوسيط:"حجر الأرض واحتجر عليها وحولها:وضع على حدودها أعلاما بالحجارة ونحوها لحيازتها."[5]

ويكاد يتفق الفقهاء على ثبوت الأحقية أو الأولوية بالتحجير في الأرض الموات،ثم سقوط هذه الأحقية عند عدم المبادرة إلى الإحياء خلال مدة غالبا ما تكون ثلاث سنوات.[6]

يقول الماوردي:

"وإذا تحجر على موات كان أحق بإحيائه من غيره،فإن تطلب عليه من أحياه كان المحيي أحق به من المحتجر.[7]

---

(1) الماوردي:الأحكام السلطانية ، ص 305-306.

(2) المزارعة:هي أن يعطي مالك الأرض أرضه إلى المزارعين يتولون العمل الزراعي بها، من حرث وري وبذر وحصاد ، إلى غير ذلك من الأعمال الزراعية.ويكون لهم شطر محدد معلوم مما تنتجه هذه الأرض.انظر:محمد أمين صالح:**النظام المالي والاقتصادي في الإسلام**،مكتبة نهضة الشرق، ط1 ، 1404هـ/1984م،ص176.

(3) أبو يوسف:الخراج ،ص 65.

(4) ابن منظور : **لسان العرب**783/17.

(5) إبراهيم أنيس وآخرون : **المعجم الوسيط** 157/1.

(6) محمد محمد مرعي: **النظم المالية والاقتصادية** ،ص 143.

(7) الماوردي : **الأحكام السلطانية** ،ص 306.

وهكذا كان استصلاح الأراضي وحفر الأنهار،وتكوين الضياع،ظواهر اقتصادية مرتبطة في مجال الزراعة قامت على أساس إقطاع الأرض الموات،تلك التي اهتم الفقهاء بوضع أصول هذا النظام الاقتصادي والمالي واستثمار الأرض بزيادة رقعة الأرض الزراعية ثم استغلالها في الإنتاج الزراعي،تحقيقا للمنفعة والصالح العام.

ثانيا: السياسة المالية للخلفاء العباسيين الأوائل

تتطلب مصحلة كل دولة أن يكون لها نظام مالي تسير عليه.وقد راعت الدولة الإسلامية ذلك.فانفعلت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتأثرت بأحداث العصر العباسي الأول،تلك الآثار التي تركتها الثورة التي لم تكن مجرد تحطيم لأغلال العصر الأموي.إنما كانت رسما لنهج تأثرت فيه الحياة بجيل الخلفاء القادمين المصلحين الذين تصدوا للمواقف العسيرة،في الداخل والخارج،ووصلوا إلى حل موفق لها.

1/ المال في الحضارة الإسلامية.

إن النظام المالي في الإسلام واضح المعالم.مستقل كل الاستقلال عن جميع النظم المالية العالمية.وأكثر ادئ هذا النظام قواعد كلية كبرى.أقرها القرآن الكريم،ووضحها النبي صلى الله عليه وسلم،وجرى بها العمل في العهد النبوي.وعلى هذه القواعد الكبرى تقاس الفروع الجزئية الصغرى المستجدة،تبعا لتطور الظروف والأحداث.ولابد في جميع الأحوال من تحقيق التوازن الاجتماعي،من خلال كل قاعدة كبرى وكل مسألة فرعية.[1]

وقد وضع الإسلام الأصول الجوهرية لأحكم وأعدل سياسة مالية.فرسم الفقه الإسلامي الموارد التي تؤدي إلى بيت المال.لينفق منها على كافة المصالح العمومية.وهذا يتفق مع قاعدة عمومية الميزانية المعروفة في المالية العامة الحديثة.[2]

فجعل الله تعالى الأموال قواما للأبدان.وسببا لبقاء الأجسام وحياة البشر.قال تعالى:"ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما." [4] وقال تعالى:"المال والبنون زينة الحياة الدنيا." [5]

---

(1) صبحي الصالح :**النظم الإسلامية** ،ص 213.

(2) محمد محمد مرعي:المرجع السابق، ص 94.

(3) **سورة النساء 5**.

(4) **سورة الكهف 46**.

وقال جل جلاله:"...لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالباطل وأنتم تعلمون."[1]

والمال أساسا يعود إلى فضل الله.لأنه صاحب المال.ومعطيه وموزعه.والرزق إذ ينتقل إلى ملكية الإنسان.ينتقل إليه على أنه مستخلف فيه من قبل الله.ونائب عنه مع استثماره واستغلاله. [2]

قال تعالى:"آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه،فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" [3]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من لم يبال من حيث كسب المال، لم يبال الله من حيث أدخله النار."[4]

وقال ابن الرومي:

لم أر شيئا صادقا نفعه للمرء كالدرهم والسيف.

يقضي له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف.[5]

والمال في الحقيقة أقوى العدد على العدو،وهو ذخيرة الملك،وعمارة المملكة،وحياة الأرض. ومن الحق أن يؤخذ في حقه،ويوضع في حقه،ويمنع من السرف ولا يؤخذ من الرعية إلا ما فضل عن معاشها ومصالحها.ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها.[6]

وقد أصبحت السياسات المالية لكل دولة على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها.وقد سارت الدولة الإسلامية على هذه السياسة. لاسيما في العصر العباسي الأول .

---

(1) **سورة البقرة 184**.

(2) محمد البهي:**الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم**،دار الفكر،ط1،1391هـ/1971ص 134-135.

(3) **سورة الحديد 7**.

(4) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:**فتح البارئ شرح صحيح البخاري**،دار السلام،الرياض،ط3 ،1421هـ/2000 م ، كتاب الزكاة،296/4.

(5) أبو القاسم الراغب الأصبهاني:**محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والأدباء**،دار مكتبة الحياة،بيروت،1961، 498/1.

(6) ابن العنابي:**السعي المحمود في نظام الجنود**، ص 213.

2/ نظرة الخلفاء العباسيين الأوائل إلى المال.

لقد عني الخلفاء العباسيون الأوائل بالأموال وتسيرها."فكانت مالية الدولة دقيقة الضبط."[1]

وكان انتظام الخلفاء سببا في القيام بأعمال عظيمة تعود على الناس بالخير.كتعبيد الطريق وإنشاء الفنادق والمدارس في جميع أنحاء الدولة.ولا سيما بغداد والبصرة والموصل.[2]

وفي بداية قيام الدولة العباسية،صرف الخليفة أبو العباس السفاح كامل اهتمامه في العناية بشؤون الخلافة الجديدة. فصرف الأموال الكثيرة ولم يبخل.حتى أنه لم يخلف سوى أشياء بسيطة لا تنم عن ثروته واكتنازه.بل سخر كل ما يملك في سبيل تأسيس الدولة الفتية.

وقد عرف المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية بالخبرة الواسعة في إدارة المال. وهو الذي صرح عن سياسته المالية في توليه الخلافة فقال:

"...أيها الناس:إنما أنا سلطان الله في أرضه،أسوسكم بتوفيقه وتسديده،وأنا خازنه على فيئه.أعمل بمشيئته،وأقسمه بإرادته،وأعطيه بإذنه.قد جعلني الله عليه قفلا.إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسّم فيئكم وأرزاقكم فتحني،وإذا شاء أن يقفلني أقفلني.."[3] وهذه السياسة التي سار عليها المنصور،تقضي بحفظ الأموال موارد ومصاريف.

حتى أنه فرض رقابة شديدة على عمال الخراج،وأمرهم بعدم قبول الدنانير من الناس إلا الموثوف بسلامتها من الغش والزيف.[4]

وجعل جباة الضرائب تحت رقابة دقيقة لئلا يظلموا أو يستأثروا بأموال الدولة.[5] فقد بان للمنصور عزل أخيه العباس بن محمد وصادر أمواله. لأسباب قد كون مالية ترتبط بالأرض،وتقدير الضريبة عليها.فقد أصدر المنصور مرسوما إلى السكان يقضي بتأخير الحصاد إلى حين قدومه إلى المنطقة.ليتسنى له رؤية محاصيلهم في أرضها.[6] فكان المنصور ينظر إلى المال أنه حصن للسلطان،ودعامة للدين والدنيا.وفي بذله لذة،وفي إعطائه جزيل المثوبة.[7]

---

(1) غوستاف لوبون:**حضارة العرب**،ترجمة عادل زعيتر،مطبعة عيسى بالباب الحلبي،ط4،1384هـ/1964م،ص 172.

(2) المرجع نفسه ،ص 173.

(3) الطبري:**تاريخ** 89/8.

(4) عصام الدين عبد الرؤوف الفقيء:**دراسات في تاريخ الدولة العباسية**،دار الفكر العربي،القاهرة،1419هـ /1999م، ص91.

(5) عبد العزيز الدوري:**العصر العباسي الأول**،دار الطليعة،بيروت،لبنان،ط3،1997،ص81.

(6) غيداء:**الخراج**، ص 216.

(7) عصام الدين عبد الرؤوف الفقيء:المرجع السابق .

وكان المنصور يقول:" من قل ماله قل رجاله،ومن قل رجاله قوي عليه عدوه،ومن قوي عليه عدوه اتضع ملكه.ومن اتضع ملكه استبيح حماه."[1]،بلغ من حزمه وحرصه على وضع الأمور في نصابها.وتصريف الأموال في قنواتها.أنه كان يحاسب العمال والصناع والأجراء الخليفة فيقول لهذا:أنت نمت القائلة.ولهذا:أنت لم تبكر إلى عملك.ولغيره:أنت انصرفت ولم تكمل اليوم.فيعطي كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه فلا يكاد يعطي أجرة يوم واحد.[2]

وقد وصف المسعودي حزم الخليفة المنصور بقوله:"كان المنصور من الحزم وصواب الرأي،وحسن السياسة،على ما تجاوز كل وصف.فكان يعطي الجزيل الخطير ما كان إعطاؤه حزما،ويمنع الحقير اليسير ما كان إعطاؤه تضييعا."[3]

وكان أشد ما يحرص عليه المنصور الأموال العامة،وحسن التصرف فيها إحصاء وقبضا وصرفا.فقد قال يوما لابنه المهدي:كم عندك من دابة ؟ فقال:لا أدري.فقال:هذا هو التقصير.فأنت لأمر الخلافة أشد تضييعا، فاتق الله يا بني.[4]

فاعتبر المنصور سوء التصرف في المال،ولو كان جهلا بعدد الدواب.اعتبره تضييعا لأمر الخلافة.لأن الذي لا يلقي بالا لمسؤوليته عن أمور صغيرة.فهو لما سواها أعجز وأضيع.فضلا عن أن يكون الأمر إهمال أموال خلافة المسلمين.

ومهما بلغت قيمة العامل أو القائد في نظر الناس،فإن المنصور ينظر إليه نظرة مسؤول.ويحاسبه عما تحت يديه من أموال وأعمال.فقد بعث المنصور يقطين بن موسى إلى أبي مسلم الخراساني بعد هزيمة عبد الله بن علي ليحصي مما كان في عسكره.فقال أبو مسلم:"أمين على الدماء،خائن في الأموال."[5]

ولم يكن المنصور يحب أن يرى الناس يتلاعبون بأموالهم.ويفسدونها فيذكر اليعقوبي أن أبا جعفر المنصور أخذ أموال الناس،حتى ما ترك عند أحد فضلا .[6]

---

(1) اليعقوبي:**تاريخ** 387/2.

(2) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام 2**/34.

(3) المسعودي:**مروج الذهب** 245/2-246.

(4) الطبري:**تاريخ** 72/8.

(5) المصدر نفسه 482/7-483،البلاذري:**أنساب الأشراف** 267/4،ابن الأثير :**الكامل** 105/5.ابن الجوزي:**المنتظم** 05/8.

(6) اليعقوبي:**تاريخ** 387/2.

وبلغ من اهتمام المنصور باقتصاد الدولة.والنأي به عن الفساد.واستشعار المسؤولية على أملاك الرعية.أنه وقف يوما من الأيام على سرب في داره فيه قنديل معلق.وكان الموضع بين المضيء والمظلم.وكان تعليق القنديل إنما يقع استظهارا.فأمر بأن يطفأ وقال:لا يعاود هذا المصباح إلى هذا الموضع،إلا في وقت الحاجة من الليل.أو من آخر النهار.[1]

وإن كان المنصور يتفقد هذا المقدار القليل.فهو لغيره أشد تفقدا.فقد سأل مرة الخليفة المنصور كاتبه الذي يتقلد النفقات:ما الذي كنتم تصنعون بما يفضل من الموائد في كل يوم؟فقال:كان يأكله خدمك وغلمانك وحشمك.وما فضل بعد ذلك عنهم تصدق به على الفقراء والمساكين.فقال:هذا لم يكن يضيع منه شيء،فأجر الأمر على ما كان جاريا عليه فيه،وليس سبيل ذلك في ذلك الموضع الذي كان فيه،كان مضيئا بالنهار.وكان الزيت يذهب ضياعا،ولا وجه للتضييع في كل شيء وإن قل.[2]

ودخل المنصور في باب الذهب،فإذا ثلاثة قناديل مصطفة.فقال:"ما هذا ؟ أما واحد من هذا كان كافيا؟يقتصر من هذا على واحد.[3]

 وكان المنصور لا يعطي السؤال و الزمنى،وترك ذلك للتكافل الاجتماعي بين الناس. فيرحم الغني منهم الفقير،ويساعد الميسور منهم المحتاج. وفي هذا السياق يذكر الجهشياري قصة رسول ملك الروم الذي وفد على المنصور.ولما صار إلى الجسر وهو نازل بالرصافة،رأى عليه مجموعة من الزمنى والسؤال.فقال:إني أرى عندكم قوما يسألون،وقد كان يجب على الخليفة أن يرحمهم ويكفيهم مؤنهم وعيالاتهم. فادعى الترجمان عليه أن الأموال لا تسعهم. ومضى إلى المنصور فقال للترجمان كذبت ولكن الأموال واسعة، ولكن العذر ولكن أمير المؤمنين يكره أن يستأثر على أحد من رعيته بشيء من حظ أو فضل. وأحب أمير المؤمنين أن يشركوه في ثواب السؤال و الزمنى وهم ذوو العاهات والأمراض المزمنة وأن يسألوهم من ذوات أيديهم. ليكون ذلك نجاة لهم في آخرتهم، وتمحيصا لذنوبهم.فقال الرومي: الحق ما قاله أمير المؤمنين.[4]

---

(1) الجهشياري:**الوزراء** ،ص 101.

(2) المصدر نفسه ،ص 102.

(3) البغدادي:**تاريخ بغداد** 58/10،ابن الجوزي:**المنتظم** 343/7.

(4) الجهشياري:**الوزراء** ،ص 95-96 .

ورغم هذا الحرص كله على الأموال والتشدد في صرفها.ومتابعة كل ما قل أو كثر منها. ووضع كل ذلك في كتاب.إلا أن هذا الخليفة المقتصد،يخرج عليه سفيان الثوري يوما يشير عليه بالاقتصاد في النفقة.و يعترض عليه حين رأى كثرة الأموال معه.وهو ذاهب إلى الحج. وقد أعدها لهذا السفر،فيقول له:يا أمير المؤمنين،حج عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–فقال لخازنه:كم أنفقت؟ قال:بضعة عشر درهما.وكان ينزل تحت الشجر،وأرى هاهنا أموالا لا تطيق الجمال حملها.فقال الخليفة المنصور:أتريد أن أكون مثلك؟ قال:لا. ولكن دون ما أنت فيه،وفوق ما أنا فيه.[1]

والظاهر أن معايير تحديد الإسراف والبخل ليست ثابتة عند جميع الناس.فما يكون تبذيرا عند قوم، يكون تصرفا مقبولا عند آخرين.وما يكون بخلا عند قوم يكون منتهى الاقتصاد عند آخرين.ولكن هناك حدود للبخل والتبذير يتفق عليها عقلاء الناس .وهم في ذلك يتوسطون بين الترف والشح. ويبدو أن المنصور ثابت في حزمه. مستمر في حفظه للأموال.لذا فهو يوصي ابنه المهدي بحسن التصرف في الأموال. والاقتصاد في النفقة،وعدم التبديد.فيقول:

إياك والأثرة والتبديد لأموال الرعية..وأعد الأموال واخزنها.فإن النوائب غير مأمونة،وهي من شيم الزمان."[2]

ويوصيه في موضع آخر بحفظ أموال الناس، وتعجيل نفقاتهم إليهم فيقول:"..واعط حظ المسلمين من أموالهم. ووفر لهم فيأهم.وتابع أعطياتهم عليهم.وعجل بنفقاتهم إليهم سنة سنة وشهرا شهرا.[3] ويوصيه أيضا بقضاء دين كان عليه.لأنه استشعر قرب أجله بحجه:...وعلي دين فأحب أن تقضيه وهو ثلاثمائة ألف ونيف،فلست أستحلها من بيت مال المسلمين، فأضمنها عني.."[4] فكان المنصور يفرق بين ما لديه من ماله الخاص،وما له لبيت مال المسلمين.

أما عن تركته الخاصة فلا يؤخذ منها درهم ولا دينار.بل إنه خرج من الدنيا مدينا لبيت المال بثلاثمائة ألف ونيف.أما بيت مال المسلمين فقد تركها عامرة إذ يقول لابنه المهدي:

"...وقد جمعت لك فيها من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي،فإن حبس عنك الخراج عشر سنين،كان

---

(1) الأصفهاني:**حلية الأولياء** 322/6،علي بن أحمد مشاعل:**الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول**،مشكلاتها وأساليب مواجهتها،دار العاصمة،1994،226/1.

(2) الطبري:**تاريخ** 106/8،ابن خلدون :**العبر** 205/3.

(3) اليعقوبي:**تاريخ** 393/2.

(4) ابن الجوزي:**المنتظم 8**/203-204.

عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور،فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا."[1]

ولما استخلف المهدي،بدأ يكتشف أسرار سياسة والده الاقتصادية.وأنه كان ثاقب النظر،واسع الأفق.ولم يكن اقتصاده زراعيا فحسب بل اقتصادا احتياطيا أيضا،فيذكر الخطيب البغدادي أن المهدي قال للربيع الحاجب[2]:"يا ربيع قم بنا ندور في خزائن أمير المؤمنين.قال:فدرنا،فوجدنا على بيت فيه أربعمائة جب مطينة الرؤوس.قال:قلنا ما هذه؟قيل:هذه فيها أكباد مملحة أعدها المنصور للحصار.[3]ولم يكن هذا سوى موقف من المواقف التي تبين حسن تصرف المنصور.وبعد نظره.ومدى اهتمامه بأحوال رعيته في السراء والضراء.

وبتولي المهدي الخلافة،كان يريد أن يتشبه بأبيه في سياسته.فكان أول أمره يحتجب عن الندماء.ثم لم يلبث أن ظهر لهم.وهو مع ذلك كثير العطايا،وافرها.كل من حضره إلا أغناه.وكان لين العريكة،سهل الشريعة ، لذيذ المنادمة ، قصير المناومة ، ما يمل نديما ولا يتركه إلا عن ضرورة.[4]

ويصفه المسعودي بأنه كان"محببا إلى الخاص والعام،لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم،وأمن الخائف،وإنصاف المظلوم.وبسط يده في الإعطاء فأذهب جميع ما خلفه المنصور.وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه في أيامه.[5]

ولما فرغت بيوت الأموال أتى أبو حارثة النهري خازن بيوت أمواله.فرمى بالمفاتيح بين يديه.وقال:ما معنى مفاتيح لبيوت فرٍّغ ؟ ففرق المهدي عشرين خادما في جباية الأموال. فوردت الأموال بعد أيام قلائل.فتشاغل أبو حارثة النهري بقبضها وتصحيحها عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام .فلما دخل عليه.قال:ما أخرك؟فقال:الشغل بتصحيح الأموال .فقال:أنت أعرابي أحمق،كنت تظن أن الأموال لا تأتينا إذا احتجنا إليها.قال أبو حارثة منتقدا سياسة المهدي المالية تلك:"إن الحادثة إذا حدثت لم تنتظرك حتى توجه في استخراج الأموال وحملها."[6]

---

(1) ابن الجوزي:**المنتظم** 204/8.

(2) هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة كيسان.من موالي بني العباس.وزير من العقلاء الموصوفين بالحزم. اتخذه المنصور العباسي حاجبا ثم استوزره.وكان متهيبا محسنا إدارة الشؤون.عاش إلى خلافة المهدي العباسي، وحظي عنده،ولد عام111هـ/730م وتوفي عام 169هـ / 786م (ابن أبي الدم:**كتاب أدب القضاء**، ص28) ، انظر ترجمته في ابن خلكان:**وفيات الأعيان**185/1،البغدادي:**تاريخ بغداد**414/8.

(3) البغدادي:المصدر السابق 57/10،ابن الجوزي:**المنتظم** 343/7.

(4) الجاحظ:**التاج في أخلاق الملوك** ،ص 34.

(5) المسعودي:**مروج الذهب** 322/3.

(6) المصدرنفسه.

وكانت هذه نصيحة في محلها.يقدمها خازن أموال المهدي للخليفة،يذكره بأن المحن قد لا تسمح طرفة عين لإرسال العمال في الأفاق ،ثم انتظار ما قد يجبونه من الأمصار.فهذه عملية شاقة وطويلة.وكان الأولى على المهدي ألا يتكل كل هذا الاتكال،يفرغ خزائن الأموال ، ثم ينتظر الجباية.وهو أمر خالف فيه سياسة والده ووصيته،بحفظ الأموال،وإبقاء بيت المال عامرة، لأن في ذلك عزته وطلبته.

وكان أبو عبيد الله يضيف أمور المهدي،ويشير عليه بالاقتصاد ،وحفظ الأموال.وكان أبو جعفر خلف في بيوت الأموال عند وفاته تسعمائة ألف ألف درهم.وستين ألف ألف درهم.[1] فلما صرف المهدي أبا عبيد الله عن وزارته،وقلدها يعقوب زين له هواه. فأنفق المال.وأكب على اللذات والشرب.وسماع الغناء وفي ذلك يقول بشار بن برد:

بني أمية هبوا خال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود.

ضاقت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين الزق والعود.[2]

ولما جاء هارون الرشيد إلى الحكم ،كان مليئا بالنيات الطيبة.وقد بذل محاولات سخية للتفاهم مع العلويين المناوئين.ولاقاه بالكثير من الشكر والامتنان.وبعد استلامه الخلافة بأشهر قليلة فقط،قام بالحج كأنه بذلك يعلن هذه الأنباء الطيبة.ثم أصر على زيارة المدينة،ووزع مبالغ كبيرة من المال بين سكان المدينتين المقدستين.ولدى عودته إلى بغداد بدأ ينظم حكومته في ضوء الظروف السائدة.[3] وزيادة على ذلك كله ، فقد كان الرشيد سخيا كريما.يتصدق من صلب ماله بألف درهم.وإذا حج حج معه مائة من الفقهاء.وفي السنة التي لا يحج فيها أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة.[4]

غير أن مما يؤاخذ على الرشيد في سياسته المالية استوزاره للبرامكة الذين احتازوا الأموال دونه. فكان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه[5] الأمر الذي جعله يستشعر انسحاب بساط الملك من بين يديه.ويكاد يصبح خليفة رمزا.بلا فعالية.فانتفض ضدهم. واسترجع سطوته الفعلية على خزائن الأموال ومواردها ،لا سيما بعد الحادثة المعروفة بنكبة البرامكة.

---

(1) الجهشياري:**الوزراء** ،ص 118،عبد العزيز الدوري:**العصر العباسي الأول**، ص 96.

(2) المصدر نفسه .

(3) محمد عبد الحي شعبان:**الثورة العباسية** ،ص44.

(4) ابن أعثم الكوفي:**الفتوح** 401/8.

(5) المسعودي:**مروج الذهب** 377/1.

وأيا كان الأمر،فإن الرشيد قد عرف بنظرته السخية إلى المال،حتى بلغ في نظر البعض حد الترف والإسراف.فقد توسع الرشيد في إغداق العطايا والمنح.وكان إذا عفا عن شخص أطلق له الأموال.فلما أطلق سراح يحيى بن عبد الله العلوي منحه مائة ألف دينار وزاد صلات الشعراء فبلغ ما حصل عليه أحدهم أربعين ألف دينار.[1]

وكان الرشيد في الحقيقة كثير الإنفاق حتى قال عنه الجاحظ:"كان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور.يتمثلها كلها إلا في العطايا والصلات والخلع.فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي.ومن خبرك أنه رآه قط وهو يشرب إلا الماء فكذبه."[2] فهذا عبد الله بن عمر العمري[3] يذكر الخليفة الرشيد بعاقبة المسرفين.ويخص منهم من أسرف في أموال المسلمين العامة.فيقول:"يا أمير المؤمنين،إن الرجل ليسرف من ماله ، فيستحق الحجر عليه.فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم.[4]

ففي مرة يظهر فيها تجاوز من قبل الخليفة،أو يحصل خلل على مستوى مؤسسة الخلافة، فيعقبها واحد من المصلحين بالعلاج لما حصل والوقاية لما يتوقع منه آثار سيئة. فربما كان السخاء تبذيرا منبوذا.وربما كان الإمساك بخلا وتقتيرا مبغضا. وفي كلا الحالين يكون فيهما المال في أسوأ استعمالاته.لذلك حاول المصلح عبد الله العمري تنبيه الرشيد على الحال الطبيعية للإنفاق ،التي لا يكون فيها غلو مفسد للمال.وأشار عليه بأن أسوأ حالات الغلو في المال،الإسراف في الأموال العمومية.

3/ تقييم السياسة المالية للخلفاء العباسيين الأوائل

بلغت أعطيات الخلفاء ومنحهم من الكثرة حدا يعطي من يحكم بظواهر الأمور الحق في أن يرمي هؤلاء الخلفاء بالإسراف الذي قد بلغ حد التخمة.ولكن الحقيقة أن ذلك كله لم يكن هدرا أو تبذيرا.إنما كان إنفاق مال لتحقيق أهداف عامة. [5] فعندما تولى السفاح الخلافة،أعلن في خطبته في الكوفة وعده للجند ثم زادهم في أعطياتهم فقال:

---

(1) ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 261/3.

(2) الجاحظ: **التاج في أخلاق الملوك** ،ص 36.

(3) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب،أبو عبد الرحمن القرشي المدني،سمع الحديث ورواه،وكان ممن خرج مع محمد ابن عبد الله بن الحسن على المنصور،فحبسه المنصور ببغداد سنين عدة،ثم أطلقه،توفي بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ومائة في أول خلافة هارون الرشيد.(البغدادي:تاريخ بغداد19.20.21/10).

(4) اليافعي أبو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت768هـ):**مرآة الجنان وعبرة اليقظان**،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1413هـ /1993م، 367/1.

(5) حسن أحمد محمود:**العالم الإسلامي في العصر العباسي**،ص 173.

"وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم،فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير."[1]

فكانت هذه الزيادات في الأجور حسنت ظروف الجند،ومتنت العلاقة بينهم وبين الخلفاء. وكان من أثر ذلك كله أن حدثت نهضة اقتصادية وحركة اجتماعية.تفاعل فيها المجتمع مع الدولة.فنمت موارد الخلافة وزادت إيرادات بيت المال.

أورد الطبري اشارات إلى الأموال التي اكتسبها الخلفاء وثرواتهم.فبين كيف كانت الدولة عند قيامها.فقد روى الطبري أن أبا العباس السفاح خلف تركة لا تعدو أن تكون تسع جبات وأربعة أقمصة وخمسة سراويلات وأربعة طيالسة وثلاث مظاريف خز[2] فكان أبو العباس السفاح أقل الخلفاء العباسيين الأوائل جمعا للأموال واختزانها،بل كانت تمر عليه مبالغ مالية طائلة وينفقها في سبيل إقامة الدولة الفتية .

فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني عن تألف أبي العباس للطالبيين .وأنه لما وفد إليه عبد الله بن الحسين بن الحسن وأخوه الحسن بن الحسن فوصلهما.[3] وما وصل إلى بيت المال في زمن أبي العباس يعد شيئا كثيرا.خصوصا ما كان من مصادرات لأموال الأمويين وفلولهم. فكان أن خلف مروان بن محمد الجعدي حين هرب من المسودة سنة 132هـ عند هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي أمير الموصل،وعامله على خراجها أربعة آلاف دينار وسبعين ألف ألف درهم.حملوا جميعا إلى عبد الله بن علي مع سوى ذلك لا يوصف كثرة.[4]

والملاحظ أن العباسيين الأوائل قد جادوا بالنفس والنفيس وبذلوا الأموال العظيمة لإقامة أساس متين لدولة ستسود لقرون .

وكان ما جمعه أبو العباس في خزائن بيت المال ،خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهم ومائة ألف دابة وبغل.[5] وأحصي ما في الخزائن من الأموال والسلاح،وما بقي من الطعام والقلق الذي كان ابن هبيرة قد ادخر وأعد للحصار.فكان المال ثلاثة آلاف درهم.ومنه السلاح شيء كثير.وطعام ثلاثين ألف

---

(1) الطبري:**تاريخ** 426/7،ابن كثير:**البداية** 45/10،ابن الأثير:**الكامل** 66/5،وانظر محمد ماهر حمادة:**الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول**،مؤسسة الرسالة، ط4، 1406هـ/1985 م ،ص 72-73 .

(2) الطبري:المصدر نفسه ص 471، ابن الساعي البغدادي علي بن أنجب(ت674هـ) :**مختصر أخبار الخلفاء**، المطبعة الأميرية ببولاق،مصر، ط1،سنة 1309هـ،ص 10.

(3) أبو الفرج الأصفهاني(ت356هـ):**مقاتل الطالبيين**، شرح وتعليق:السيد أحمد صقر،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1368 هـ/1949 م،ص 173.

(4) الرشيد بن الزبير(ق5هـ):**كتاب الذخائر والتحف**،حققه محمد حميد الله،قدم له وراجعه:صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، 1959،212/1.

(5) المصدر نفسه ،ص 213.

رجل،وعشرين ألف رأس من الدواب سنة.[1]

وفي خلافة المنصور،فقد كثرت الأموال وامتلأت بها الخزائن.حتى أصبح بعض المؤرخين يؤاخذون المنصور عن سياسته المالية المتشددة التي ترمي إلى الاقتصاد الفعلي، والقضاء المبرم على قضايا الفساد المالي والاقتصادي الذي انتشر في أواخر العصر الأموي. فأصبح الناس يلقبونه أبا الدوانيق أو الدوانيقي،ومع هذا الوصف السلبي الذي لصق بالمنصور. إلا أنه يبقى وبحق الخليفة العباسي المؤسس الأول للدولة العباسية القوية والغنية والمهابة.

فهو لما استقبل بخلافته سنة 137هـ أقر صالح بن علي على صلات مصر وخراجها. وألحق صالح ابن علي في أهل مصر ألفي مقاتل.وزاد أهل مصر عشرة عشرة في أعطياتهم.[2] وأمر في سنة 139هـ بالزيادة في المسجد الحرام من جهة باب الندوة ، وبنى مسجد الخيف بمنى وصيره على من السعة ما لم يكن عليه من قبل.[3]

وأصدق وصف لسياسة المنصور المالية ما ذكره المسعودي في قوله:" عرف المنصور الحلال والحرام،لا يدخله فتور في حادثة..يجود بالأموال حتى يقال هو أسمح الناس،ويمنع في الأوقات حتى يقال هو أبخل الناس.."[4]

فهذه هي السياسة الرشيدة الحكيمة ،والتي فحواها أن يعرف الخليفة مواطن البذل فيبذل الأموال الكثيرة طالما أنها تنفق في وجوهها،ويعرف مواطن القبض ،فيمسك حتى كأنه لم ينفق شيئا قط ،ما لم يجد لذلك الموضع اللازم.

ولما حج المنصور سنة 140هـ أعطى أشراف القرشيين ألف دينار لكل واحد منهم.فلم يترك أحدا من أهل المدينة إلا أعطاه.إلا أنه لم يبلغ واحد ما بلغ بالأشراف .أعطى بالمدينة عطايا لم يعطها أحد.[5] وكانوا يسمون هذا العام بعام الخصب.[6]

وهو الذي أعطى في يوم واحد عشرة آلاف ألف درهم.أعطى لكل عم من عمومته ألفي ألف درهم.

---

(1) الدينوري:**الأخبار الطوال** ،ص 342.

(2) الكندي:**ولاة مصر**،دار صادر،بيروت،1379هـ/1959م،ص 124.

(3) اليعقوبي:تاريخ 369/2،القلقشندي:**مآثر الأناقة**،ص 178.

(4) المسعودي:**التنبيه والإشراف**،صححه وراجعه:عبد الله اسماعيل الصاوي،المكتبة العصرية في بغداد،1357 هـ /1938م ، ص 296.

(5) ابن الجوزي:**المنتظم**8/27-28،الدينوري:المصدر السابق، ص351 .

(6) ابن الطقطقي:**الفخري**، ص116 .

وكانوا أربعة أعمام.وأعطى لعيسى بن موسى ألفي ألف درهم على ما شهر به من البخل وتسميته بأبي وانيق لبخله. ولا يعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحدا من الناس.[1] يقول الجاحظ في هذا السياق:" لا يعلم أحد من خلفاء الإسلام ولا ملوك الأمم، وصل بألف ألف لرجل واحد غيره.ولقد فرق على جماعة من أهل بيئته عشرة آلاف ألف درهم." [2]

والحق أنه كان يجود إذا دعت الضرورة.ولكنه لا يعطي إلا إذا اقتضت ذلك مصلحة الدولة. وقد يكون المسعودي أدق من غيره حين قال:" كان المنصور يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزما،ويمنع الحقير اليسير ما كان عطاؤه تضييعا." [3]

أشك أن اتهام المنصور بالبخل يعد تحايفا.وقد لا يبعد من أن يكون دعايات رجال الحاشية التي تؤثر أن يكون الخليفة مبذرا لكي يستفيد منه. أدل على حكمته في صرف الأموال في نصابها من المشاريع التنموية والعمرانية التي أنجزها المنصور. تكفي دليلا على حسن تصرفه في الأموال وتنفي عنه البخل والاكتناز.

وفي سنة 138هـ أراد أبو جعفر أن يزيد في المسجد الحرام.فكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثي أن يشتري المنازل التي تلي المسجد حتى يزيد فيه ضعفه.وفرغ من ذلك سنة 140هـ ،ولذلك حج المنصور في هذا العام ليرى ما زيد في المسجد الحرام. [4] وفي سنة 145هـ بنى المنصور مدينة بغداد. وانتقل إليها من مدينته الهاشمية التي بناها أخوه أبو العباس السفاح. [5] ونقل بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة إلى بغداد سنة146هـ.وسماها مدينة السلام.واستتم بناء حائط مدينته وجميع أمره.وبناء سور بغداد القديم سنة 147هـ. [6] وكانت بقعة بغداد مزرعة تدعى المباركة لستين نفسا. فعوضهم المنصور عنها وأرضاهم. وقيل إنه ليس في الدنيا مدينة مدورة سواها.[7]

---

(1) الطبري:**تاريخ** 84/8،ابن كثير:**البداية والنهاية** 126/10-127،المسعودي:**مروج الذهب** 222/2،ابن الساعي:**مختصر أخبار الخلفاء** ،ص11

(2) **التاج في أخلاق الملوك** ،ص122 .

(3) المسعودي:المصدر السابق، 222/2

(4) اليعقوبي:**تاريخ** 369/2

(5) ابن كثير:المصدر السابق ،ص96-97 ، القلقشندي:**مآثر الأناقة**،ص17

(6) الطبري:**تاريخ** 614/7،البلاذري:**فتوح**،ص 414. ابن تغري بردي :**النجوم الزاهرة2**/340.(انظر الملحق رقم "3 "خريطة بغداد حين بناها المنصور)

ويذكر الطبري معلومات مهمة عن النفقات التي صرفها المنصور في بناء بغداد فيقول:

"يقول عيسى بن المنصور:"وجدت في خزائن أبي المنصور في الكتب،أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب والأسواق والفصلان والخنادق،وقبابها أبوابها أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما [1].

ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس[2]." [3]

فكيف بعد هذه الانجازات العظيمة النفع.والتي تستأهل أن تصرف فيها الأموال الكبيرة دون إشفاق. وقد وجدنا المنصور إليها مبادرا دون إضعاف أو تردد.فكيف بعد هذا كله أن يوصف المنصور بالدوانيقي لقبضه للأموال وعدم إسرافه؟

قد حاول المهدي أول أمره أن يسير على نهج أبيه.في حفظ الأموال ووضعها في مواضعها. فافتتح عهده برد المظالم التي كانت احتجزها أبوه المنصور عنده على كل واحد منها رقعة مكتوب عليها اسم صاحبها.

فجلس المهدي في النصف من المحرم،وأمر الربيع،فأحضر دفتر القبوض.ووجه إلى كل من كان أبو جعفر قبض شيئا من ماله فأحضره،وأقبل عليهم،يشرح لهم سياسة أبيه في قبض الأموال فقال:"إن أمير المؤمنين المنصور،كان بما حمله الله عليكم ما لا تحفظون على أنفسكم.فحرس لكم من أموالكم ما لم يأمن ذهابه. وهذه أموالكم مبارك لكم فيها،فحللوا أمير المؤمنين من إبطائها عنكم. [4]

فيبدو أن المنصور كان يعد ابنه المهدي لهذا الأمر،ليفتتح عهده بهذه المكرمة التي تعد تنفيسا للكرب وتفريجا للهموم.وبالفعل حصل ما خطط له المنصور.فأصبح المهدي بهذا محببا عند الخاص والعام.وهو يعرف الناس بأن سياسة حفظ الأموال وصونها وتأديب المتلاعبين بها.وردها إليهم متى تهذبوا وأدركوا حسن التصرف فيها.

وتابع المهدي إجراءات كبيرة،أنفق فيها أموالا جزيلة.وأنجز من خلالها مشاريع ضخمة يحسن ذكرها. منها: أنه أمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرسا له بالعراق أنصار فيبدو أن المنصور كان يعد ابنه المهدي لهذا الأمر،ليفتتح عهده بهذه المكرمة التي تعد تنفيسا للكرب وتفريجا للهموم.وبالفعل حصل ما خطط له المنصور.

---

(1) الدرهم وحدة نقدية من مسكوكات الفضة معلوم الوزن.وأصل الدرهم كلمة أعجمية عربت عن اليونانية وهي كلمة دراخما.ومقداره عند الحنفية3.125جراما.وعند الجمهور 2.975جراما.(محمد علي جمعة:**المكاييل والموازين الشرعية**،ص19)

(2) الفلس :عملة يتعامل بها،مضروبة من غير الذهب والفضة.وكانت تقدر بسدس الدرهم.محمد علي جمعة:المرجع نفسه ، ص28.

(3) الطبري:المصدر السابق ،ص 655.

(4) اليعقوبي:**تاريخ** 394/2

فأصبح المهدي بهذا محببا عند الخاص والعام وهو يعرف الناس بأن سياسة حفظ الأموال وصونها وتأديب المتلاعبين بها.وردها إليهم متى تهذبوا وأدركوا حسن التصرف فيها.وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم وأقطعهم عند قدومهم معه بمدينة السلام قطيعة تعرف بهم. [1] وقسم في سنة 160 هـ في أهل مكة والمدينة مالا كثيرا.فذكر أنه قسم في تلك السفرة ثلاثين ألف دينار،ومن اليمن مائتا ألف دينار، قسم ذلك كله. وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين أفل ثوب.ووسع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأمر بنزع المقصورة التي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزعت.[2]

هذا فضلا عن أعطياته للشعراء والفقراء والمحتاجين.فقد كان المهدي مع ذلك يبذل الأموال في سبيل إلجام ألسنة العوام عن الخوض فيما يسهل أن يسري عليها من مقالات تقدح في شخص الخليفة ودينه وعرضه.

فيذكر الكتبي أن "المهدي يوما جلس جلوسا عاما فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل فقال: يا أمير المؤمنين ،هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك.فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم. فلما خرج قال لجلسائه: ما ترون ؟ إني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن أن يكون قد لبسها.ولو كذبناه لقال للناس:أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي ،وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه. إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها.والنصرة للضعيف على القوي،وإن كان ظالما.فاشترينا لسانه وقبلنا هديته،وصدقنا قوله،وكان الذي فعلنا أرجح وأنجح.[3]

فكان صرف الخليفة المهدي ينم عن نفس كريمة.تحتوي الناس مناصرهم ومعارضهم بالمال فقد انتقد المهدي من وزيره يعقوب بن داود[4] في كثرة النفقات.فقال له المهدي:"ويلك يا يعقوب، وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف،ويلك يا يعقوب لو لا الإسراف لم يعرف القل من الكثر.[5]

---

(1) ابن الجوزي:**المنتظم** 238/8.

(4) اليعقوبي:**تاريخ 2**/394

(3) الكتبي محمد شاكر: **فوات الوفيات والذيل عليها**،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان،3/401-402

(4) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود،من الموالي،كان في بداية أمره مائلا إلى بني عبد الله بن الحسين بن الحسين.وصرت له خطوب في ذلك.كان مقربا من المهدي ويعظه.ولازال به السعاة يسعون به إلى المهدي حتى نكبه وجعله في المطبق.وهو حبس التجليد،فلم يزل على ذلك مدة أيام المهدي ومدة أيام الهادي،حتى أخرجه الرشيد.(ابن الطقطقا:**الفخري** ،ص 184.185)

(5) الجهشياري:**الوزراء**، ص166 ،حسن أحمد محمود :**العالم الإسلامي في العصرالعباسي** ،ص 173.

وفي زمن الخليفة الهادي،جرى تدبير جديد وهو أن الهادي فرق ما كان يعتبره دخلا خاصا له.وما هو دخل للخزينة.و كان هذا الدخل مؤلفا من موارد كبيرة من أراضي وممتلكات أموية مصادرة احتفظ بها لنفسه.بالإضافة إلى ايجارات الدكاكين وغير ذلك من المستغلات المماثلة التي صارت تشمل المنازل والحمامات العامة والمطاحن. [1] وفي عهد الخليفة هارون الرشيد،بلغت بغداد درجة عالية من الحضارة والعمران.فبنيت فيها قصور الشاهقة. وزادت موارد ثروتها.وكانت تصل التجارة من أقصى البلدان. [2]

وكانت خزائن الرشيد تفيض بالأموال التي كانت تجبى من الضرائب.حتى بلغت في عهده ما يقرب من اثنين وسبعين مليون دينار.عدا الضريبة العينية التي كانت تؤخذ مما تنتجه الأرض من الحبوب[3] حتى إن الرشيد كان يستلقي على ظهره وينظر إلى السحابة المارة ويقول:اذهبي حيث شئت يأتيني خراجك. [4]

ومما يؤخذ على سياسة الرشيد المالية،أنه أطلق العنان للبرامكة يتصرفون في الأمور الإدارية والمالية.حتى أصبح وكأن ليس له من الأمر شيء.أو أن الأمر لا يعنيه كخليفة للمسلمين.فاستبدوا بزمام الأمور من دونه.فقلد الوزراء الخلفاء والأمراء وساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم.وسرت هذه العادة بين القوم جميعهم سواء في الحاضرة أو الأمصار [5] و أصبح للوزير من السلطة ما يمكنه من تعيين أو عزل العمال والقضاة بعد مراجعة الخليفة اسميا. وجرت العادة أن يعهد إلى الوزير بمصادرة أملاك من يغضب عليه الخليفة من العمال. وكذلك كان يفعل العمال في الأمصار. فيصادرون أملاك صغار الموظفين وسواهم. بل كذلك كان يفعل و الخليفة بالوزير حين يغضب عليه ويصرفه. [6]

وهكذا أصبح خلفاء العصر العباسي الأوائل أغنى الملوك الذين عرفهم عالم العصور الوسطى.وتلك الموارد العظيمة والثروة الخيالية،كانت من أمضى أسلحة الخلفاء في تحقيق مشروعاتهم في السياسة الداخلية والخارجية.وإنجاز مشروعاتهم المدنية والعسكرية.

---

(1) محمد عبد الحي شعبان :**الثورة العباسية**، ص 43

(2) حسن إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام** 55/2.

(3) الطبري:**تاريخ8**/238. عبد المنعم الهاشمي:**الخلافة العباسية**،دار ابن حزم للنشر والتوزيع،بيروت، ط1 ،1424 هـ /2003م،ص230.

(4) ابن الطقطقا: **الفخري**، ص 195.

(5) حسن أحمد محمود :**العالم الإسلامي في العصر العباسي** ،ص 173.

(6) فيليب حتي:**تاريخ العرب** 395/2.

كن الأمر الذي لا يغتفر بحيال الخلفاء في العصر العباسي الأول هو أنهم لم يطبقوا المبادئ التي طبقوها في فاستصفى الرشيد أموال البرامكة وأخذ ضياعهم وأموالهم ومتاعهم .فوجد لهم مما حباهم به اثنى عشر ألف ألف ووجد من سائر أموالهم ثلاثين ألف ألف وستمائة ألف وستة وسبعين ألفا.وأما غير الأموال من الضياع والغلات فشيء لا يوصف أقله ولا يعرف أيسره." [1]

ويمكننا الحصول على فكرة تقريبية لما أخذه البرامكة من أموال الدولة،إذا نظرنا إلى واردهم السنوي، وإلى عظيم الهبات التي وهبوها.فيذكر ابن قتيبة أن مبلغ جباية البرامكة سنويا بلغت عشرين مليون درهم.وأن مقدار ما قبضه الرشيد من أموالهم بلغ ثلاثين مليونا وستمائة وستين ألف درهم.بالإضافة إلى ضياعهم وغلاتهم ودورهم، والدقيق والجليل من مواهبهم.فإن ذلك لا يوصف أقله ولا يعرف أيسره،إلا من أحصى الأعمال وعرف الآجال. [2] وبهذا الإجراء – تجريد البرامكة من صلاحياتهم وأملاكهم– أعاد الرشيد هيبة الخلافة في تقرير الأحكام. وصرف الأموال.فكانت الخيزران أم الهادي والرشيد لما توفيت سنة ثلاث قد خلفت مائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم.و مات محمد بن سليمان وقبض الرشيد أمواله بالبصرة وغيرها.فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات. [3]

ففي الوقت الذي كبتوا فيه عناصر الموالي الصاعدة وألزموها حدود الطاعة للخلافة،وحافظوا على قدرتهم وفعاليتهم.أطلقوا لعناصر الموالي العنان في لحال الاقتصادي فبرعوا فيه وسيطروا عليه وتملكوا ثروات البلاد سواء في الحاضرة أو الريف.وتألفت منهم طبقة ممتازة هابها الخلفاء ورجال الدولة. [4]

ثالثا : مظاهر الإصلاح المالي.

رصت الدولة العباسية من بواكير عهدها،على تحقيق التوازن بين مواردها ومصروفاتها.فكان الخلفاء العباسيون الخمسة الأوائل قديرين في توجيه سياستهم المالية.وعلى الرغم من بعض التجاوزات في بعض الأمور التي أنفقت فتها أموال عظيمة.لكن ذلك كان مجرد حالات معدودة.أما السياق التاريخي العام لمالية الدولة العامة،فقد كانت تهدف إلى الحفاظ على موارد الأموال ونفقاتها في وجوهها.

---

(1) ابن قتيبة:**الإمامة والسياسة**،مطبعة النيل،القاهرة،322/2-324 .

(2) المسعودي:**مروج الذهب** 348/3.

(3) المصدر نفسه.

(4) حسن محمود:**العالم** 172

الإسلامي،ص

1 / أخذ الفيء من مواضعه بعدل:

درج خلفاء بني العباس الأوائل على الاهتمام بالأموال موردا ومصرفا.ولما كان أهم هذه الموارد في عصرهم على الإطلاق هو الفيء أو الخراج.فقد واظبوا على جمعه وأكبوا جميع اهتمامهم على حسن التصرف فيه قبضا وإنفاقا.ومع ذلك فقد ظهرت تجاوزات وحصلت غفلات،لحق من خلالها أذى كبير لأهل الخراج من قبل عمال الخراج.سواء تعذيبا أو ضريبة أو مصادرة.

فقد أمعن عمال العباسيين في إرهاق الرعية على ما لم يجوزه دين.وعلى ما لم يجر مثله في الدولة السالفة. وأصبحت الأموال تجبى بأنواع من الظلم.وتصرف في ضروب من الإسراف.وفشا الترف حتى تجاوز كثيرا مدى ما بلغته الرفاهية في عهد بني مروان. (1)

على أن خلفاء بني العباس الأولين كانوا على استعداد لحفظ أموال الرعية من ظلم العمال الغاشمين. فاقترح لذلك ابن المقفع على المنصور،وضع قانون لجباية الخراج لمنع تجاوزات الجباة. فرأى ابن المقفع "أتمسح الأراضي ويفرض عليها المال المناسب،ويعرف كل مالك ما عليه، ويدون ذلك في سجلات تحفظ أصولها في دواوين الدولة" (2)

وذلك حتى يتيقن الخليفة بأن موظفي الضرائب سوف لا يسلبونه ثمرة جهده.إذ بمقتضى هذا النظام سوف لا يجدون منفذا للظلم أو الخيانة. (3) والمنصور هو الخليفة الذي جاء إلى الحكم مليئا بالنيات بة في إجراء أي تعديل يصلح للرعية شأنها.فقد قرر في افتتاح برنامج خلافته أن يتقرب إلى الله تعالى بالعمل في طاعته سبحانه وتعالى وبث سنة رسوله صلى الله عليه وسلم،راجيا العدل وإماتة الجور،وأخذ الفيء من مواضعه التي جرت بها السنة بحق. (4)

لأن استقامة الخراج ورجاؤه لعمارة البلاد والاستكثار من الغلات،لا يكون إلا باستصلاح أهله والعدل عليهم،والإنصاف لهم،والرفق بهم.والعون على ما هم بسبيله،والترغيب لهم فيه بالتوسعة عليهم في المعايش والتخفيف عنهم في المؤونات. (5)

---

(1) محمد كرد علي:**أمراء البيان**،مطبعة لجنة التأليف والنشر،القاهرة،1355هـ/1937م،100/2 .

(2) حنا الفاخوري:**ابن المقفع**، ص 25.

(3) بشار قويدر :**الإصلاح السياسي والاجتماعي**،ص 57 .

(4) الزبير بن بكار:**الأخبار الموافقيات** 75/7 .

(6) الماوردي:**نصيحة الملوك** ،ص 242-243 .

ويؤكد القاضي أبو يوسف هذا المعنى فيقول:"إن العدل وإنصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما في ذلك من الأجر يزيد به الخراج.وتكثر به عمارة البلاد، والبركة مع العدل،وهي تفقد مع الجور.والخراج المأخوذ من الجور تنقص البلاد به وتخرب." [1] فكان المنصور عند وعده،فجعل جباة الضرائب تحت رقابة دقيقة لئلا يظلموا،أو يستأثروا بأموال الدولة. [2]

واستحدث المنصور كيلا جديدا لجباية الخراج عرف بالقفيز الهاشمي[3]ولا شك أن ذلك كان خطوة حاسمة في سبيل الإصلاح المنشود.لأنه لا يمكن لمبادئ مهما سمت أن يضمن تطبيقها إلا على أيدي عمال مخلصين شرفاء. واقترنت هذه الإصلاحات بمحاولة جادة لزيادة دخل الدولة لمواجهة النفقات المتزايدة والمطالب الملحة. وكان حريصا على أن يملك احتياطا من الخراج ببيت المال لمواجهة نفقات الجند ونفقات الدولة.

و في وصيته لولي عهده المهدي نصح أبو جعفر المنصور بالفيء خيرا:"... وعف عن الفيء، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك." [4] وليس يختص العدل بالأموال دون الأقوال والأفعال،فالعدل بالأقوال أن تؤخذ بحقها،وتدفع إلى مستحقيها. [5]

ومن مظاهر الاهتمام بمورد الفيء قبضا و إنفاقا.ما أشار به أبو عبيد الله وزير المهدي.إذ اقترح على المهدي أخذ الفيء عن موضعه بسننه وعدله على قدر ما يطيق أهله من التخفيف عنهم.وحتى يترك لهم ما يصلح أرضهم. ومن تحت أيديهم من أعوانهم وعيالاتهم. وحتى ينفق على فقيرهم.

---

(1) أبو يوسف:**الخراج** ،ص 111 .

(2) عبد العزيز الدوري:**العصر العباسي الأول** ،ص 81.

(3) القفيز الهاشمي:قال أبو عبيد:القفيز الحجاجي هو ربع القفيز الهاشمي ،وهو ثمانية أرطال .وقال:القفيز الحجاجي صاع عمر.انظر ابن سلام : **الأموال** ،ص462.

(4) الطبري:**تاريخ** 106/8

(5) الماوردي:**أدب الوزير**، صححه حسن الهادي حسين،مكتبة الخانجي،القاهرة، ط2 ،1994، ص 4. وكيع:المصدر السابق ،ص 102-103.

"فإن ذلك أعمر للبلاد ،و أدر للحلب، وأكثر للخراج،وأعدل للرعية.وإن قليلا ما يوجد منهم في التخفيف عليهم مع عمارة بلادهم وأنصبتهم أكبر أضعافا كبيرة ما يوجد منهم في إهلاك أنفسهم وخراب بلادهم." (1)

وقد انتبه العباسيون الأوائل لهذه النقطة منذ بدء سلطانهم.وأكد أبو جعفر المنصور على أحقية كل مصر بفيئه. ووعد بتنفيذ ذلك حين قال أنه سيعمل على "إحياء العدل،وإماتة الجور، والأخذ لفيئكم من حقه،ووضعه في مواضعه التي جرت بها السنة ونزل بها الكتاب. ومنعه من باطله." (2)

وفي ذلك الوقت حصل تذمر ومعارضة كبيرة على من قبل المقاتلة في خراسان على إرسال فضول فيئهم إلى ئز.لأنهم يرون أن ذلك من حقهم بحكم فتحهم البلاد.ويرون أن الفيء يجب أن يقسم فيهم كاملا.أو يعود الفضول إلى بيت مال الإقليم (3)

مما جعل أبا عبيد الله يتفطن إلى سد هذا الفراغ .بأن اقترح من جديد على الخليفة المهدي ضرورة وضع الفيء في مواضعه بعد استخراجه على سننه وعدله. (4) مستدلا بالآيات الأربع من سورة الحضر وآية الخمس في سورة الأنفال التي أولاهن قوله تعالى:"ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى"إلى قوله: " شديد العقاب" (5)

وقد عرف أمير المؤمنين –إن شاء الله– أن أهل هذه الآية ومواضعها .ثم قال:" للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله.." (6) ليس فيهم الأنصار ثم قال:"والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم.." (7)

يقول أبو عبيد الوزير:"وقد عرف أمير المؤمنين –إن شاء الله– أن أهل هذه الآية هم الأنصار ليس فيها من المهاجرين أحد. وقال تعالى:"والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا

---

(1) وكيع:**أخبار القضاة** 102/2.

(2) الزبير بن بكار:**الأخبار الموافقيات7**/ 57 ، محمد عبد الحفيظ المناصير:**الجيش** ،ص 340 .

(3) الطبري:**تاريخ** 95/7 ، المناصير:المرجع السابق ،ص 399.

(4) وكيع:المصدر السابق 103.102

(5) **سورة الحشر 7**.

(6) **سورة الحشر 8**.

(7) **سورة الحشر 9**.

بالإيمان.."[1] وعرف –أمير المؤمنين– أن أهل هذه الجماعة من بقي من الإسلام، ومن هو داخل فيه حتى تنقضي الدنيا.[2]

ويضيف أبو عبيد الله عن مصدر استقائه لهذا الاقتراح أنه بلغه "أن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– فسر هؤلاء الآيات الثلاث موضعا لهذا الفيء.وكذلك بلغني عن عمر بن عبد العزيز (...) فهذا الفيء كذلك بينهم وفيهم. على ما يرى إمام العامة في قسمته بينهم من تفصيل بعضهم على بعض على ناقبهم،وسابقتهم،وولاية من ولي الله فتح أول ذلك على يديه منهم وحفظ أعقابهم من بعدهم.وكذلك بلغني أنه كان يفعل."[3]

فنلاحظ أن بعض اقتراحات أبي عبيد مثلا وغيره من الفقهاء،كانوا يستنتجون اقتراحاتهم من خلاصات أعمال ناجحة سابقة في صدر الإسلام والعصور التالية.

2 / أخذ الصدقات وتوزيعها:

التزمت الحكومة الإسلامية التزاما تاما بحق الفقير. من ملبس و مأكل ومسكن. والقيام بحق الفقير مبدأ مهم جدا في التفكير الاقتصادي في الإسلام. وليس ما يعطى الفقير منحة أو عطاء،بل هو حق لازم يتحمله الأغنياء قبل الفقراء.

وأخذ هذه الصدقات وإن كان معلوما منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.ومعمولا به في كل أقطار سلام. غير أننا نجد أبا عبيد الله وزير المهدي يذكر الخليفة بهذه الصدقات أخذا وتوزيعا.ونراه يطالبه بأخذها بعينها دون زيادة ولا نقصان.لأنه وجد في ذلك سوءا في جمعها وتوزيعها.

فاقترح على الخليفة المهدي قائلا:

"ووضع هذه الصدقات في واضعها [4] من أهل الصدقة الذين أمر الله بهم في كتابه لا يجاوز بها إلى غيرهم. ولا يقتصر بها دونهم يوم [5] تدلك الآية التي في براءة وهي :"إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...والله عليم حكيم." [6]

---

(1) **سورة الحشر10**.

(2) وكيع:**أخبار القضاة** 2/ 103

(3) المصدر نفسه.

(4) لعل صوابه"مواضعها"انظر:محمد فرقاني:**رسالة العنبري– عرض وتحليل –** ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر ،عدد12،ص125.

(5) لعل صوابه"كما تدلك" انظر: محمد فرقاني:المرجع نفسه ، ص 126 .

(6) **سورة التوبة 60**.

تقسم هذه الآية على ما يرى الإمام من قسمتها بينهم على قدر قلة كل صنف منها وكثرته. ولا يعدل صدقة عن أهل بلدها إلا أن يستغنوا عنها. أو يستغنوا بما يقسم فيهم منها في عامهم ذلك إلى حين يقسم الصدقة فيهم من قابلهم. فإذا كان كذلك عدلت عنهم عامهم ذلك أدنى من يليهم من الفقراء على نحو من ذلك القسم." [1] وأخذ الصدقات من مواضعها لها تأصيل شرعي استند عليه الوزير أبو عبيد الله.وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قاضيا.أوصاه أن يأخذ من أغنيائهم صدقة ترد إلى فقرائهم. [2]

و يؤكد العنبري مشيرا على المهدي ضرورة أخذ الصدقات من مواضعها بحق.فيقول:
"هذه الصدقات أخذها من واضعها [3] لا يجاوز بسر فريضة إلى ما فوقها.ولا يقتصر بها إلى ما دونها. ولا يغلي عليها قيمتها." [4] ويستدل الوزير العنبري بقوله صلى الله عليه وسلم:"المعتدي بالصدقة كمانعها." [5]

وفي خلافة الرشيد،كان القاضي أبو يوسف يرى أن المؤلفة قلوبهم المذكورين في الآية قد ذهبوا. والعاملون عليها يعطيهم الإمام ما يكفيهم من غير سرف ولا تقتير.والغارمون هم الذين لا يقدرون على قضاء ديونهم سهم،وفي السبيل المنقطع بهم سهم.يحملون به ويعافون،وفي الرقاب سهم،وسهم في إصلاح طرق المسلمين. [6]

وينصح أبو يوسف الخليفة هارون الرشيد بضرورة أخذ الصدقات بحقها ووضعها في مواضعها. فيقول: "فمر يا أمير المؤمنين العاملين عليها بأخذ الحق وإعطائه من وجب له وعليه،والعمل في ذلك بما يناسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم الخلفاء من بعده." [7]

---

(1) وكيع :**أخبار القضاة** 104/2.

(2) لعل صوابه"مواضعها"انظر:محمد فرقاني:**رسالة العنبري** ،ص 125 .

(3) أخذا بحديث رسول الله سلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قاضيا فقال له:إنك ستأتي قوما أهل كتاب. فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة.فإن أطاعوك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ... ابن حجر العسقلاني:**فتح الباري شرح صحيح البخاري3**/450)

(4) وكيع :المصدر السابق 104/2.

(5) المصدر نفسه.والحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه،تح عبد الرحمن بن محمد عثمان ،دار الفكر،بيروت، ط2،1403 هـ/1983م،79/2،رقم 641.

(6) أبو يوسف:**الخراج** ، ص 81، محمد الخضري:**الدولة العباسية** ،ص 138 .

(7) المصدر نفسه ص 76 .

وكان للصدقات ديوان في حاضرة الخلافة.وكذلك الحال في سائر الولايات الإسلامية. ويشترط في رئيس هذا الديوان أن يكون ملما بأحكام الزكاة وأنصبتها المفروضة على أموال المسلمين وممتلكاتهم. ويراعي في ذلك أن تكون رواتب عمال الصدقات حسب ما يجبونه حتى لا تستغرق أكثرها. (1)

وكان القاضي أبو يوسف ينصح أمير المؤمنين باستعمال رجال نصح في أخذ الصدقات دون تجاوز. فيقول :"ومر يا أمير المؤمنين باختيار رجل أمين ثقة عفيف ناصح مأمون عليك، وعلى رعيتك فوله الصدقات في البلدان.ومره فليوجه فيها أقواما يرتضيهم،ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم،يجمعون إليه صدقات البلدان" (2)

ويفرق أبو يوسف بين مال الصدقة ومال الخراج.فيقول:"ولا ينبغي أن يجمع مال الخراج إلى مال الصدقات والعشور ،لأن الخراج فيء لجميع المسلمين والصدقات لمن الله عز وجل في كتابه. (3) أخذا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قاضيا فقال له:إنك ستأتي قوما أهل كتاب ،فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،فإن هم أطاعوك،فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة،فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم... فرزق عامل الخراج من مال الخراج.كما أن رزق عامل الصدقة في مال الصدقة من سهم العاملين. (4)

ونصح العنبري بوضع الصدقات في مواضعها من أهل الصدقة الذين أمر الله بهم في كتابه،ولا يجاوز بها إلى غيرهم،ولا يقصر دونهم.كما تدل الآية التي توضح أصناف المستحقين للزكاة،وهي:

"إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم." (5)

---

(1) محمد جمال الدين سرور:**تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق،منذ عهد الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري**،دار الفكر العربي،القاهرة،ص 124 .

(2) أبو يوسف:**الخراج** ،ص 80 .

(3) المصدر نفسه.

(4) الماوردي :**الأحكام السلطانية**، ص 271.

(5) **سورة التوبة 60**.

وكان أبو يوسف يرى بتضعيف الصدقات على النصارى من بني تغلب عوضا عن الجزية.مستدلا بما روي عن زياد بن حدير قال:إن أول من بعث عمر بن الخطاب على العشور إلى ههنا أنا.فأمرني أن أغلظ على نصارى بني تغلب .قال:إنهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب لعلهم يسلمون. (1)

وكان وجه هذه المضاعفة في الصدقات أن كل نصراني من بني تغلب له غنم سائمة،فليس فيها شيء حتى تبلغ أربعين شاة.فإذا بلغت أربعين سائمة ففيها شاتا إلى عشرين ومائة.فإذا زادت شاة ففيها أربع من الغنم.وكذلك البقر والإبل إذا وجب على المسلم شيء في ذلك فعلى النصراني التغلبي مثله مرتين ونساؤهم كرجالهم في الصدقة. (2) ولم يكن اقتراح المضاعفة في الصدقات جديدا،فقد اقترح أبو عبيد الله العنبري الوزير على المهدي أن يؤخذ من تجار أهل الذمة ضعف ما يؤخذ من تجار المسلمين.لما بلغه من أن عمر بن الخطاب أمر به أموال تجار أهل الذمة. (3)

3 / واقع عمال الخراج :

إذا كان ابن المقفع قد اشتكى للمنصور عدم وجود قانون محدد،تجبى من خلاله الأراضي ، فلا يتجاوز فيها بحد لا ينقص منها شيء.فإن في هذه الفوضى عذرا قد يعتذر به هؤلاء العمال.ولأن الأمر اختلف كثيرا في عهد المهدي،فقد ظهر جليا فساد العمال،وبان عورهم. ولم يكن لهم في ذلك عذر الفوضى والتجاوز في أخذ ما ليس لهم به حق .فأرهقوا عمال الخراج بالضرائب الزائدة والزائفة،بل وعذبوهم من أجل ذلك عذابا شديدا. "فكان أهل الخراج في عهده يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنانير والسنانير". (4)

وكان محمد بن مسلم فيهم،فقال للمهدي :يا أمير المؤمنين،هذا موقف لهما بعده،ونحن غرماء المسلمين. فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء.فتقدم إلى أبي عبيد الله بالكتاب إلى جميع العمال برفع الضرائب عن أهل الخراج. (5) ففي هذا الموقف ظهر المهدي مستشيرا لأحد خاصته في أخذ رأيه في أهل الخراج المعذبين. فظهر له مستشاره أمينا في الإدلاء بالرأي الصائب.وما كان من المهدي إلا أن حزم في تطبيق ما استقر عليه الرأي من رفع العذاب عن أهل الخراج.

---

(1) أبو يوسف:**الخراج** ،ص 120-121.

(2) المصدر نفسه ،ص 120.

(3) وكيع :**أخبار القضاة** 104/2.

(4) الجهشياري:**الوزراء**، ص 103 .

(5) المصدر نفسه

ورغم الإجراءات الصارمة التي كانت تتخذ زمن المنصور تجاه العمال الخائنين.إلا أنه في زمن المهدي. بدأت الأمور تأخذ نوعا من التسيب ولين المعاملة.

فقد ولى المهدي موسى بن مصعب على خراج مصر وصلاتها.في سبعة ذي القعدة 167هـ ،فشدد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل فدان [1] ضعف ما تقبل [2] به.ثم عاد موسى إلى الرشوة في الأحكام،وجعل خرجا على أهل الأسواق وعلى الدواب. وقال الشاعر يصف ذلك كله:

لو يعلم المهدي ماذا الذي يفعله موسى وأيوب.

بأرض مصر حلا بها لم يتهم في النصح يعقوب*.[3]

ويبدو أن ظلم العمال خاصة في فرض الضرائب،وزيادة الخراج.كان عن طمع في أنفسهم . وجشع إلى جمع الأموال،والزيادة فيها.وربما كان ذلك راجع لقلة رواتبهم.فمع أن المنصور شدد عليهم المراقبة، وأكثر في محاسبتهم على الدوانيق والحبات،لكنه من جانب آخر،كان قد أحسن إليهم في رواتبهم.

فكانت أرزاق الكتاب والعمال في زمنه للرؤساء ثلاثمائة درهم للرجل ونحو ذلك.وجرت على ذلك إلى أيام المأمون.[4]

ولذلك كان أبو يوسف يوصي هارون الرشيد أيضا بهذه المسألة فيقول:"...إذا استعملتهم على شيء فأجزل لهم في العطاء والرزق حتى لا يحتاجون."[5]

---

(1) الفدان:إنما هو الفدادين مخففا ،واحدها:فدَان مشدد،وهي البقر التي يحرث بها.وأهلها أهل جفاء وغلظة.ابن الأثير :**النهاية في غريب الحديث** 419/3

(2) من القبالة وهي أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطي .فذلك الفضل ربا.فإن تقبل وزرع فلا بأس .والقبالة بالفتح أي الكفالة ، الأصل مصدر :قبل . بقتح الباء . إذا كفل ،وقبل . بضم الباء . إذا صار قبيلا أي كفيلا . ابن الأثير :المصدر نفسه60/4.

*وهو يعقوب بن داود كاتب المهدي .وقد عزله المهدي بعد أن اتهمه بالتستر على زندقة ابنه الذي قتله المهدي حدا.ويذكر الطبري أن يعقوب كان يدخل على المهدي ليلا ويرفع إليه النصائح الحسنة من أمر الثغور،وبناء الحصون ،وفكاك الأسارى ،والقضاء على الغارمين، والصدقة على المتعففين ،فحظي بذلك عنده واتخذه أخا في الله تعالى،ثم تغير لما ذكر وحبسه . الطبري:**تاريخ8**/228.

(3) الكندي:**ولاة مصر** ،ص 148-149.

(4) الجهشياري:**الوزراء** ،ص 88 .

(5) أبو يوسف:**الخراج** ،ص 113 .

لة الزيادة على أهل الخراج يعللها أبو يوسف في أحسن الأحوال أنها تكون بسبب الحاجة. فيقول:"لا يؤخذ أهل الخراج برزق عامل ولا أجر مدى ولا احتفاف ولا نزلة ولا حمولة طعام السلطان،ولا يدعى عليهم بنقيصة فتؤخذ منهم.ولا يؤخذ منهم ثمن صحف ولا قراطيس ولا أجور الفيوج[1] ولا أجور الكيالين ولا مؤنة لأحد عليهم في شيء من ذلك ولا قسمة ولا نائبة سوى الذي وصفت من المقاسمة. [2]

وينفي أبو يوسف تعليلات العمال في العسف وأخذ اقتطاعات مالية،في شكل ضرائب على التجار والفلاحين خاصة.فقال :" ولا يؤخذوا بأثمان الإتيان ويقاسموا الاتيان على مقاسمة الحنطة والشعير... ولا يؤخذ منهم ما قد يسمونه رواجا لدراهم يؤدونها في الخراج.فإنه بلغني أن الرجل منهم يأتي بالدراهم ليؤديها في خراجه ،فيقتطع منها طائفة ويقال هذا رواجها وصرفها." [3]

ثم يرسم القاضي أبو يوسف وسائل العلاج والإصلاح،بعد الكشف عن الداء. ثم يشير أبو يوسف وهو الفقيه النبيه ،والقاضي العادل،على هارون الرشيد بإرسال لجنة تقصي الحقائق فيما يتعلق بشؤون أي عامل من عماله،ويأتونه بالتفاصيل،ثم هو يقرر الإجراءات اللازم اتخاذها إزاء هذا العامل أو ذاك.

فيقول أبو يوسف: رأيت أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد،وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر،فإذا ثبت ذلك عندهم وصح ،أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ،حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجهة، والنكال حتى لا يعتدوا ما امروا به وما عهد إليهم فيه. [4]

فالواجب على الخليفة كما يرى أبو يوسف أن يتحقق في شؤون العمال المتهمين،لأنه ربما حدثت شحناء فيما بينهم ، فتألى الواحد منهم على الآخر كذبا وزورا،وربما حدثت تجاوزات خطيرة وتستر عليها فأصبحت كأنها لم تقع، وفي بالغ الأثر في انتشار التكتم على الظلم وتكميم الأفواه.

وأبو يوسف إذ يشترط هذه الصفات ،فهو على دراية بواقع الجباة وعمال الخراج.وبما هم عليه من التلاعب بالأموال العمومية.وقهر أهل الخراج.وربما كان للعامل بطانة فاسدة . يستعين بهم في أمر الجباية فيقعون في انتهاك الأموال بأشكال مضاعفة.

---

(1) الفيوج جمع مفرده فيج ،وهو رسول البريد.قال ابن منظور:الفيج رسول السلطان على رجله.فارسي معرب.وقيل:هو الذي يسعى بالكتب.(ابن منظور:**لسان العرب39**/3497)

(2) أبو يوسف:**الخراج**،ص 109.

(3) المصدر نفسه ،ص109.

(4) المصدر نفسه ،ص 111 .

ويعتبر مسؤوليات عمال الخراج كمسؤولية القضاة فيقول للخليفة:"وقد يجب الاحتياط فيمن يولى شيئا من أمر الخراج والبحث عن مذاهبهم والسؤال عن طرائقهم.كما يجب لك فيمن أريد للحكم والقضاء." (1)

ويصر أبو يوسف على ضرورة عقوبة الجاني من هؤلاء العمال في حال وقوع ظلم منهم أو عسف لرعية،فيقول:" وإن أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف، وإن لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج،واجترؤوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لا يجب عليهم" (2)

فالتردد في معاقبة الجاني يجرئ غيره على اقتراف التجاوزات الخطيرة،لأنه يضع في خلده أنه سوف لن يعاقب،مما يستمريء البعض الآخر ارتكاب المخالفات الكبيرة بيسر واطمئنان. فالعقوبة إذن ليست توجع الجاني فقط،وإنما تضع حدا زاجرا في نفوس الآخرين فيرتدعوا وربما لا يكون الخلل من العامل نفسه،ويكون من بطانته السيئة، فتملي عليه سوءا،أو تتصرف كما تهوى باسم العامل،وتحسب جميع تصرفاتهم عليه،وإن لم يشعر.

يقول أبو يوسف :"فإنه بلغني أنه قد يكون في حاشية العامل والوالي جماعة: منهم من له به حرمة، ومنهم من له إليه وسيلة.ليسوا بأبرار ولا صالحين.ويستعين بهم ويوجههم في أعماله.يقتضي بذلك الذمامات . فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه،ولا ينصفون من يعاملونه. إنما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية.ثم إنهم يأخذون ذلك فيما بلغني بالعسف والظلم." (3)

ولقد صور القاضي أبو يوسف واقع عمال الخراج في عهد الرشيد،وهو يستنكر مثل هه الممارسات التي ترتكب في حقهم فقال:"ولا يضربن رجل في دراهم خراج ،ولا يقام على رجله.فإنه بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس،ويضربونهم الضرب الشديد.ويعلقون عليهم الجرار،ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة.وهذا عظيم عند الله شنيع في الإسلام." (4)

وربما استعمل الوالي أكثر من واحد في جباية الخراج ،ويفرض لهم جعلا يطالبون به صاحب الخراج.وفي بعض الأحيان يوظف أكثر مما يطالب به الرجل من الخراج.فإذا أتاه لك الموجه إليه قال له:أعطني الجعل الذي جعله لي الوالي.فإن جعلي كذا وكذا.فإن لم يعطه ضربه وعسفه وساق البقر والغنم .. (5)

---

(1) **الخراج** ،ص 107.

(2) المصدر نفسه ،ص 111 .

(3) المصدر نفسه ،ص107 .

(4) المصدر نفسه ، ص 109.

5) المصدر نفسه ،ص 108.

وبالتالي تحسب هذه الأعمال الفاسدة على العامل أو الوالي. وكنتيجة لذلك فقد أصدر الفقهاء في ذلك العصر حكما بأن من أعسر بخراجه ينظر إلى ايساره. [1]

4 / ترشيد النفقات:

ترشيد النفقات معناه استخدام الموارد المتاحة في سد حاجات العامة،بهدف تحقيق أكبر قدر من الرفاهية العامة للشعب،ويتطلب ذلك حرصا تاما في إنفاق هذه الأموال،حتى لا تفرغ خزينة الدولة ،بسبب التبذير في النفقات ،أو تمتلئ بسبب التشديد على الرعية في الإيرادات ، وإثقال كاهله،بتحمل كامل مسؤولياته في دفع الضرائب وتسديد النفقات.

وإن ثروة الدولة المالية لتقاس بما يبقى في بيت مالها من دخلها بعد النفقات،لا بمدار الدخل على الإطلاق،إذ قد يكون الدخل كثيرا،والنفقة أكثر منه،فتقع الدولة تحت العجز.

والدولة العباسية أقامت ديوانا يختص بالنظر في نفقات دار الخلافة وحاجاتها،وصرف استحقاقات أفراد الحاشية،وكان يضم قسما يتولى الإنفاق على المباني والمرمات التي يطلب الخليفة إجراءها [2]

وتظهر نفقات الخلفاء العباسيين الأوائل متباينة من خليفة إلى آخر،غير أن ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا بين الخلفاء العباسيين الخمسة الأول،هو الالتزام بالمحافظة على أصول ايرادات الأموال والتحكم في نفقاتها،فهو وإن ظهرت بعض التجاوزات عند البعض، منهم مثل المهدي والرشيد، فإن هذا لا ينفي مدى تطور الدولة من حيث المنشآت ،ومظاهر الحضارة والرفاه في عصريهما،وفي الوقت نفسه كانت خزينة الدولة في وضع صحي مريح ،فلم نسمع بعجز مالي ،أو ضمور للموارد والنفقات.

ومهما يكن من أمر ،فإن نفقات عصر الدراسة من السفاح إلى الرشيد ، يمكن حصر المصروفات الآتية:

أولا :أرزاق القضاة والولاة والعمال قال أبو يوسف :"فيجري على والي كل مدينة وقاضيها بقدر ما يحتمل، وكل رجل تصيره في عمل المسلمين فأجر عليه من بيت مالهم ولا تجر على الولاة والقضاة من مال الصدقة شيئا ...وأما الزيادة في أرزاق القضاة والعمال والولاة والنقصان مما يجري عليهم فذلك إليك ، ومن رأيت أن تزيده منهم في رزقه زدته، ومن رأيت أن تحط من رزقه حططت ..." [3]

وبلغ راتب الكاتب المبتدئ عشرة دنانير ،وكاتب ديوان القضاء والجند مائتي درهم. [4]

---

(1) الماوردي:**الأحكام السلطانية**، ص 270.

(2) جرجي زيدان :**التمدن الإسلامي**2/38.

(3) الخراج ،ص 107.

(4) عصام الدين الفقيء:**دراسات في تاريخ الدولة العباسية** ،ص89.

ثانيا :أرزاق الجند ويقصد بها رواتبهم التي تصرفها لهم الدولة،وكان الخليفة هو الذي يقدر العطاء والأرزاق التي تصرف من بيت المال[1] وقد بلغ رزق كل كاتب من رؤساء الكتاب ثلاثمائة درهم.

ثالثا:نفقات إصلاح مرافق الدولة كتطهير الأنهار وحفر الترع ،وإنشاء المجاري التي تأخذ من الأنهار الكبيرة كدجلة والفرات،لتوصيل الماء إلى الأراضي البعيدة ،وإقامة الجسور والطرق وتشييد المباني العامة.
[2]

:لك يقول أبو يوسف :"وإذا احتاج أهل السواد إلى كري أنهارهم العظام التي تأخذ من دجلة والفرات،كريت لهم. وكانت النفقة من بيت المال ومن أهل الخراج.ولا يحمل ذلك كله على أهل الخراج.وأما الأنهار التي يجرونها إلى أرضهم ومزارعهم وكرومهم ورطابهم وبساتينهم ومباقلهم وما أشبه ذلك، فكريها عليهم خاصة.ليس على بيت المال من ذلك شيء [3]

وحفر الترع يكون بعد التثبت من نفعها بواسطة من لهم بصيرة ومعرفة،فإذا تبين الإمام ذلك أمر بحفر تلك الترع ،وجعل النفقة من بيت المال،على أهل البلد ،فإنهم إن يعمروا خيرا من أن يخربوا ،وإن يعزوا خير من أن يذهب مالهم ويعجزوا [4]

رابعا :تزويد الجيوش والأساطيل بالمعدات الحربية ،وإنشاء الحصون للثغور في مواجهة الأعداء (5)

خامسا:العطايا والمنح من الأموال والمتاع والضياع التي يقرها الخلفاء للأدباء والعلماء وكبار رجال الدولة من الوزراء والولاة والقواد [6]

---

(1) محمد جمال الدين سرور:**تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق** ،ص 124.

(2) سرور:المرجع نفسه،الخضري:المرجع السابق ،ص 136 .

(3) **الخراج** ،ص 110 .

(4) المصدر نفسه ،ص 109-110 .

(5) محمد أمين صالح :**النظام المالي والاقتصادي في الإسلام** ،ص 131 .

(6) سرور:المرجع السابق ،ص 121.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال هذا البحث نستنتج مجموعة من النتائج يمكن أن نلخصها فيما يلي:

إن الخلفاء العباسيين الأوائل – حتى عصر هارون الرشيد- كانوا فعلا في مستوى التوقعات والآمال عقدتها جماهير عصر الدعوة العباسية في الدعاة.بحيث أن ما حدث من تجاوزات أو نقائص وسلبيات على مستواهم ، لا ينفي اجتهادهم في تدارك الوضع في سد الثغرات المشار إليها في الدعوات المذكورة. فهم لم يتغافلوا عن الأوضاع الفاسدة ، وما قاموا به من اصلاحات يبرهن على عدم تقبلهم للواقع .محاولين الاستفادة القصوى من مقترحات العلماء.

إن خلفاء عصر بني العباس الأوائل كانوا على أحسن تقدير للعلماء والمفكرين .فأشركوهم في أخذ المقترحات التي بنوا عليها اراتهم السياسية والاقتصادية.لذا نجد أن أبا العباس السفاح احتفى بمجالس العلماء وكان لا يجلس إلا ومعه من يحدثه.وكذا كان أبو جعفر المنصور يستوزر العقلاء من الناس ويستعملهم على أعماله.ويسارع إلى عزل أي منهم إن بلغه عنه سوء عمل.وهو الذي أوصى ابنه المهدي بتقصي أهل العقل والنظر والصلاح. وكذلك اشتهر المهدي بحبه للعدل والتقرب إلى الرعية بحسن العمل والسيرة ، وصواب الرأي . وكان هارون الرشيد أيضا يتشبه بجده المنصور في كل صفاته إلا في الإمساك فقد كان يتشبه بأبيه المهدي.وكان كثير العطاء ، جوادا.ومع ذلك فقد عهد إلى قاضي قضاته أبي يوسف ، ووجه إليه في إقامة دستور اقتصادي.وهو عبارة عن كتاب يحوي تساؤلات اقتصادية يطلب الإجابة عنها في كتاب يجعل كمرجع رئيس تسير عليه الخلافة في المسائل المذكورة.

توجه الخلفاء العباسيون الأوائل إلى النظر في مناحي الخلل المذكورة في دعوات الإصلاح الموجهة إليهم. فنظموا الجند في شكل جيش نظامي أساسي بعد أن كان مجموعة من المقاتلة توضع على الثغور ولا يرعي لها شأن في الشهر والشهرين والثلاثة دون مراعاة لرواتبهم وعوائلهم.وهو الخطأ الذي وقع فيه الأمويون من قبل ، وكان نكسة عليهم.كما كان ضروريا الإشارة إلى اعتماد قانون داخلي يعلمه كل الجند ،ويعملون به ولا يتجاوزونه.فيعرف كل منهم ما له وما عليه.

كما عمدوا إلى تمحيص البطانة والنظر فيمن يصلح أو لا يصلح للإستوزار ، ومعاقبة المسيئين منهم، فهذا الأمر لم يكن من قبل. واستعمال العمال على أساس الكفاءة ،وتوزيع المناصب على أساس الاستحقاق. بغض النظر عن الأصل أو الموطن أوالعرق.وخير مثال على ذلك ترقي البرامكة – وهم أهل خبرة بالإدارة- في مدارس المناصب العليا للدولة الرشيدية ،رغم أنهم فرس ،ورغم ما أشيع عنهم من تعصب ضد العرب. ولكن لما تحقق الخليفة الرشيد من إساءتهم وتجاوزهم الحدود المنوطة بعملهم.أزيلوا عن مناصبهم بين قتيل وسجين.

وتوجه كذلك خلفاء العصر العباسي الأوائل إلى تطوير القضاء.الذي كان فوضى قبل مجيئهم. واهتموا بعله بمثابة مؤسسة تعتمد قانونا موحدا. تذكر فيه القضية وجوابها. بعد أن كان الأمر مفرقا ومختلفا بين الأمصار. وبعد أن كانت الأحكام متفاوتة في المسألة الواحدة باختلاف المناطق. وكإجراء فعلي يبرر الاستجابة لهذا المطلب ، فقد طلب الخليفة أبو جعفر المنصور من الإمام مالك كتابة الموطأ ، وجعله بمثابة دستور يسير عليه الناس في الفتوى وأخذ الأحكام الشرعية.

وهو الأمر نفسه الذي دعا إليه الخليفة هارون الرشيد قاضي قضاته أبا يوسف في كتابة كتاب جامع للمسائل الاقتصادية المطلوبة في عصره مع وضع إجابات عنها .فاستجاب القاضي أبو يوسف وألف كتاب الخراج. اعتمده الرشيد بمثابة دستور اقتصادي مكتوب تسير عليه الخلافة.كما تولى خلفاء بني العباس الأوائل بأنفسهم النظر في المظالم في كثير من الأحيان.على اعتبار أنهم المحكمة العليا التي يحاكم إليها الولاة والعمال،فأخرج المهدي من السجون معتقلي الرأي .ورد الأموال التي صادرها أبوه المنصور تأديبا لأصحابها،ووصاه بتأديتها إليهم لكي يستقبل عهده بالإحسان إلى الناس فيعظم ويحسن في نفوسهم.

تفطن خلفاء عصر الدراسة إلى أهمية المال.في كونه عصب الحياة ، فاهتم كثير منهم بأموال الخلافة ، وشددوا في التلاعب فيها ، وعاقبوا المسرفين ، وعزلوا المسيئين في استخدام الأموال العامة من عمال الخراج وغيرهم. الأمر الذي جعل خزينة بيت المال تغص بالأموال الطائلة من الذهب والفضة. وكثيرا ما كان هذا الحرص استجابة لدعوة إصلاحية .

وأوضحت في هذا البحث أن تجربة الخليفة المنصور حاكما او واليا على الشام قد صقلت موهبته في التعامل مع مختلف الطباع . سواء المترددة أو المخالفة،أو حتى الشخصيات التي تنزع إلى النفاق وتظهر ما لا تبطن.فلم يكن المنصور غشوما يأخذ ويصادر الأموال ، وإنما الظروف التي سادت تطلبت منه مثل هذه الإجراءات.وكان التقدير المفرط الذي أبداه المنصور في حفظ الأموال للتوقي –بلا شك– محل سخط الناس ، في حين أنهم لم يكونوا يدركون أن ذلك في الصالح العام.

كما حاول العباسيون إصلاح نقد الدولة . وذلك باعتماد النقود الهبيرية واليوسفية وهي أجود أنواع النقود في العصر الأموي.وكان المنصور لا يقبل غيرها. وإدخال إصلاحات واسعة خاصة في الزراعة والخراج . بتشجيع الفلاحين ماديا ومعنويا.وتخيف الضرائب عنهم .والعدول عن نظام المساحة إلى المقاسمة على أساس المنتوج الفعلي للأرض ، دون النظر إلى المساحة.كما كان معمولا به سابقا.

كانت تربية الخليفة المهدي ونشأته الدينية والأدبية، قد صقلت نفسه ومواهبه في تقريب العلماء والحكماء وأهل الخبرة،فاستوزر معاوية بن يسار ، ومن بعده يعقوب بن داود.وهما من أشهر وزراء العصر العباسي الأول.والأمر نفسه كان في حياة هارون الرشيد خاصة مع القاضي أبي يوسف وأسرة البرامكة . وهما أهم عاملين أثرا على الحياة السياسية والاقتصادية أثناء خلافة الرشيد.

كما تبين لي من خلال هذا البحث ازدهار الأوضاع السياسية والاقتصادية بسبب وجود النقد المتواصل من قبل هؤلاء العلماء ،والذي يهدف إلى التغيير والإصلاح. وما وصول عناصر غير عربية إلى مراكز حساسة في هرم الخلافة دليل على تقبل العرب للآخر.وينفي عنهم التأثر بالفكر الشعوبي الذي طالما سار عليه الفرس.

شك فيه أن ظهور هذه الدعوات بهذا الشكل الواضح الجلي، دليل على صلاح المجتمع سكه بالقيم الإسلامية،وحرصه على طهارة المجتمع حكاما ومحكومين.وهو ما أكسب الفقهاء مكانة اجتماعية بارزة ، وجعل حياة المجتمع تسير في الأغلب وفق أحكام الدين الحنيف.

إلى جانب تشجيع الحركة العلمية بتقريب العلماء والنوابغ،واستعمالهم في وظائف مرموقة.وهو دليل على نضج الفكر السياسي لدى هؤلاء الخلفاء.

ومن أهم ما توصلت إليه في هذا البحث أن تنوع دعوات الإصلاح من حيث المصدر والموضوع،وكثرة المناظرات العلمية والردود الفكرية بين العلماء – وخاصة في مجالس الخلفاء– مما نشط ميدان الدراسات الفقهية . لأن كل فريق من المتناظرين يسعى إلى تأييد وجهة نظره ،وحشد الأدلة والحجج لنصرة مذهبه. مما أدى إلى كسر الجمود الفكري ،وإثراء الفكر الفقهي بأرقى ما وصل إليه العقل البشري من نمو وإثراء.

وفي العموم ، نجد هؤلاء الدعاة والمصلحين يبدون إحتراما كبيرا لهؤلاء الخلفاء من خلال الرسائل و المواعظ والبرامج والمقترحات.

وجملة القول،أن الأمر المحير في أوساط هؤلاء العلماء والمفكرين الذين كانوا يقومون بدور المثل الأعلى والقدوة الحسنة . لا يبدو أنهم أبدوا تحفظا إزاء هؤلاء الخلفاء ،بل بالعكس ،فقد واجهوهم وذكروهم بمساوئ الواقع. وهذه شهادات هامة تشخص بصورة خاصة مواطن الخلل ومواضع الفساد ، وتصف العلاج المناسب في شكل اقتراح جاد، أو برنامج مدروس.

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ / المصادر:دون اعتبار ل: "ال ، ابن ، أبو "

1- ابن الأثير:أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريمبن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت630هـ)

الكامل في التاريخ،راجعه محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية،بيروت،ط4، 1427هـ /2006م.

2- ابن الأثير مجي الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (544-606هـ)

النهاية في غريب الحديث والأثر،تح محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي،ط1،المكتبة الإسلامية ،1383 هـ /1963م

3- الأزدي أبو زكرياء بن محمد بن إياس بن القاسم(ت 334هـ/954م)

تاريخ الموصل،تحقيق علي حبيبة، القاهرة،1387هـ/1967م.

4-الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله(420هـ)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،دار الكتاب العربي، ط 3، 1400هـ/1980م.

5- الأصفهاني أبو الفرج (ت356هـ) :

مقاتل الطالبيين، شرح وتعليق:السيد أحمد صقر،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،1368هـ/1949

6-ابن أبي أصيبعة(668هـ)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء،دار الثقافة،بيروت ،لبنان،ط1403،3هـ/1981م.

7- البلاذري :أحمد بن يحي بن جابر (ت279هـ / 892م)

أنساب الأشراف،تح وتق سهيل زكار ورياض زركلي ،دار الفكر،بيروت، ط1417،1 هـ/ 1996م.

8- الترمذي :

سنن الترمذي،تح عبد الرحمن بن محمد عثمان ،دار الفكر،بيروت، ط1403،2 هـ/1983م

9-ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي(813-874هـ)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،تح إبراهيم علي طرخان،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،المؤسسة المصرية العامة.

10- لجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب(ت255هـ)

التاج في أخلاق الملوك،دار نوبليس، بيروت، لبنان، ط1،2005.

البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة لجنة التأليف،القاهرة ،ط1380،2 هـ، 1960 م .

مناقب الترك ضمن رسائل الجاحظ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1384هـ/1964م.

13- الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ)

الوزراء والكتاب ،طبع بمطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ،ط1357،1هـ/1938.

14- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ)
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،تحقيق محمد عبد القادر عطا،ومصطفى عبد القادر عطا،راجعه وصححه نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان.
فضيلة العادلين من الولاة ومن أمعن النظر في حال الولاة والسعاة،تح مشهور بن حسن آل سلمان، دار الوطن،الرياض،ط1418،1هـ.
15- الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت795هـ) :
الإستخراج لأحكام الخراج،دار الكتب العلمية، ط1،1405 هـ /1985م
16- ابن حوقل :
المسالك والممالك ،طبع بمدينة ليدن المحروسة،سنة1872 م.
17-ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي(ت808هـ)
مقدمة ابن خلدون،تح أحمد الزعبي،دار الأرقم ،بيروت.
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مؤسسة جمّال للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان.
19-ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر(608-681هـ) :
وفيات الأعيان وأبناء الزمان،دار صادر،بيروت.
20-خليفة بن خياط:
تاريخ خليفة ،مراجعة :مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية.
21- الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد :
مفاتيح العلوم،حققه ووضع فهارسه:إبراهيم الأبياري،دار الكتاب العربي،بيروت.
22- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود(282هـ/895م) :
الأخبار الطوال ،تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار القلم للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.
23- الذهبي شمس الدين :
سير أعلام النبلاء ،أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرناؤوط، حقق هذا الجزء مأمون الصاغرجي ، مؤسسة الرسالة.
تذكرة الحفاظ،اعتنى بطبعه السيد علي.
25-الرشيد بن الزبير(ق 5هـ) :
كتاب الذخائر والتحف،حققه محمد حميد الله،قدم له وراجعه:صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، 1959.

26- الزبيدي :

تاج العروس من جواهر القاموس،دار الفكر،بيروت،1414هـ/1994م.

27- الزبير بن بكار :

الأخبار الموافقيات ،تحقيق سامي مكي العاني،مطبعة العاني،بغداد.

28-الزياني التلمساني أبو حمو (791هـ/1338م)

واسطة الملوك في سياسة الملوك .

28-ابن سعد(ت230هـ):محمد بن سعد بن منيع الزهري :

كتاب الطبقات الكبير،تحقيق علي محمد عمر،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط1421،1هـ/2001م.9./494.

29- سهراب :

65-**عجائب الأقاليم السبعة التي بها العمارة**،اعتنى به هانس فون شريك،طبع في فيينا،بمطبعة أدولف هولزهون،سنة 1347هـ/1929م.

30- السيوطي جلال الدين :

تاريخ الخلفاء،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.

31- الطبري محمد بن جرير (224-310هـ) :

تاريخ الطبري المسمى تاريخ الأمم والملوك ، تحيق محمد أبو الفضل إبراهيم،طبعة دار المعارف،مصر،1966

32- الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري :

سراج الملوك ،1219هـ.

33- ابن الطقطقي :

الفخري في الأحكام السلطانية.

34- ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد(ت 368هـ) :

العقد الفريد،دار الكتاب العربي، بيروت ، 1402هـ / 1982م.

35-ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري(ت 1089هـ) :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط،دار ابن كثير ، دمشق.

36-العسقلاني أحمد بن علي بن حجر :

فتح البارئ البخاري شرح صحيح ،دار السلام،الرياض،ط3 ،1421هـ/2000 م .

37- أبو الفداء عماد بن اسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ) :

تقويم البلدان ، دار صادر،بيروت.

38- ابن فرحون المالكي :

تبصرة الحكام في الأقضية ومناهج الأحكام،المكتبة الأزهرية، ط1406،1 هـ /1986م.

39-ابن قتيبة :
عيون الأخبار،دار الكتب المصري، القاهرة،1346 هـ/1928م.

40-القرماني أحمد بن يوسف(ت109هـ/1610م) :
أخبار الدول وآثار الأول،دراسة وتحقيق:د.أحمد قطيط،د.فهمي سعد،عالم الكتب،ط1412،1هـ/1992م.
41-القزويني زكرياء بن محمد بن محمود :
آثار البلاد في أخبار العباد،دار صادر،بيروت.
42- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف :
تاريخ الحكماء،مكتبة المثنى ببغداد.
43- القلقشندي أبو العباس أحمد(ت820هـ) :
مآثرالأناقة في معالم الخلافة،تحقيق:عبد الستار أحمد فراج،عالم الكتب،بيروت.
نهاية الأرب في أنساب العرب.
صبح الأعشى،دار الكتاب المصرية،1346هـ/1928م.
46-الكتبي محمد شاكر**فوات الوفيات والذيل عليها**،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان.
47-ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت774هـ) :
البداية والنهاية ، دار الفكر العربي.
48- الكندي محمد بن يوسف:
ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار،دار صادر، بيروت ، 1379هـ / 1959م.
49-الكوفي أبو محمد بن أحمد بن أعثم (ت314هـ) :
كتاب الفتوح ،تحقيق علي شيري،دار الأضواء،بيروت،لبنان،ط1411،1هـ/1991م.
50-مالك بن أنس :
رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرشيد ، ،المطبعة المحمودية بمصر،1311هـ .
51- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ):
أدب الوزير،صححه حسن الهادي حسين،مكتبة الخانجي،القاهرة، ط2 ،1994.
الأحكام السطانية والولايات الدينية ، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان ط1، 1410هـ/1990م
التحفة الملوكية ، تحقيق:فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة ،1993.
نصيحة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ،1988.
55-مجهول من القرن الثالث :
أخبار الدولة العباسية ، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

56- محمد كرد علي :
رسائل البلغاء ، دار الكتب العربية الكبرى ،ط2،1331هـ/1913م،مصر.
57-المقدسي مطهر بن طاهر :
البدء والتاريخ ، باريس.
58-المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ) :
التنبيه والإشراف ، صححه وراجعه:عبد الله اسماعيل الصاوي ، المكتبة العصرية في بغداد،1357 هـ /1938م
مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الفكر.مصر،ط3،1377هـ/1958م.
60-المقدسي موفق الدين بن قدامى (ت630هـ)وشمس الدين بن قدامى (ت682هـ) :
المغني والشرح الكبير ،دار الكتاب العربي،بيروت،1403هـ/1983م.
61-المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر :
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة مدينة ليدن،1877.
62-ابن المقفع عبد الله :
رسالة الصحابة ضمن جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية، بيروت،لبنان.
63-النسائي :
صحيح سنن النسائي،صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي،بيروت،ط1409،1هـ/1988م.
64-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت677هـ/733م) :
نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق:د.محمد جابر عبد العال الحيني،مراجعة:إبراهيم مصطفى المكتبة العربية ، القاهرة ، 1404هـ/1984م.
65-ابن واردان حسين بن محمد :
تاريخ العباسيين،تحقيق:المنجي الكعبي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، ط1993،1.
66-ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر :
تاريخ ابن الوردي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1417،1هـ/1996م.
67-وكيع محمد بن خلف بن حيان(ت306هـ) :
أخبار القضاة،عالم الكتب،بيروت.
68-اليافعي أبو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت768هـ) :
مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،ط2، 1413هـ /1993م.

69- يحي بن آدم القرشي(ت 203هـ) :

الخراج،تحقيق حسين مؤنس،دار الشروق.

70-اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب :

تاريخ اليعقوبي ، دار صادر،بيروت .

71-أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(113-182هـ) :

الخراج ، المطبعة السلفية،القاهرة،ط2،1382هـ.

قائمة المراجع:

1- أحمد أمين :

ضحى الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان.

2- أحمد علبي :

العهد السري للدعوة العباسية (أو من الأمويين إلى العباسيين) ،دار الفارابي ،بيروت ، لبنان

3- أحمد مختار العبادي :

في التاريخ العباسي والفاطمي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

4- أنور الرفاعي :

الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاقتصادية والفنية ، دار الفكر، ط3،.1986

5- حسن إبراهيم حسن :

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت ،ط 13 ، 1411هـ / 1991م.

6- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف :

العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

7 - حنا الفاخوري :

ابن المقفع، دار المعارف بمصر .

8- الزركلي خير الدين :

الأعلام ، دار العلم للملايين،بيروت.

9- زين الدين بن تقي الدين الدين بن عبد الرحمن الخطيب :

محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي،تنقيح:الأمير شكيب أرسلان،طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

10-السيد عبد العزيز سالم :

دراسات في تاريخ العرب: العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

11- شاكر مصطفى :

دولة بني العباس،وكالة المطبوعات، الكويت.**الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم**،دار الفكر،ط1،1391هـ/1971.

12-صابر محمد دياب حسين :

الدولة الإسلامية في العصر العباسي :قضايا ومواقف ،دارالفكر العربي ،القاهرة ، ط 2، 1422هـ/2001م

13- صبحي الصالح :

النظم الإسلامية ،نشأتها وتطورها،دار العلم للملايين، بيروت،ط .6،1982

14-عبد الجبار الجرمودي :

داهية العرب أبو جعفر المنصور،دار الطليعة ، ط1 ،1963 .

هارون الرشيد–حقائق عن عهده وخلافته– شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،ط1، .1999

16- عبد الجبار ناجي وآخرون:

الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب.

عبد العزيز البدري :

الإسلام بين العلماء والحكام،المكتبة العلمية،المدينة المنورة،.1996

17- عبد العزيز الدوري :

أوراق في التاريخ الاقتصادي،دار المغرب الإسلامي،بيروت،ط4.

الجذور التاريخية للشعوبية،دار الطليعة،بيروت.

العصر العباسي الأول، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان.

20- عبد العزيز بن عبد الله الحميدي :

التاريخ الإسلامي مواقف وعبر(المواقف الأخلاقية) ،دار الدعوة،دار الأندلس،جدة، ط1، 1419هـ/1998م.

21- عبد العزيز السلومي :

ديوان الجند،نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون،مكتبة الطالب الجامعي،مكة المكرمة،العزيزية،1406هـ/1986م.

22- عبد اللطيف حمزة :

ابن المقفع .

23-عبد الله الفياص :

تاريخ البرامكة،مطبعة الرشيد ،بغداد،1367هـ/1948م.

24-عبد الله بن مطلق الفهيد :

مزيل الداء عن أصول القضاء،ط،مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،1372 هـ /1983 م.

25- عبد المنعم الهاشمي :

الخلافة العباسية،دار ابن حزم للنشر والتوزيع،بيروت،ط1،1424هـ/2003م.

26-علي بن أحمد مشاغل :

الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول،مشكلاتها وأساليب مواجهتها132-232هـ،دار العاصمة،الرياض،.1994

27- علي حسني الخربوطلي :

المهدي العباسي،الدار المصرية للتأليف والنشر.

28- عمر بن قينة :

الرؤية الفكرية في الحكم والرعية لدى:ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي،دار أسامة،ط1،،عمان،الأردن. .2000

29- غيداء خزنة كاتبي :

الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري،مركز دراسات الوحدة العربية،ط 2، بيروت،1997.

30- فاروق عمر فوزي :

الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي،مجدلاوي، عمان، الأردن،ط1،1425هـ/2005م.

الخلافة العباسية ،السقوط والانهيار،دار الشروق ، الأردن ، 1998.

طبيعة الدعوة العباسية،دار الإرشاد،بيروت ،1970.

33- فيليب حتي وآخران:

تاريخ العرب،دار الكشاف للنشر والتوزيع، ط2.

34- محمد أمين صالح :

النظام المالي والاقتصادي في الإسلام،مكتبة نهضة الشرق، ط1 ، 1404هـ/1984م.

35- محمد الخضري بك :

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : الدولة العباسية، مراجعة الأستاذة : نجوى عباس ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،ط 1 ، 1424هـ / 2003 .

36- محمد جمال الدين سرور :

تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي ، القاهرة .

37- محمد حلمي أحمد :

الخلافة والدولة في العصر العباسي،مكتبة الشباب، القاهرة،ط.2،1972

38- محمد سلام مذكور :

معالم الدولة الإسلامية،مكتبة الفلاح،الصفاة، الكويت،ط1403،1هـ/1983م .

39- محمد عابد الجابري:

العقل السياسي العربي،محدداته وتجلياته،ط4،بيروت،2000.

40- محمد عبد الحفيظ المناصير :

الجيش في العصر العباسي الأول (132-232هـ)دار جدلاي ،عمان ،الأردن، ط 1 ، 1420هـ/2000م

41- محمد عبد الحي شعبان :

الدولة العباسية(الفاطميون)132-448هـ/750-1055م،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،.1981

42- محمد عبد الفتاح عليان :

قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازرتها،ط 2،دار الهداية، القاهرة ، 1994 .

43- محمد ماهر حمادة :

الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول،مؤسسة الرسالة، ط4، 1406هـ/1985 م

44- مصطفى الشكعة :

إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ط 10 ، 1994 .

45- نبيلة حسن محمد :

في تاريخ الدولة العباسية،دار المعرفة الجامعية،.1995

46- نعمان ثابت :

العسكرية في عهد العباسيين،مراجعة وتعليق حامد أحمد الورد،بغداد 1978.

47- يوسف العش :

تاريخ عصر الخلافة العباسية ، مراجعة محمد أبو الفرج العش ،دار الفكر ،ط 1 ،1402هـ / 1982م.

الرسائل الجامعية :

1- بن خيرة نجيب : **الخراسانيون ودورهم السياسي والعلمي** ، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ،1995.

2- فرقاني محمد:**السياسية المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز**،رسالة ماجستير ،تاريخ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،1995م.

الدوريات:

1- فاروق عمر فوزي:**نشأة الجيش النظامي في الإسلام وتطوره حتى منتصف القرن الثالث هـ /التاسع م** ،ندوة النظم الإسلامية،أبو ظبي،11-13نوفمبر 1984.

2- فاروق عمر فوزي:**الجند الأموي والجيش العباسي**،مجلة المورد،8،العدد1979،4.

3- دريد عبد القادر نوري:**الشرطة في العراق خلال العصر العباسي الأول**،مجلة المؤرخ العربي، عدد 29، بغداد 1986.

4- فرقاني محمد: **رسالة العنبري-عرض وتحليل-** ،مجلة جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة ،العدد 12 .

5- طه خضر عبيد :**حملتا الأمير هارون الرشيد ضد الدولة البيزنطية 163-165هـ /779-781م** ،مجلة الثقافة والتراث،عدد66،رجب 1430هـ/يوليو 2009م.

المعاجم والموسوعات :

1- المعجم الوسيط،إبراهيم أنيس ،عبد الحليم منتصر،عطية الصوالحي،إشراف حسن علي عطية،محمد شوقي أمين،تقديم إبراهيم مدكور،دار الفكر،سورية.

2- لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ،دار صادر ،بيروت.

3- **المصباح المنير في غريب الشرح**:أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(ت770هـ) للرافعي، المطبعة الأميرية،القاهرة،1922.

4-**موسوعة السياسة** ، أسسها عبد الوهاب الكيالي،مدير التحرير:ماجد نعمة وآخرون،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط13،1990.

5-دائرة المعارف الاسلامية ،يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي،إبراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،مراجعة محمد مهدي علام.

فهرس الأعـــلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(أ)
ابراهيم الإمام7،8،9،10،11،12،14،66.
ابراهيم بن سلمة9.
ابن الأثير3،10،27.
ادريس بن ابراهيم العجلي10.
أردشير بن بابك36،43،54،61.
اسماعيل بن علي بن عبد الله59،61.
ابن أعثم الكوفي10.
الأمين52،80.
الأوزاعي38،39،40،40.
أبو أيوب المورياني63،44.
(ب)
بروكلمان17.
أبو بكر الصديق
بكير بن ماهان11،13.
البلاذري86.
(ث)
ثيوفانس111.
(ج)
الجاحظ132.
جرجيس بن بختيشوع51.
جعفر الصادق14.
جعفر بن برمك52،101،111،112.
الجهشياري51،112،125.
ابن الجوزي37،62.
(ح)
الحجاج بن يوسف15،22.
الحسن بن الحسن بن علي62.
الحسين بن علي2.
أبو حنيفة99.
أبو حيان العطار4.
(خ)
خالد البرمكي51،112.
خالد بن عبد الله القسري14،20.
خالد بن الصلت59.
الخطيب البغدادي100.
الخلال أبوسلمة 12،13،14،15،20،63.
ابن خلدون41،54،89.
(د)
داود بن علي31 ،32.
الدينوري
ديونيسيوس112.
(ر)
الربيع بن يونس48،51،79،127،139.
ابن رجب الحنبلي104.
الرشيد (هارون) 45،49 ،52 ،58 ،60 ،73 ،80 ،81،
82، 83، 87، 90، 98، 101، 103، 107، 109، 114،
115، 116، 117، 119، 128، 129، 135، 136، 141،
144، 145، 147، 149 .
ابن الرومي122.
(س)
السفاح عبد الله بن محمد 5،14،15،18،19
20،27،28،52،63،71،77،78،124،129،
سفيان الثوري48،44.
سليمان بن عبد الملك3.
سليمان بن كثير9،12.
سليمان بن مجالد44.
سوار القاضي100.
(ش)
شريك بن عبد الله النخعي100.
شيبان الراعي49.
(ص)
صالح بن علي 131.
(ض)
الضحاك بن قيس18.
(ط)
الطبري 12،14 ،15 ،17 ،18 ،105 ،109 ،117 ،118،
119، 130، 131 .
الطرطوشي95.
ابن طيفور81.
(ع)
عامر بن ضبارة 19.
العباس بن عبد المطلب 47.
عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي46،47.
عبد العزيز الدوري28.
عبد الله بن الحسين14.
عبد الله بن المقفع 40،61 ، 68،69 ، 70، 71، 72، 74،
80، 91، 92، 93، 104، 105، 110، 137، 143 .
عبد الله بن عمر العمري 129.
عبد الله بن محمد(أبو هاشم) 2،3،4.
عبد الله بن يحيى23.
عبد الملك بن مروان86،96.
عبيد الله بن الحسن العنبري 4 ،46 ،49 ،63 ،74 ،91 ،93
94، 95، 103، 141، 142، 143 .
عثمان بن عفان13.
علي بن أبي طالب 95

علي زين العابدين 2
عمر بن الخطاب 2،88،94،119،126،140، 143.
عمر بن عبد العزيز77،78.
عمرو بن عبيد43،37.
أبو عمرو كيسان2
عيسى بن معقل11.
(ف)
فاروق عمر فوزي16.
الفضل بن الربيع73.
فيليب حتي26.
(ق)
قثم بن العباس9. ،17،19،18،20،85،
قحطبة بن شبيب9،17،18،19،20.
قدامة بن جعفر88،115.
(ك)
ابن كثير28.
(م)
مالك بن أنس الإمام45،49،58،108.
المأمون52.
الماوردي53،54،120.
محمد ابن الحنفية 2،3.
محمد النفس الزكية 81،83.
محمد بن ابراهيم الحميري14.
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس4،10،25.
محمد عبد الحي شعبان 12.
محمد عبد الفتاح عليان21،22.
محمود شاكر24.
مروان بن محمد130،33،20،18،6،5.
المسعودي 132،131،127،124،56،9.
أبو مسلم الخرساني5،9،10،12،14،18،19، 20،27،28،52،63،71،77،78،124،129.
مصطفى الشكعة95.
معاذ بن جبل 94.
معاوية بن أبي سفيان86.
معاوية بن يسار108،106،105.
معن بن زائدة63،20.
المنصور(أبو جعفر) 46،44،43،39،38،37، 47،48،50،51،54،55،56،57،59،60،63،64،68،70، 78،74،79،80،83،86،91،96،،99،100،104،105،1 06،110،111،112 117،118،123، المهدي 39،44،47،48،49،51،57،58،60،64،70،74،78، 79،80 ، 81، 84، 86، 87، 90،91 ، 93، 96، 97،104 ، 105،107، 108، 112، 113 ، 114،117 ، 126، 127، 128،133 ، 134، 137،141 ، 143 ، 144، 147،150 .
(ن)
نصر بن سيار18،24،25.
نقفور87.
(و)
ابن واردان101.
الوليد بن سعد14.
الوليد بن عبد الملك3.
(ي)
يحيى بن آدم 119.
يحيى بن عبد الله العلوي129.
يزيد بن هبيرة33.
يعقوب بن داود58،134،144،150.
أبو يوسف،36،40 ،58 ،91 ،101 ،103 ، 108،109 ، 114، 115، 116،117 ، 118،119 ،128 ، 141 ، 142، 145، 148،

يوسف العش 25.

فهرس الفرق والمذاهب والقبائل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ا)
- الأتراك 81.
- أساقفة 51.
- الأمويون 8،2 ، 13 ، 23 ، 33،24 ، 115 .
- الايرانيون27.
- آل أبي سفيان21.
- آل البيت 25،22 ، 26 ، 28 ، 78،77 .
- آل على29.
- آل سلسان25،22.
- أهل الذمة 150.
(ب)
- البابليون125.
- البخارية80.
- البرامكة52،53،128،135،136.
- البلخية80.
- بنو أمية13،25،26،30،46.
- بنو العباس 11،41،48،75،103،109،137.
- بنو أود 14.
- بنو تغلب ،150.
- بنو مروان21،30،144.
- بنو عيسى بن معقل10.
- بنو هاشم 28،32.
- البطارقة 95.
- البيزنطيون 80،82 ،86، 87،94 ، 95،
(ج)
- الجرجانية80.
(خ)
- الخرسانية 76،79،81.
- الخوارج23.
(د)
الدهاقون22،23.
(ر)
- الراوندية 69،76.
- ربيعة25،76.
- الروم95،94.
(ط)
الطالبيون 97.
(ك)
- الكيسانية3.
(م)
-المجوس23.
- المروزية80.
- المضرية69،76.
- مضر25،76.
- المسودة 20،14.
- المسيحيون 111.
- المقاتلة13،15،24.
- مطارنة 51.
- المطوعة51،82،87.
-الموالي 77، 78،79،88.
- المولدون81.
(ن)
- النصارى21،23.
(ع)
-
العباسيون2،5،9،14،18،20،21،25،26،27،29،28
،03،87،81،79،78،75،71،68،62،61،42،33
،104،105،117،123،134،149.
- العجم77،81،83.
- العرب 8،13 ، 15 ، 16 ، 23 ، 24 ، 28 ، 76 ، 77 ، 78
،79،81،82 ، 83 ، 88 .
- العلويون26،14،2.
(ف)
- الفرس2 ، 17 ، 22 ، 24 ، 28 ، 69 ،
- الفرغانية80.
(ق)
- قريش47.
- القيسية24.
(س)
- السودان 81.
(ش)
- الشعوبية 77،78.
- الشيعة2، 4، 11،13 ، 14، 25،
- الشيعة الإمامية2.
(ي)
- اليمانية ،24 ، 69،76.
- اليهود23.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان والأماكن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ا)
- الأنبار 116،62.
- الأهواز 79.
- أرمينية 96.
- أرض الشراة 4،3.
- انطاكية 86.
- افريقية 80.
- أصبهان 19،11،10.
(ب)
- البحرين 13.
- البردان 86.
- بلاد الروم 87،86.
- بلخ 17.
- البلقاء 4.
- البصرة 136،80،48،44،16،15،13 .
- بغداد 132،116،85،83،80،79،76،56 .
- بوصير 33،20.
- بيزنطة 78.
(ج)
- الجزيرة 86،33،23،21.
جرجان 79،18.
(ح)
- الحجاز 81،60،23.
- حران 6.
- حمام أعين 32،20.
- الحميمة 3، 4، 6،5 ، 7، 14 ، 28،
(خ)
خراسان 18،17،15،14،13،12،10،9،8،5،4،
26،25،24،23،22،21،20،19،
56،66،70،73،74،76،79،80،81،87،88،
97،139.
- خيبر 106.
(د)
- دمشق 24.
(ر)
- الرصافة 85،83.
(ز)
- زابلستان
(ك)
- كربلاء 2.
- الكرخ 76- كرمان 79.
- الكنيسة السوداء 87.
- الكوفة 48،44،32، 29،21،20،14،13،11،7،6،5
129، 132،
(ل)
- اللين 17،16.
(م)
- المدينة 58،48، 60، 62، 64 .
- مرو 7،12،17.
- مرو الشاهجان 16.
- مرقونية 87.
- مكة المكرمة 134،60،58.
- ملطية 86.
- مصر 83،131،70،58،33،20.
- المصيصة 85.
- الموصل 80،61،59،20.
- ميهرجان 13.
(ص)
- الصفصاف 87.
(ع)
- العراق 133،73،60،18،17،13،5،4.
- عمان 13.
- عين زربة 87.
(ف)
- فارس 79،73.
- الفرات 20.
- فينين 17،16.
(ق)
- القسطنطينية 87.
- قوهس 18.
(س)
-سجستان 79،13.
-سمرقند 17.
- السواد 105، 117،109.
- سيفذنج 28،27،17.
(ش)
- الشام 112،83،80،22،21،3 ،
- شهرزور 19.
(هـ)
- هرقلة 87.
- همدان 18،57.
- الهند 13.

فهرس المحتويات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــداء

شكر وعرفان

مقدمـة.....**أ–ك**

الفصل التمهيدي: الدعوة العباسية وحتمية الإصلاح..... 1.

أولا :إعدادات العباسيين لدعوة التغيير..... 2.

ثانيا : مدى استجابة الناس للدعوة العباسية 9

1/دور الفـرس .....9.

2/دور العرب في الدعوة.....13.

ثالثا :برنامج العباسيين الإصلاحي.....21

1/نقاط قوة العباسيين الميدانية 21

2/مرتكزات العباسيين لاستقطاب الأنصار.....25.

ا/ شعارات دينيـة.....25.

ب/ شعارات اجتماعية .....26.

ج/ شعارات سياسية..... 27.

3/تسطير برنامج إصلاحي بديل.....29-33.

الفصل الأول: دعوات الإصلاح السياسي.....34.

تقديـم :..... ....35.

أولا: الدعوة إلى إصلاح الحاكم والحكم ....36.

ثانيا: إصلاح البطانة(وزراء،أمراء،علماء،كتاب،قادة ،مستشارون..... .....41.

ثالثا: الوصية بالعدل أساس الملك..... .....53.

رابعا: تفقد العمال ومحاسبتهم..... .....59.

الفصل الثاني:دعوات الإصلاح الإداري.....65.

أولا:إصلاح الجندية.....66

1/القضايا المطلوب إصلاحها في الجندية..... ....67.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ا/ نقص التكوين الخلقي والتهذيب الروحي.....68.
ب/ فصل الجنود عن إدارة الشؤون المالية .....70.
ج/ مراعاة الكفاءة في القيادة.....71.
د/ تعليم الجند.....72.
هـ/ العناية بأرزاق الجند في مواقيتها .....72.
و/ الاستخبار عن أحوال الجند 73
2/ تكوين الجيش النظامي.....75.
أ / عناصر الجيش العباسي.....76.
ـالعرب.....76
. المـوالي.....77. ..
. الخراسانية ....79. ..
. الأبنـاء ....81.
ب / فئات (أصناف) الجيش العباسي..... .....81.
. الجيش النظامي..... .81.
. جيش المتطوعة..... .....82.
. الحرس(والحرس الخاص)..... .....83.
ـالشرطة..... 84
3/ مظاهر اهتمام الخلفاء بالجندية.....85.
ثانيـا:إصلاح القضـاء..... .....89.
1/ القضايا المطلوب إصلاحها في القضاء.....90.
أ/ اختلاف الأحكام والأقضية .....91.
ب/ سوء استعمال الرأي .....93.
ج/اختيار القضاة.....95
2/مظاهر إصلاح القضاء.....95.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3/ استقلالية القضاء.....99.
الفصل الثالث:دعوات الإصلاح الاقتصادي..... 102.
أولا:الإصلاح الزراعي.....103.
1/تطبيق نظام المقاسمة.....104
2/ تخفيف الضرائب على الفلاحين.....109
3/استصلاح الأراضي.....116.
ثانيا:السياسة المالية للخلفاء العباسيين الأوائل.....121
1/ نظرة الإسلام إلى المال.....121
2/ نظرة الخلفاء العباسيين الأوائل إلى المال.....123
3/تقييم السياسة المالية للخلفاء العباسيين الأوائل.....129.
ثالثا:مظاهر الإصلاح المالي.....136
1/أخذ الفيء من مواضعه بعدل.....137
2/أخذ الصدقات وتوزيعها.....140
3/واقع عمال الخراج 143
4/ترشيد النفقات.....147.
خاتمة.....149.
قائمة المصادر والمراجع.....153.
فهرس الأعلام .....165.
فهرس الفرق والقبائل والمذاهب .....168.
فهرس البلدان والأماكن.....170.
فهرس المحتويات .....172.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية